

الرسول القليل

تأليف
محمود شيت خطاب
الرقيم الركن



الطبعة الثانية
(منقحة)

منشورات
دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة - بغداد

— حقوق الطبع محفوظة للمؤلف —

الطبعة الثانية

تموز ١٩٦٠

الرسول الفائز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝

مقدمة

فكرت في وضع هذا الكتاب ، بعد ما قرأت كثيراً من المؤلفات العسكرية الباحثة في تاريخ حروب القادة العظام ، الذين لمت اسماؤهم قديماً وحديثاً .

لقد أبرزت تلك المؤلفات بكل وضوح أعمال أولئك القادة ، ووصفت معاركهم بتسلسل منطقي سهل ، ووضعت تلك الممارك بالخرائط والمخططات والأشكال ، وأظهرت الدروس المفيدة منها ، فاضفت بذلك كله الخلود على حياة أولئك الرجال .

وعدت لأقارن بين هذا الأسلوب في البحث ، وبين أسلوب المؤرخين عندنا في الحديث عن معارك قادة المسلمين ، فوجدت كيف أضاع الأسلوب الأول معالم الطريق للباحثين ، وحقق قيمة جديدة لأعمال بعض القادة ، بينما طمس الأسلوب الثاني أعمالاً خالدة تستحق أعظم التقدير والإعجاب .

لقد قرأت أكثر كتب السيرة بإمعان ، فوجدت حياة الرسول العسكرية ذات قيمة لتاريخ الحرب لا تعادلها قيمة أخرى لأي قائد قديم أو حديث ، غير أنها لم تبحث بأسلوب حديث من عسكري يختص بإمكانه معرفة نواحي العظمة الحقيقية فيها ، وإظهار تلك النواحي للعيان ، فبقيت الناحية العسكرية من حياة الرسول غامضة حتى اليوم .

تحدث مؤرخو السيرة عن معارك الرسول بإسهاب أو باقتضاب ، ومع ذلك فإن الباحث يخرج من دراسة كل معركة دون أن يلم بكل تفاصيلها ووقائعها ، ويعود ليسأل نفسه : ما هو موقف الطرفين قبل المعركة ؟ كيف جرى القتال ؟ ما هي الدروس المستنبطة من المعركة ؟ إلى غير ذلك من الاسئلة الحيوية .

إن وصف معارك القواد المسلمين وعلى رأسهم الرسول بهذا الأسلوب ، جعل تاريخ الحرب الحديث يورد أمثلة من أعماق القواد غير المسلمين ، كهنيبال وقيصر و نابليون ومولتكه .. إلخ . ولا يورد أمثلة من أعمال القواد المسلمين كالرسول وخالد وسعد بن أبي وقاص ... إلخ ، بينما يدرس هذا التاريخ للمسلمين وفي بلاد المسلمين .. !!

إن سبب ذلك هو (جناية) الأسلوب ، هذه الجناية التي جعلتني أفكر في تأليف هذا الكتاب عن أعمال الرسول العسكرية ، متوخياً تنسيق المعلومات التي جاءت في كتب السيرة بأسلوب علمي بسيط ، تطرقت فيه الى الموقف العام للطرفين قبل المعركة ، وأهداف المعركة ، وقوات الطرفين ، وسير الحوادث قبل القتال واثناؤه وبعده ، ونتائج المعركة ودروسها المفيدة ، تلك الدروس التي لم تقتصر على أعمال الرسول فحسب ، بل أظهرت أعمال المشركين أيضاً ؛ وحاولت إيضاح كل ذلك بالخرائط والمخططات والأشكال ، لمعرفة مواقع المعركة واسلوها وأسلحتها الغربية عنا الآن ؛ وبهذا الإيضاح أمكن أن يعيش القارئ في جو المعركة الأصيل ، ويطلع على تفاصيلها ، ليحصل من ذلك على معلومات واقية عن المعركة من كافة الوجوه .

ولكنني أغفلت ذكر الحوادث التي لا يمكن أن تحدث في الحرب فعلاً ، تلك الحوادث التي يردّها بعض المؤرخين ليثبتوا للناس أن انتصار الرسول كان بالحوار غير الاعتيادية بالدرجة الاولى ، لا بتطبيقه مبادئ الحرب ، ومن الغريب أنهم يعتبرون ذلك من مظاهر الإيمان برسالة النبي .

وإذا كان الرسول قد انتصر بالحوار ، فما قيمته كقائد ؟ وكيف يحتذي المسلمون بسيرته وقد ذهب الحواري وبقي الواقع المرير ؟

لقد كان محمداً واقعياً بعيداً عن الخيال ، وكان إذا أراد شيئاً هياً له أسبابه ..

ولو اطلع الرسول على ما حشره بعض المؤرخين من الحوار في سيرته ، لما رضاه ذلك ، لأن الإسلام دين المنطق والعقل ، ومعجزته الخالدة هي أنه دين الفطرة السليمة ، وكان الرسول لا يرضى أن تنسب اليه معجزة غير القرآن ،

ويحرص على إفهام الناس انه شر مثلهم .. قال تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى اليّ أنما إلهكم إله واحد » وقال سبحانه : « قل سبحان ربي ، هاء كثره إلا بشراً رسولا » ... وروى مسلم في صحيحه : « إنما أنا بشر مثلكم ، إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من أمر دنياكم فلا تأمروا بشيء » .

لقد عمل الرسول بكل مبادئ الحرب المعروفة ، إضافة إلى مزاياه الشخصية الأخرى في القيادة ، لهذا انتصر على أعدائه ، ولو أغفل شيئاً من الحذر والحيلة والاستعداد ، لتبدل الحال غير الحال .

لماذا كان إذا أراد غزوة ورعى بغيرها ؟ ولماذا كان يأخذ بمبدأ (الحرب خدعة) ؟

ماذا كان يحدث لو تردد قبل معركة بدر ، عندما رأى المشركين متفوقين على أصحابه بالعدد والعُدَد ؟

ماذا كان يحدث لو استسلم لليأس في معركة أحد بعد أن طوّقته قوات المشركين المتفوقة من كل جانب ؟

ماذا كان يحدث لو ضعفت مقاومته للأحزاب في غزوة الخندق ، خاصة بعد خيانة اليهود ، حين أصبح مهدداً من خارج المدينة ومن داخلها ؟

ماذا كان يحدث لو لم يثبت الرسول مع عشرة فقط من آل بيته والمهاجرين بعد فرار المسلمين في غزوة حنين ؟

كيف نفتر إصابة الرسول بخروج خطرة في معركة (أحد) عندما خالف الرماة أمره وتركوا مواضعهم لجمع الغنائم ، فخر سبعين من أبطال المسلمين في هذه المعركة ؟

وأي استعدادات بلغت درجة من الدقة في التفاصيل ، ما بلغت استعدادات الرسول لإحضار جيش العسرة ؟

ولماذا تصلي طائفة من المسلمين في ساعات القتال ، وتأخذ طائفة أخرى أسلحتها حذراً من مباغتة العدو لهم ؟

لماذا كل هذا الحذر الشديد والاستعدادات الدقيقة ، إذا كان انتصار الرسول بالحوار غير الاعتيادية لا بالأعمال الاعتيادية ؟

إن النصر من عند الله ، ما في ذلك شك ، ولكن الله لا يحب نصره لمن لا بعد كافة متطلبات القتال .

إن السلم الصحيح ، هو الذي يقدر الرسول حق قدره ، فيعترف بأن كفاءة الرسول قائداً ممتازاً ، وكفاءة أصحابه جنوداً ممتازين ، هي التي أمنت لهم بالنصر العظيم .

أما أن نحشر الحوار التي لا تحدث في الحرب أبداً ، ونجعلها السبب المباشر لانتصار المسلمين ، فذلك يجعل هذا النصر لا قيمة له من الناحية العسكرية ، بالإضافة إلى أن ذلك غير منطقي وغير معقول .

إن أعمال الرسول - ومنها العسكرية - سنة متبعة في كل زمان ومكان ، فهل يبقى أتباعه ينتظرون الحوار لينتصروا على أعدائهم ، أم يعدّون ما استطاعوا من قوة ، كما قرر القرآن ، لينالوا هذا النصر ؟

إن سيرة الرسول العسكرية ، تثبت بشكل جازم لا يتطرق إليه الشك ، بأن انتصاره كان لشجاعته الشخصية وسيطرته على أعصابه في أحلك المواقف ، ولقراراته السريعة الجازمة في أخطر الظروف ، ولعزمه الأكيد على التثبت بأسباب النصر ، ولتطبيقه كل مبادئ الحرب المعروفة في كل معاركه - تلك العوامل الشخصية التي جعلته يتفوق على أعدائه في الميدان ، ولو لم تكن تلك الصفات الشخصية فيه لما كتب له النصر .

يمتاز الرسول عن غيره من القادة في كل زمان ومكان بميزتين مهمتين : الأولى

انه كان قائداً عصامياً ، والثانية ان معاركه كانت لفرض حماية حرية نشر الإسلام ولتوطيد اركان السلام لا للعنوان والاعتصاب والاستغلال .

ان غيره من القادة العظام وجدوا أمماً تؤيدهم وقوات جاهزة تساندهم ؛ ولكن الرسول لم تكن له أمة تؤيده ، ولا قوات تسانده ، فعمل على نشر دعوته ، وتحمل صابراً أعنف المشقات والصعاب ، حتى كوّن له قوة بالتدريج ذات عقيدة واحدة وهدف واحد .

يمكن تقسيم حياة الرسول من الناحية العسكرية الى أربعة أحوار : دور التحشد ، ودور الدفاع عن العقيدة ، ودور الهجوم ، ودور التكامل .

اما دور التحشد : فمن بعثته إلى هجرته إلى المدينة واستقراره هناك ، وفي هذا الدور اقتصر الرسول على الحرب الكلامية ، ييشتر وينذر ويحاول جاهداً نشر الاسلام ، وبذلك كوّن الحيرة الأولى لقوات المسلمين ، وحشدتهم في المدينة (بالهجرة) إليها ، وعاهد بعض اليهود ليأمن جانبهم عند بدء الصراع .

أما دور الدفاع عن العقيدة : فمن بدء الرسول بإرسال سراياه وقواته للقتال إلى انسحاب الأحزاب عن المدينة بعد غزوة الخندق ، وبهذا الدور ازداد عدد المسلمين ، فاستطاعوا الدفاع عن عقيدتهم ضد أعدائهم الأقوياء .

أما دور الهجوم : فهو من بعد غزوة الخندق الى بعد غزوة حنين ، وبهذا الدور انتشر الاسلام في الجزيرة العربية كلها ، وأصبح المسلمون قوة ذات اعتبار وأثر في بلاد العرب ، فاستطاعوا سحق كل قوة تعرّضت للإسلام .

والدور الرابع هو دور التكامل : وهو من بعد غزوة حنين إلى أن التحق الرسول بالرفيق الأعلى ، فقد تكاملت قوات المسلمين بهذا الدور ، فشملت شبه الجزيرة العربية كلها ، وأخذت تحاول أن تجد متنفساً لها خارج شبه الجزيرة العربية ، فكانت غزوة تبوك إيذاناً بولد الامبراطورية الاسلامية .

بهذا التطور المنطقي ، تدرّج هذا القائد العصامي بقواته من الضعف إلى القوة ، ومن الدفاع إلى الهجوم ، وبذلك برّز كل قائد في كل أدوار التاريخ ، لأنه أوجد قوة كبيرة ذات عقيدة واحدة وهدف واحد من لا شيء ..

تلك هي الميزة الاولى للقائد العصامي محمد . والميزة الثانية لقيادته : هي ان معاركه كانت حرب فروسية بكل معنى الكلمة ، الغرض منها حماية حرية نشر الاسلام وتوطيد أركان السلام ، فلم ينقض عهداً ، ولم يمثل بعدو ، ولم يقتل ضعيفاً ، ولم يقاتل غير المحاربين . لذلك فان إطلاق تعبير (الفتح الاسلامي على عهد الرسول) ليس صحيحاً ، بل يجب أن نطلق تعبير (انتشار الاسلام على عهد الرسول) ، لأنه لم يفتح بلداً لفاية الفتح ، بل لغرض حماية حرية نشر الإسلام فيه وتوطيد اركان السلام في ارجائه .
ولا عجب في ذلك . لقد كان محمد قائداً ورسولاً .

وربما يتبادر إلى الأذهان ، أن القيادة في العصور الغابرة كانت سهلة التكاليف لقلة عدد القوات حينذاك بالنسبة إلى ضخامة عددها وكثرة أسلحتها ووسائلها في الجيوش الحديثة ، ولكن العكس هو الصحيح .

ان مهمة القائد في العصور الغابرة كانت أصعب من مهمته في العصر الحديث ، لأن سيطرة القائد ومزاياه الشخصية ، كانت العامل الحامض في الحروب القديمة ، بينما يسيطر القائد في الحرب الحديثة على قواته الكبيرة بمعاونة عدد ضخم من ضباط الركن الذين يماونونه في مهمته ويراقبون تنفيذ أوامره في الوقت والمحل المطلوبين ، كما يسيطر القائد على قواته بوسائل المواصلات الداخلية الدقيقة من أجهزة لاسلكية وسلكية ورادار وطائرات ووسائل آلية .

بل ان هيئات الركن مسؤولة حتى عن تهيئة خطة القتال قبل وقت مناسب ، ولا يقوم القائد الا بمهمة الإشراف على التنفيذ .

ان القائد في الحرب الحديثة يحتاج الى العقل وحده ، والقائد في الحرب القديمة يحتاج الى العقل والشجاعة .

بقي علينا أن نلفت النظر في هذا المكان الى انتقاد بعض المستشرقين لبعض

أعمال الرسول العسكرية ، لأننا لا نعود الى الكلام عن هذا النقد مرة أخرى في غير هذا المكان .

ان الرسول عند بعض المستشرقين صاحب رقّة تحرمه القدرة على القتال ، ودليلهم على ذلك أنه اشترك بحرب الفجّار بتجهيز السهام فقط ولم يشترك في الطعان ، وهو عند بعض المستشرقين صاحب قسوة تغريه بالقتل واهدار الدماء من غير جريرة ، وحجّتهم على ذلك قتل أسيرين بعد (بدر) وقتل بعض اليهود بعد غزوة الأحزاب .

ولو لم يكن الهوى وحده هو الذي يثير هذا النقد المفرض ، لما حدث مثل هذا التناقض بين أقوال المستشرقين .

ان المستشرقين لا يريدون وجه الحق في تقديم ، ولو أرادوا الحق لوجدوا أن الرسول لم يقاتل أبداً الا مضطراً ، ولم يأمر أبداً بقتل أحد الا عقاباً له على جريمة نكراء أضرت أشد الضرر بمصالح المسلمين .

ومن العجيب أن ينتقده هؤلاء لقتله بضعة أشخاص ، لأنهم حالوا بطرق غير شريفة دون حرية انتشار الاسلام ، وعملوا بطرق غير شريفة لإثارة الحرب ، وخانوا عهودهم بعد اقرارها بمواقف حرجة كادت تقضي على المسلمين ، بينما لا ينتقدون قومهم في القرن العشرين على افناء شعوب كاملة لأنهم قاوموا الظلم والعدوان .

ولهم أن يدرسوا قوانين الحرب والحياد في القرن العشرين ، ليروا بأنفسهم أين تكون هذه القوانين الدولية مما طبقه الرسول عملياً في القتال قبل أربعة عشر قرناً ؟..

لقد درست حياة الرسول العسكرية بروح علمية محايدة ، توخيت منها اظهار الواقع العملي من قيادة محمد ، ذلك الواقع الذي يستحق التقدير كل التقدير . ولم أنس المواقف التي تستحق التقدير من أعمال المشركين ، لأن قيادتهم

وقواتهم قامت بأعمال ذات قيمة عسكرية في قتالها ضد المسلمين ، مما يجعلنا نلحس ما لاقاه الرسول من مصاعب في القضاء على المشركين .

ان دراستي لحياة الرسول العسكرية بهذا الاسلوب ، مجهود متواضع ، لعل فيه فائدة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، ليأخذوا عبرة من حياة قائدهم الأول في اعداد القوة وحماية الإسلام ، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

فان استطعت بهذا المجهود أن أضيف صفحة نيّرة الى صفحات التاريخ العسكري ، أستثير بها نفوس العرب والمسلمين ، فقد بلغت غاية أمنيّتي ، والا ، فانما الأعمال بالنيات ...

ولله كل الفضل فيما فعلت ، وله كل الشكر على ما انتجت .



مقدمة الطبعة الثانية

لم تسمح ظروف خاصة بانتشار الطبعة الأولى من هذا الكتاب في البلدان العربية والإسلامية ، بل لم تسمح تلك الظروف بانتشاره حتى في معظم المدن العراقية نفسها إلا بنطاق ضيق جداً للقراء وإلا ما وصل منه هدايا لبعض القادة والمفكرين والصحف في العراق وفي خارجه .

وما كنت أتوقع أن يقابل هذا الجهد المتواضع - على الرغم من محدودية انتشاره - بمثل ما قوبل به من تشجيع لا أملك أن أقابله الآن بغير الشكر الجزيل ، ذلك لأنني أعلم ما تستحقه مثل هذه الدراسة عن رسول الإنسانية من جهد وعلم وإيمان لا تبتسر في أمثالي ؛ ومن أكون حتى أوفي حق دراسة حياة الرسول العسكرية ، وقد عجز من قبلي عن إيفاء حقها أكابر العلماء والمفكرين !

ولكن الله يعلم أنني لم أرد بهذا الكتاب إلا وجهه الكريم ، وإن أقضي واجباً كنت ولا أزال أشعر بثقل مسؤوليته الجسيمة خدمة للرسول القائد باظهار ناحية الجهاد في الاسلام مبسطة في جهاد النبي العربي العظيم ؛ لهذا وافقت على إعادة طبعه ليتيسر اقتناؤه في أوسع نطاق من بلاد العروبة والاسلام .

وسيجد القراء الكرام ، أن الحرب في الاسلام حرب دفاعية بكل ما في الكلمة من معنى ، لا يبدأ المسلمون فيها بالاعتداء على أحد ، ولا يريدون من ورائها إلا حاية نشر الدعوة وتوطيد أركان السلام في العالم ؛ لأن الاسلام جاء للناس كافة لا لأمة من الامم ولا لشعب من الشعوب ، ولكنه للعالم كله آملاً في تحقيق فكرة سامية ، هي فكرة وحدة الإنسانية جمعاء ؛ لهذا شجعت الرسول كل طلب للصالح يعرضه العدو : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » ... وقد يكون

هذا العدو غير مخلص في طلبه هذا أو يقصد به كسب الوقت استعداداً لحرب أخرى ، ومع كل ذلك يحتم الاسلام النزول عند رغبات العدو السلمية : « وان ارادوا ان يخذعوك ، فإن حبسك الله » ...

ولست اعلم مبدءاً سامياً غير الاسلام يميز الموافقة على اقرار السلام فوراً دون قيد او شرط بمجرد اقدام العدو على طلب اقراره مهما تكن الظروف والاحوال ؛ ولكن السلام في الاسلام مادة وروح فهو لخير البشر على اختلاف اقطارهم وألوانهم وملهم ونخلهم ، بينا السلام عند أدعاء السلام مادة فقط ، لذلك هو عرقلة لتسليح غيرهم وزيادة لتسليحهم من جهة ، وقتل وسحل وتشريد وتعذيب وفكك لأعدائهم من جهة أخرى .

بل ان السلام في الاسلام نوري يضيء للناس كافة ، والسلام عند أدعاء السلام نار تحرق وتدمر غيرهم من الناس !!

ومنى انتشرت فكرة السلام الاسلامي في العالم ، سادته السلام الحقيقي وانتشرت في ربوعه السعادة والاطمئنان ، والافسيقي في حرب باردة تارة وفي حرب دامية تارة أخرى ، وستبقى الانسانية في هلع دائم من ويلات الفتن والحروب .

لقد كانت خسائر الشعوب في الحرب العالمية الاولى أقل من عشرة ملايين نسمة فضلاً عن الخراب والدمار الذي لحق بالمتلكات ؛ ولكن خسائر الشعوب في الحرب العالمية الثانية بلغت أكثر من ستين مليوناً من القتلى المدنيين والعسكريين كما قتل سبعة عشر مليون طفل بالغارات الجوية ودمر ثلاثون مليوناً من الابنية واثنان وعشرون مليوناً من المساكن عدا المآمي المروعة التي صاحبت الحرب .. فكم ستكون خسائر الانسانية من حرب عالمية ثالثة ، وقد أصبحت الاسلحة التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية قديمة جداً وكأنها لعب اطفال بالنسبة للأسلحة النووية والصواريخ عابرة القارات ... الخ التي ستستخدم اذا نشبت حرب جديدة ??

ان الاسلام وحده هو الذي يستطيع نشر السلام في ربوع العالم ويشيع فيه
الثقة والاطمئنان ، أما دعاة السلام الذين هم في الحقيقة اعداء السلام ، فقد عرف
الناس ماذا يعني سلامهم من فتك وتدمير يشمل الأبرياء على حد سواء .. هؤلاء
الادعياء يجب ان يتواروا الى الابد خجلاً من الكرامة الانسانية التي عفروها في
التراب ويقتشوا عن احبولة أخرى لا يعرفها الناس غير الادعاء بأنهم انصار
السلام !!!

والله أسأل ان يهدي الانسانية الى طريق المحبة والخير والحب والسلام .

محمود شيت خطاب

(١) الحرب العادلة

« وقاتلوا في سبيل الله الذين
يقاتلونكم » .

القرآن الكريم

(١) معنى الحرب

يقصد بالحرب كل كفاح يقوم بين القوات المسلحة لدولتين أو أكثر إذا توفرت لدى احدهما
او لديها جيماً ارادة انهاء ما يقوم بينها من علاقات سلمية .

الحرب العادلة

هي الحرب التي توجه ضد شعب ارتكب ظلماً نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه . ويشترط فيها
ان تكون مطابقة للقواعد الانسانية ، وتكون لغرض تحقيق سلم دائم ، كما يشترط فيها وجوب
احترام حياة وأملاك الأبرياء وحسن معاملة الأسرى والرهائن .

الحرب غير العادلة

هي الحرب التي لم يكن لها سبب عادل يبررها ، كأن تدخل دولة في حرب لتتصّب بعض اقليم
دولة أخرى أو لتخضعها لحكمها .

القتال في الإسلام

معنى القتال في الاسلام

هو قتال العدو ، لتأمين حرية نشر الدعوة وتوطيد أركان السلام ، مع مراعاة حرب الفروسية الشريفة في القتال ^(١) .

متى شرع القتال في الاسلام

كان القتال محرماً على المسلمين قبل الهجرة ، فلما اشتد عداء قريش وأخرجوا الرسول وأصحابه من ديارهم وأموالهم ، هاجر المسلمون الى المدينة ، فنزلت أول آية في القتال : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله » .
لقد خرج الرسول غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه إلى المدينة ، وبذلك بدأ القتال (فعلاً) في الإسلام .

اهداف القتال في الاسلام

١ - حماية حرية نشر الدعوة

ليس من أهداف الحرب في الإسلام (نشر) الدعوة ، بل (حماية حرية)

(١) حرب الفروسية

كفاح شرف لا يجوز ان يلجأ المحاربون فيه الى عمل أو اجراء يتنافى مع الشرف . فالشرف العسكري يستلزم احترام العهد المقطوع ويحرم استعمال السلاح الذي لا يتفق استعماله مع الشرف ، او القيام بعمل من اعمال الخيانة . ويجب مواصلة الجرحى والمرضى والعناية بهم وعدم الاجتهاد عليهم وعدم التعرض لغير المقاتلين وللامنين من السكان .

نشرها لان نشر الدعوة بالقوة معناه الاكراه : « لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي » .

ولكن هدف الحرب في الإسلام هو حماية حرية العقيدة وتأمين حرية انتشارها بين الناس ، وصدد الاعتداء الخارجي على بلاد المسلمين : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » .

إن الحرب في الإسلام حرب دفاعية ، لا يبدأ المسلمون فيها بالاعتداء على أحد ، ولا يقاتلون الا مكرهين على القتال ويعتبرون الحرب كفاح شرف لا يجوز أن يلجأ المحاربون فيها الى عمل أو إجراء يتنافى مع الشرف : إحترام العهد ، والترفع عن الخيانة ، ومواساة الجرحى والمرضى والأمري والعناية بهم ، وعدم التعرض لغير المقاتلين من النساء والأطفال والشيوخ ...

٢ - توطيد أركان السلام

تكون الأمة بغير جيش قوي عرضة للضياع ، إذ يطمع فيها أعداؤها ولا يهابون قوتها ، فاذا كان لها جيش قوي احترم العدو ارادتها ، فلا تحدته نفسه باعتداء عليها ، فيسود عند ذاك السلام : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ... » « وان جنحوا (للسلام) فاجنح لها » ... « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة (١) » « ان السلام في الاسلام (دين) ، اما عند غيرهم ؟! »

(١) الدكتور مصطفى السباعي : نظام السلم والحرب في الاسلام ص ٧-٨ .

أول ما يلاحظ في الاسلام اشتقاق اسمه من عبادة (السلام) : « والاسلام والسلام من مادة واحدة ، وليس الاسلام الا خضوع القلب والروح والجسم لنظام الحق والخير ... ومن اساء الله في القرآن (السلام) : « هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس (السلام) المؤمن المهيمن ... » .

وتحية المسلمين حين يلتقي بعضهم بعضاً : (السلام عليكم ورحمة الله) . وهي تحية المسلم لنبيه في الصلاة : (السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته) وتحية المسلم لايخوانه في عالم الخير والحق في

أنواع القتال في الاسلام

١ - قتال المسلمين للمسلمين :

هذا النوع من القتال ، هو شأن من الشؤون الداخلية للمسلمين ، فقد فرض القرآن حالة يفي وخروج على النظام العام تقع بين طوائف المسلمين بعضها مع بعض ، أو بين الرعية وراعياها ، فوضع لها تشريعاً من شأنه أن يحفظ على الأمة وحدتها وعلى الهيئة الحاكمة سلطانها وهيبتها ، ويبقي المجموع شراً البني والتعادي : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

هذه الآية تفرض حالة اختلاف يقع بين طائفتين من المؤمنين ، ولا يستطيع حله بالوسائل السلمية ، فتلجأ كل منها الى القوة ، فتوجب هذه الآية على الأمة

الصلاة ايضاً : (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ، وشعار المسلم حين ينتهي من صلاته عن يمينه ويساره : « السلام عليكم ورحمة الله » ، ومن الذكر الوارد بعد الصلاة : (اللهم انت السلام ومنك السلام) .

واحد ابواب المسجد الحرام في مكة وأحد أبواب المسجد النبوي في المدينة يسمى (باب السلام) والجنة وهي مثوى الطائمين في الحياة الآخرة تسمى دار السلام : (ولهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) ، وتحمية المؤمنين في الآخرة يوم لقائهم لله هي السلام : « تحيتهم يوم يلقونه سلام » :

ومن تتبع آيات القرآن ، وجد أن لفظ (السلم) وما اشتق منه ورد فيها يزيد على (١٣٣) آية ، بينما لم يرد لفظ (الحرب) في القرآن كله الا في ست آيات فقط ، ونستطيع ان نؤكد أن فكرة (السلام) تحتل المقام الرئيسي بين أهداف الاسلام العامة ، بل يصرح القرآن بأن الثمرة المرجوة من اتباع الاسلام هي الانتهاء الى طرق (السلام) والنور : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل (السلام) ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

اقول : هذا هو (السلام) في الاسلام ، فأين منه سلام العملاء اعداء السلام !!؟

مثلة في حكومتها أن تنظر فيما بين الطائفتين من أسباب الشقاق ، وتحاول
الاصلاح بينها ، فإن وصلت الى ذلك عن طريق المفاوضات ، وأخذ كل ذي حق
حقه ، ورد البغي واستقر الأمن ، فقد كفى الله المؤمنين شر القتال ، وان بغت
احدهما على الأخرى ، واستمرت على العدوان ، وأبت أن تخضع للحق وتنزل
على حكم المؤمنين ، كانت بذلك باغية خارجة على سلطة القانون متمردة على
النظام ، فيجب على جماعة المسلمين قتلها حتى تخضع وترجع الى الحق .

ان القصد من هذا التشريع هو المحافظة على وحدة الأمة وعدم افساح المجال
لتفريقها ، لذلك فهذه الحرب طريق (للسلام) وقضاء على البغي والعدوان .

٢ - قتال المسلمين لغير المسلمين

شرع قتال المسلمين لغير المسلمين لرد العدوان وحماية الدعوة وحرية الدين ،
وان القرآن حينما شرع القتال نأى به عن جوانب الطمع والاستئثار واذلال
الضعفاء ، وتوختى به أن يكون طريقاً الى السلام والاطمئنان وتركيز الحياة على
موازين العدل والانصاف .

ولست الجزية عوضاً مالياً عن دم أو عقيدة ، وانما هي لحماية المغلوبين في
أموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم وتمكينهم من التمتع بحقوق الرعية مع
المسلمين سواء بسواء ... يدل على ذلك أن جميع المعاهدات التي تمت بين المسلمين
وبين المغلوبين من سكان البلاد ، كانت تنص على هذه الحماية في العقائد والأموال ،
وقد جاء في عهد خالد بن الوليد لصاحب قس الناطف : « اني عاهدتكم على
الجزية والمنعة ... فان منعناكم فلنا الجزية ، والا فلا حتى نمنعكم » .

لقد رد خالد بن الوليد على أهل حمص وأبو عبيدة على أهل دمشق ، وبقيّة
القواد المسلمين على أهل المدن الشامية المفتوحة ما أخذوه منهم من الجزية حين
اضطر المسلمون الى مغادرتها قبيل معركة اليرموك ، وكان بما قال القواد المسلمون
لأهل تلك المدن : « انا كنا قد أخذنا منكم الجزية على المنعة والحماية ، ونحن
الآن عاجزون عن حمايتكم ، فهذه هي أموالكم نردها اليكم » .

لقد كان فرض الجزية في الاسلام أبعد ما يكون عن الاستغلال والطمع

بأموال المغلوبين ، اذ كانت تفرض بمقادير قليلة على المهاربين والقادرين على العمل فحسب ، وكانت على ثلاثة اقسام : اعلاها وهي (٤٨) درهماً في السنة على الاغنياء (حوالي دينارين ونصف عراقي او عشرين ليرة سورية او لبنانية او ٢٤٠ قرشاً مصرياً)

وأوسطها وهي (٢٤) درهماً في السنة على المتوسطين من تجار وزراة .
وأدناها وهي (١٢) درهماً في السنة على العمال المحترفين الذين يحدون عملاً .
وهذا مبلغ لا يكاد يذكر بجانب ما يدفعه المسلم نفسه من زكاة ماله وهو بنسبة اثنين ونصف بالمائة القدر الشرعي لفريضة الزكاة .

ان اسقاط الجزية عن الفقير والصبي والمرأة والراهب والمنقطع للعبادة والأعمى والمقعّد وذوي العاهات اكبر دليل على أن الجزية يراعى فيها قدرة المكلفين على دفعها ، كما أن تقسيمها على ثلاث فئات دليل على مراعاة رفع الحرج والمشقة في تحصيلها ، وقد جاء في عهد خالد لصاحب قس الناطف : « اني عاهدتكم على الجزية والمنعة على كل ذي يد : القوي على قدر قوته والمقل على قدر اقلاله »

ليس ذلك فحسب ، بل الاسلام أعفى دافع الجزية من الخدمة في الجيش .
والذمي الذي يقبل التطوع في الجيش الاسلامي تسقط عنه الجزية وذلك معناه ان الجزية تشابه البدل النقدي للخدمة العسكرية في عصرنا الحاضر .

كما ضمن الاسلام اعالة البائسين والمحتاجين من الذميين . جاء بعد خالد لأهل الحيرة : « واما شخص ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وأعيل من بيت مال المسلمين وعياله » .

ان فرض الجزية لا يحمل معنى الامتهان والاذلال ، ومعنى (صاغرون) في آية الجزية : « حق يعطوا الجزية وهم صاغرون » هو الخضوع ، اذ من معاني الصغار في اللغة الخضوع ، ومنه أطلق (الصغير) على الطفل لأنه يخضع لأبويه ولمن هو أكبر منه ، والمراد بالخضوع حينئذ الخضوع لسلطان الدولة ، بحيث يكون في

دفع الجزية معنى الالتزام من قبل اهل الذمة بالولاء للدولة ، كما تلتزم الدولة لقاء ذلك بحمايتهم ورعايتهم واحترام عقائدهم .

ولا توجد آية في القرآن تدلّ أو تشير الى ان القتال في الاسلام لحل الناس على اعتناقه .

وقد نصّ القرآن بوضوح على طريقة معاملة المسلمين لغير المسلمين : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أو تبرّؤهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

واقراء الآية الكريمة ، وهي من أواخر القرآن نزولاً ، فهي تحدّد أيضاً علاقة المسلمين بغيرهم : « اليوم أحلّ لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم ، وطعامكم حلّ لهم ، والمحضات من المؤمنين والمحضات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتهم أجورهم محضين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ، ومن يكفر بالايان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين » .

من ذلك يفهم أن علاقة المسلمين بغير المسلمين هي : برّ ، وقسط ، وتعاون ، ومصاهرة .

تنظيم القتال في الاسلام

١ - تقوية المعنويات

يعمل الاسلام على تقوية معنويات المقاتلين في سبيل الله ، فيعدهم بمضاعفة أجر العاملين وثواب المجاهدين ، لأنهم يقاتلون في سبيل انقاذ الضعفاء والبر بالانسان ومقاومة الجبروت والطغيان ، ولدحض عوامل الشر والافساد : « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً . وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً .

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا .

واستأصل الإسلام جميع النواحي التي ينبعث من قلبها الجبن والخور ، وحث المؤمنين على الجهاد في سبيل الله والحق ، في سبيل الخير والسعادة ، فلا الآباء ولا الأبناء ولا الاخوان ولا الازواج ولا العشيرة ولا الأموال ولا التجارة التي يخشى كسادها ولا المساكن ، لا شيء من ذلك كله يصح ان يحول بين المؤمنين وما تقتضيه محبة الله ورسوله من تضحية وجهاد : « قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتوها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فربصوا حق يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

بمثل هذا الأسلوب القوي ، حارب الاسلام عوامل الضعف ونزعات الخوف وغرس في نفوس الأمة خلق الشجاعة والتضحية والاستهانة بزخرف الحياة في سبيل الحق ونصرته : « إنا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله . أولئك هم الصادقون » .

لقد توخى الاسلام تقوية الروح المعنوية ، وما إمدادات المجاهدين باللائكة إلا لتطمئن قلوب المقاتلين ، أي لتقوية معنوياتهم على أصح وأوثق أقوال المفسرين .

٢ - اعداد القوة المادية

حث الإسلام على إعداد ناحيتين : القوة والرباط

القوة تتناول العدد والعدة ، وهذا يتسع لكل ما عرف ويعرف من آلات الحرب ووسائل ومواد الادامة والتموين وكافة القضايا الادارية الاخرى .

والرباط يتسع لكل ما عرف أيضاً من تحصين الحدود والثغور والاماكن الواهمة تجاه العدو .

يستهدف الاسلام من الحث على اعداد هاتين الناحيتين تأمين السلم والاستقرار ، وذلك لإرهاب العدو ، حتى لا تحدّثه نفسه باستغلال ناحية من نواحي الضعف والتخاذل : « ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

كما بحث الاسلام على إنشاء المعامل الحربية لصنع الأسلحة ، ويذكر بالحديد بصورة خاصة للاستفادة منه للأغراض العسكرية : « وأزّلنا الحديد فيه (بأس) شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله ، إن الله قوي عزيز » .

٣ - التنظيم العملي للقتال

أ) الاعفاء من الجندية

أسباب الاعفاء من الجندية في الاسلام محصورة في الضعف ، ويشمل الضعف المرض والعجز والشيخوخة وعدم القدرة على الانفاق .

لم يجعل الاسلام من أسباب الاعفاء من الجندية حمل الشهادات العلمية ولا الانتساب الى الجامعات ولا حفظ القرآن الكريم ، ولا دفع البدل النقدي ، ولا النبوة لحاكم كبير بما عهدناه في عصور الانحلال ، بل كان العمل في عصر النبي والعصور التالية له على عكس ذلك ، وما كان التفكير في جمع القرآت ، إلا الخوف من أن يذهب بذهاب القرآء الذين كانوا أكثر القوم إقداماً وبسالة في حرب اليمامة ، وكان إقدامهم وجراتهم على اقتحام صفوف الاعداء سبباً في أن يستمرّ القتل فيهم : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحو الله ورسوله » .

ب) إعلان الحرب

يحذّر الاسلام انتهاز غفلة العدو وأخذه على غرة غدرأ : « وإما تخافن من قوم خيانة . فانبذ اليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين » .

إن المسلمين لا يخونون أحداً ولا يفعدرون بأحد ، ويعلمون الحرب صراحة على أعدائهم ، ثم يشرعون بعد هذا الاعلان بالقتال .

ج (الدعوة للجهاد)

حذر الاسلام التباطؤ في تلبية داعي الجهاد والتثاقل عنه : « يا أيها الذين آمنوا ، ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثقلتكم الى الأرض ؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ! فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرُّوه شيئاً ، والله على كل شيء قدير » .

د (عقاب المتخلفين)

عاقب الاسلام المتخلف عن الجهاد عقاباً نفسياً ، اذ يهجر المتخلف أهله حتى زوجه ، كما يهجره المسلمون جميعاً ويقاطعونه ، وينظر اليه المجتمع نظرة احتقار وازدراء : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا » . يتوب الله عليهم بعد كل هذا العقاب ليتوبوا ولا يعودوا الى التخلف مرة أخرى .

ان عقاب المتخلف يقتصر عليه فقط ولا يشمل أهله وعشيرته ولا سكان قريته . كما حدث في القرن العشرين عند بعض الدول الكبرى ، اذ نزل العقاب الصارم بأهل المتخلف وعشيرته ، وحتى بأهل قريته في بعض الأحيان . بحجة أن هؤلاء يجب أن يسلموا المتخلف أو ينالهم العقاب .

هـ (تطهير الجيش)

يأمر الاسلام بتطهير الجيش من عناصر الفتنة والخذلان ، حتى يكون الجيش كله مؤمناً بعقيدة واحدة يعمل لتحقيقها ويبذل كل ما يملكه في سبيلها ، وبذلك يستطيع الفوز في الحرب : « لو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلاً » .

و (أساليب القتال)

ينظم الاسلام مواضعه الدفاعية ، ويزرع وحداته على تلك المواضع : « واذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال » .

ويبتكر القتال بأسلوب الصف الذي لم تكن العرب تعرفه حينذاك ، بل كانت تقاتل بأسلوب الكرّ والفر : « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » .

ان اسلوب الصف يتفق مع أساليب القتال في العصر الحاضر ، فهو يؤمن العمق والاحتياط ، ليستطيع القائد معالجة المواقف التي ليست في الحسبان .

ز (الضبط

يحث الاسلام على السمع والطاعة للقيادة العامة ، وثبات في المواقف وتجنب أسباب الفشل ، والاعتصام بالله وباليقين : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وقذهب ربحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين »

كما حذر الاسلام من الفرار وبين سوء عاقبته : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال او متحيزاً الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

ح (الكتمان

حذر الاسلام من اذاعة الامرار العسكرية ، وجعل اذاعتها من شأن المنافقين ، وطلب الرجوع بها الى القيادة العامة ، كما طلب من المسلمين أن يتثبتوا بما يصلهم من أنباء قبل الركون اليها والعمل بها : « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة ، لنغرينك بهم ولا يحاربونك فيها الا قليلاً » :

ويقول القرآن : « واذا جاءهم أمر من الأمن او الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول وإلى اولى الامر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

ط (الهدنة ^(١)) والصلح

أمر الإسلام بتلبية دعوة السلم ووقف الحرب اذا جنح اليها الأعداء ، وظهرت منهم علامات الصدق والوفاء : « وان جنحوا (للسلم) فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم . وان يريدوا أن يمدعوك فان حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين » .

ي (الأسرى)

خير الإسلام القائد بين أن يمن عليهم ويطلقهم من غير فدية او مقابل ، أو

(١) راجع قانون الحرب والحياد .

الهدنة

اتفاق يبرم بين الفريقين المتحاربين بوقف القتال مدة يتفق عليها فيما بينهما . والهدنة اما هدنة عامة او محلية او جزئية . فالهدنة العامة يسري وقف القتال فيها على جميع القوات المتحاربة ويشمل جميع مناطق القتال ، والهدنة المحلية او الجزئية هي التي يقتصر وقف القتال فيها على بعض القوات المتحاربة دون بعضها الآخر .

شروط الهدنة وآثارها

تعقد الهدنة في العادة كتابة ، ولكن لا يوجد ما يمنع قانوناً من عقدها شفهاً ، وينص عقد الهدنة على مبدأ قيامها وانتهائها ، ويتوقف القتال حال اعلان الهدنة ، كما ينص بعبارة واضحة على شروط الهدنة .

نقص الهدنة أو انتهاؤها

اختلف الشراح فيما بينهم على الآثار المترتبة على حصول اخلال من أحد الطرفين بيبح للطرف بمعد الهدنة وحق الفريق الآخر في نقضها لهذا السبب والعودة الى أعمال القتال مباشرة . وكان من رأي فريق من الشراح : أن أي إخلال يقع من أحد الطرفين بيبح للطرف الآخر العودة الى أعمال القتال مباشرة ودون سابق انذار .

أما الشراح المحدثون فيرون أن حصول اخلال بيبح للطرف الآخر ان يعلن الطرف المخل بنقض الهدنة ولا ييبح له العودة الى أعمال القتال مباشرة .

وتنتهي الهدنة بانتهاء المدة المحددة لها ، فإذا لم ينص في اتفاقية الهدنة على تاريخ معين لانتهائها ، جاز لكل من الطرفين استئناف القتال بعد اعلان الطرف الآخر وفقاً لما هو منصوص عليه في الاتفاقية من الشروط .

يأخذ منهم الفدية من مال ورجال ، وذلك على حسب ما يرى من المصلحة :
« فإذا لقيتم الذين كفروا فقربوا الرقاب ، حتى إذا أثخنتهم فشدوا الوثاق ،
فإما منا بعد وإما فداء » .

ك (المحافظة على اليهود

حث الاسلام بصورة خاصة على المحافظة على اليهود ، وأوجب الوفاء بها ،
وحرّم الخيانة فيها والعمل على نقضها ، وأرشد الى ان يكون القصد منها احلال
الامن والسلم على الاضطراب والحرب ، وحذّر أن تكون وسيلة للاحتيال على
سلب الحقوق والوقية بالضمفاء : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا
الآيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، ان الله يعلم ما تفعلون ، ولا
تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، تتخذون ايمانكم دخلاً بينكم أن
تكون أمة هي أربى من أمة » .

شروط القبول للجندية

لا يقبل في جيش المسلمين الا من تتوَقَّر فيه الشروط التالية : -

١ - البلوغ

اعتبر سن البلوغ السادسة عشرة كما هو الحال في أكثر الدول في الوقت
الحاضر .

ولا يقتصر التجنيد على الرجال البالغين ، بل يشمل النساء البالغات (١)
أيضاً ، فقد استصحب الرسول النساء في غزواته ، بل كان يصحب معه
أزواجه بالاقتراع .

ولم يعترض أحد على اشتراك النساء في الحرب على عهد الخلفاء الراشدين
والأمويين ، فلما جاء العباسيون ظهر بعض الفقهاء الجامدين ، فأضافوا الى

(١) يكون واجباً في القتال لتموين المقاتلين والعناية بالمرضى والجرحى ونقلهم من الميدان
وللاشتراك في القتال ان حزب الأمر واملت الضرورة القصوى ذلك .

شروط الخدمة العسكرية شرطاً خامساً وهو (الذكورة) ، فحرموا الجيش من عنصر فعال يزيد في عدده ومغنوياته .

٢ - الاسلام

لبدافع عن بلاد المسلمين عن عقيدة واخلاص .

٣ - السلامة

تمتع الجندي بالصحة الكاملة والعقل السليم ، ومن أسباب المعجز عندهم المرض المزمن ، وهو الذي طال مرضه ، والعمى .

٤ - الاقدام

وهو أن يكون قوي البنية ، عارفاً بالقتال ، قادراً على استخدام سلاحه ، متحملاً مشاق السفر ، غير جبان .

النفير

يقسم النفير الى قسمين تبعاً لحالتين :

١ - في حالة الدفاع

أي عند اعتداء العدو على بلاد المسلمين ، فعند ذاك يكون النفير عاماً ، فلا يستطيع التخلّف عن الجهاد مسلم ، الا ويرمى بالنفاق ، ويعاقب بأشدّ العقاب .

ان الجهاد في هذه الحالة فرض عين كما يعتبر عنه الفقهاء .. والنفير العام معناه دعوة جميع القادرين على حمل السلاح للاشتراك في الحرب .

٢ - في حالة التعرض

أي في حالة دعوة قسم من الأمة للفتح ، وعند ذاك يكون النفير خاصاً ، وفي هذه الحالة يكون الجهاد فرض كفاية ، كما يعبر عنه الفقهاء .. والنفير الخاص معناه دعوة بعض القادرين على حمل السلاح للاشتراك في الحرب .

الخلاصة

لقد أوضحنا القتال في الاسلام من الوجهة النظرية ، وسنرى التطبيق العملي لكل ما اوضحناه في جهاد الرسول .

ومن ذلك يتضح أن الاسلام يدعو للقتال كضرورة لحماية حرية التوحيد :
توحيد الله وتوحيد الناس .

ان الاسلام لا يؤمن بالحروب التي تثيرها العصبية العنصرية ، كما يستبعد الحروب التي تثيرها المطامع والمنافع : حروب الاستعمار والاستغلال والبحث عن الاسواق والخامات واستعباد المرافق والرجال ، كما يستبعد الاسلام تلك الحروب التي يثيرها حب الاجداد الزائفة أو حب المغانم الشخصية .

ان السلم في الاسلام هو القاعدة الثابتة ، والحرب هي الاستثناء ...

قبل نشوب الفتن

« كم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة باذن الله ، والله مع
الصابرين » .
القرآن الكريم

الموقف العسكري العام

المسلحون

١ - الدعوة سرا

بدأ العمل للتحشد منذ نزل الوحي على الرسول ، فأخذ يدعو الناس إلى توحيد الله وتزكية نفوسهم وتطهيرها ، وتوحيد الصفوف وفناء مصلحة الفرد في مصلحة الجماعة .

عرض الرسول الإسلام على آل بيته وأصدقائه الذين يعتمد عليهم ، فأمن به الصفوة المختارة الذين كوتوا الخيرة الأولى لجيش المسلمين ..

واستمرت الدعوة مرأ ثلاث سنين حتى نزل قول الله : « وأنذر عشيرتك الأقربين » .

٢ - الدعوة علناً

ابتدأ الرسول يدعو قريشاً إلى الإسلام علناً ، وابتدأت قريش تظهر خصومتها للدعوة ، واخذت خصومتهم تشدد وتعنف كلما زاد عدد المسلمين .

اعتبرت قريش المسلمين عصاة ثائرين ، فاستباححت في الحرم الآمن دماء وأموال المستضعفين من المسلمين من لا أعوان لهم يدفعون عنهم الظلم والعدوان .

أسلم عمار بن ياسر وأسلم أبوه وأمه ، فكان المشركون يخرجونهم في الظهيرة إلى المراء فيعذبونهم بجرتها ، فمات ياسر من العذاب ، وأغلظت امرأته القول لأبي جهل ، فطعنها بجرية فماتت هي أيضاً .

ولاقى مثل هذا العذاب ومثل هذا المصير كثير من المستضعفين .

ولم تكف قريش بذلك ، بل شنت حرباً من السفرية على الرسول وأصحابه ، فزعموا أن الرسول ساحر ، وزعموا أنه كاهن أو شاعر أو مجنون .

وسيطرت قريش على القبائل الوافدة إلى مكة للحج أو للزيارة أو لأغراض أخرى ، فخصّصوا جماعة منهم لاستقبال الوافدين لينقروهم عن محمد ودعوته .

ولكن الرسول كان يذهب إلى الحبيج في مجامعهم ، ويطلب منهم النصرة على مشد من رجال قريش .

واشتدت مقاومة قريش للمسلمين ، فأوعز الرسول إلى المستضعفين منهم وإلى بعض أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة ، وكان ذلك في السنة الخامسة من مبعثه .

ورأت قريش انتشار الاسلام ، فعزمت على عقد معاهدة تعتبر فيها المسلمين ومن يرضى بدينهم أو يعطف عليهم أو يحمي احداً منهم حزباً واحداً : لا يبيعونهم شيئاً ولا يبتاعون منهم شيئاً ، ولا يزجونهم أو يتزوجون منهم ، وكتبوا ذلك في صحيفة علّقوها في جوف الكعبة توكيداً لنصوصها ، فاضطر الرسول ومن معه إلى الالتجاء لشعب بني هاشم ، وانحاز اليهم بنو المطلب كافرهم ومؤمنهم عداً أباً لهب ، فقد آزر قريشاً في خصومتها لقومه .

واشتدت الحصار على المسلمين ، فقلّ غذاؤهم وكساؤهم وبلغ بهم الجهد أقصاه ، ومع ذلك لم تفتقر خصومة قريش في حملتها على الاسلام وأصحابه وتآليبها العرب عليهم في كل مكان .

وتحمّل المسلمون هذه الهينة ثلاث سنوات ، حتى تيقظ ضمير بعض أفراد قريش ، فنقضوا صحيفة القطيعة .

٣ - بيعة العقبة الاولى

قدم سويد بن الصامت من الأوس إلى مكة حاجاً ، فتصدى له الرسول ودعاه إلى الاسلام ، فقال سويد : « ان هذا القول حسن » ثم انصرف إلى المدينة

و أخبر قومه بما سمع ، ولكنه قتل يوم (بعث) عند نشوب القتال بين قومه الأوس وأعدائهم الخزرج من أهل المدينة .

وخرج الرسول يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج ، فرأى سبعة رجال من الخزرج عند العقبة ، فعرض عليهم الاسلام ؛ فأجابوه وصدقوه .

فلما عاد هؤلاء الى المدينة ، ذكروا اسلامهم لقومهم ، ودعواهم الى الاسلام ، فانتشر الإسلام في المدينة .

وبعد عام واحد قدم الى مكة في موسم الحج اثنا عشر رجلاً ، فلقوا الرسول في العقبة . فبايعوه على الايمان بالله وحده والاستمسك بفضائل الأعمال والبعد عن الرذائل .

وبعث النبي مصعب بن عمير ليتعمد انتشار الاسلام في المدينة ويقراً على أهلها القرآن ويقمهم في الدين ، فدخلت في الاسلام جموع غفيرة من أهل يثرب . ان بيعة العقبة أول نجاح عسكري للرسول خارج مكة ، اذ انتشر الاسلام في يثرب ، فأصبح للنبي فيها جنود يعتمد عليهم في الملأ ...

٤ - بيعة العقبة الثانية

لما انتشر الاسلام في المدينة ، خرج منها سبعون رجلاً من المسلمين مع قومهم المشركين يريدون لقاء الرسول في موسم الحج في مكة ؛ فلما وصلوا ، واعدوا الرسول أن يجتمعوا به ليلاً في العقبة .

ومضى ثلث الليل فأخذوا يتسللون جماعات صغيرة الى المثابة في العقبة ، حتى اجتمع هناك سبعون رجلاً من الأوس والخزرج معهم امرأتان : نسيبة بنت كعب أم عمارة وأسماء أم عمرو بن عدي .

وجاء النبي ومعه عمه العباس وهو حينذاك كافر ، ولكنه أراد أن يطمئن الى مصير ابن أخيه .

وتكلم العباس وتكلم بعده الرسول وتلا القرآن ورغب بالاسلام ، ثم قال : « أبايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم » فبايعوه على ذلك وهم

يقولون : « لنمنعك مما تمنع منه أزرنا ^(١) فبايعنا يا رسول الله ، فوالله نحن أبناء الحروب ، واهل الحلقة ^(٢) ورثناها كابرأ عن كابر » .

وامرهم الرسول ان يخرجوا اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم ، فأخرجوا منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس .. وبذلك بدأ الرسول بتنظيم أتباعه خارج مكة .

واستمع احد المشركين - وهو يتجول صدفه بين مضارب الخيام ومنازل الحبيج - ما دار في هذا الاجتماع ، فصرخ ينذر اهل مكة : ان محمداً والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم .

لم يكثرث المبايعون بانكشاف امرهم ، بل أرادوا مهاجمة قريش بأسياهم ، ولكن الرسول امرهم بالعودة الى رحالهم .. اذ لم يأذن الله لهم بالقتال بعد ... فلما اصبحوا جامع رجالات قريش فقالوا : « يا معشر الخزرج ، انه قد بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرينا وتبايعونه على حربنا ، وانه والله ما من حي من العرب ابغض اليينا من ان تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم » .

ولكن مشركي الخزرج الذين لم يكونوا يعلمون ، بالبيعة ، حلفوا لقريش : انه ما كان من هذا الشيء ، ما علوه ، فصدقت قريش .

ان بيعة العقبة الثانية نجاح عسكري آخر للرسول ..

• - التحشد في المدينة

امر الرسول مسلمي مكة بالهجرة الى اخوانهم في المدينة ، فهاجر المسلمون بالتعاقب تاركين اموالهم واهليهم هناك .

واجتمع رجالات قريش في دار الندوة ، وقرروا ان يأخذوا من كل بطن

(١) أزرنا : يعني نسائنا ، والمرأة يكنى عنها بالازار .

(٢) الحلقة : السلاح عاماً ، وبعض الفويين يخصونه بالذروع .

من قريش شاباً نسياً وسطاً فتياً ، ثم يملطون كل فتى من هؤلاء سيفاً صارماً ، ويرسلونهم لاغتيال الرسول ، حتى يتفرق دمه في القبائل كلها ، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلها ، فيرضون بالدية .

ولكن الرسول علم بالمؤامرة ، فهاجر مع أبي بكر قبل تنفيذها ، واستطاع الوصول سالماً الى المدينة ، على الرغم من تشبث قريش الشديد بإلقاء القبض عليه

وترامت اخبار المهاجر العظيم الى المدينة .. فكان أهلها يخرجون كل صباح لاستقباله ، فإذا اشتد الحرّ عادوا الى بيوتهم ، فلما وصل قريباً من المدينة ، خرج أهلها لاستقباله بالسلاح ، ولبست المدينة حلة العيد

ان هجرة الرسول الى المدينة معناها اجتماع القائد يحنوده في قاعدتهم الامينة ...

٦ - انجاز التحشد

أ) بناء المسجد

انتخب الرسول موضعاً مناسباً لبناء مسجده في المدينة ، وبدأ ببنائه باللبن ، واشترك مع أصحابه في حمل اللبنة والأحجار على كواهلهم ، فتمّ بناء المسجد : فراشه الرمل والحصى ، وسقفه الجريد ، وأعمدته الجنود .

وتمّ ببناء هذا المسجد بناء (الثكنة) الأولى في الاسلام ..

ب) الأخوة

آخى الرسول بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، حتى يتعاونوا على أسباب العيش ويكون الجميع يداً واحدة تعمل لهدف واحد .

آخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، فقال سعد لعبد الرحمن : « إني أكثر الانصار مالاً ، فاقسم مالي إلى نصفين ، ولي امرأتان ، فانظر أعجبها اليك فسمّها لي ، أطلقها ؛ فإذا انقضت عدتها ، فتزوجها » ..

هذا مثال من الايثار الذي كان نتيجة لهذا التأخي .

وظلّت عقود الاخاء مقدّمة على حقوق القرابة في توارث التركات الى موقعة بدر ، حيث استقرّ أمر المسلمين ، فألغي التوارث بعقد الأخوة ورجع الى فوي للرحم .

ان التأخي جعل المسلمين كرجل واحد ، يعمل لهدف واحد ، بإمرة قائد واحد .

ج) المعاهدات (١)

عقد الرسول معاهدة بين المسلمين من جهة واليهود المشركين من أهل المدينة من جهة أخرى ، وادعهم فيها وأقرّهم على دينهم وأموالهم .

(١) نص المعاهدة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبهم فلحق بهم وجاهد معهم .. انهم امة واحدة من دون الناس . المهاجرون من قريش على ربهم (اي على امرهم الذي كانوا عليه) يتعاقلون بينهم وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين (ثم ذكر كل بطن من بطون الانصار واهل كل دار الى ان قال) وان المؤمنين لا يتركون مفرماً (اي المثل بالدين والعيال) بينهم ان يعطوه بالمعروف وفي فداء او عقل . ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم او ابتغى دسيعة ظلم (اي طبيعته) او اثم او عدوان او فساد بين المؤمنين ، وان ايديهم عليه جميعاً ولو كان ولد احدهم . ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن . وان ذمة الله واحدة يحبر عليهم ادانهم ، وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس . وان من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة (اي المساواة في المعاملة) غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وان سلم المؤمنين واحدة لا يسلم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء بينهم ، وان كان كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً . وان المؤمنين ينسب بعضهم عن بعض (أي ان المؤمنين بعضهم أولياء بعض فيما ينال دماهم) بما نال دماهم في سبيل الله . وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه . وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن . وانه من اعتبط (اي قتله بلا جنسية كانت منه او جريرة توجب قتله) مؤمناً قتلًا عن بيته فانه قود به الا ان يرضى ولي المقتول ، وان المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه . وانه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر ! ان ينصر محدثاً

وفي هذه المعاهدة نظم الرسول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لكافة سكان المدينة من المسلمين والمشرّكين واليهود .

نظم بها الحياة الاقتصادية ، فالفقير يجد معاونة من الغني في معيشته وقلّ ديونه وتحمل فدائه وديته .

ونظم بها الحياة الاجتماعية ، فالجار له حرمة من جاره ، وسكان المدينة آمنون فيها من القتل والاعتقال والغدر ، ولكل دينه الذي هو عليه ، والمحرّم ينال عقابه على جرمه دون أن يحول دون تنفيذ العقاب عليه حائل ، وليس هناك ما يفرّق بين الصفوف من دين أو أغراض أخرى .

هاتان الناحيتان : الاقتصادية والاجتماعية ، واضحتان ومفهومتان في المعاهدة ، وانما يهنا الناحية العسكرية فيها بالدرجة الاولى .

(اي جانبا) ولا يؤويه ، وانه من نصره وآواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مردّه الى الله والى محمد عليه الصلاة والسلام ، وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين . وان يهود بني عوف امة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وماليهم وانفسهم الا من ظلم او اثم فانه لا يوتغ (اي يهلك ويقصد) الا نفسه واهل بيته . وان ليهود بني النجار ويهود بني الحارث ويهود بني ساعدة ويهود بني جشم ويهود بني الاوس ، ويهود بني ثعلبة ولجفنة ولبنى الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف . وان موالي ثعلبة كأنفسهم . وان بطانة يهود كأنفسهم . وان لا يخرج منهم احد الا باذن محمد ، وانه لا يتحجر (اي لا يلتزم جرح على ثأر) على ثأر جرح وانه من قتل قبيصة واهله الا من ظلم . وان الله على ابر هذا . وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة . وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ، وانه لم يأت امرؤ بحليفه . وان النصر للمظلوم . وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين . وان يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة . وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم . وانه لا تجار حرمة الا باذن اهلها . وانه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساد ، فان مردّه الى الله والى محمد رسول الله . وان الله على اتقى ما في هذه الصحيفة وابره ، وانه لا تجار قریش ولا من نصرها ، وان بينهم النصر على من دهم يثرب ، واذا دعوا الى صلح يصلحونه ويلبسونه فانهم يصلحونه ويلبسونه . وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فان لهم على المؤمنين الا من حارب في الدين ، على كل اناس حصتهم من جانبيهم الذي قبلهم . وان يهود الاوس وماليهم وانفسهم على مثل ما لاهل هذه الصحيفة . وان البر دون الاثم لا يكسب كاسب الا على نفسه . وان الله اصدق ما في هذه الصحيفة وابره ، وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم او آثم وان من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم او اثم وان الله جار لمن بر واتقى .

لقد نصت المعاهدة على قيادة محمد لكافة سكان المدينة : مسلمين ومشركون ويهود . فإليه يرجع الأمر كله ، وله أن يحكم في كل اختلاف يقع بين السكان ، وبذلك أصبح محمد القائد العام في المدينة .

كما نصت المعاهدة على تعاون أهل المدينة في رد كل اعتداء يقع عليها من الخارج ، وبذلك توحدت صفوف أهل المدينة نحو هدف واحد .

كما أعلنت المعاهدة بصراحة أنه لا يجوز لمشارك من أهل المدينة أن يجبر مالا لقريش ولا نفساً ، وأن اليهود يعاونون المؤمنين في النفقة عليهم ما داموا محاربين ، وبذلك أوشك الكفاح بين المسلمين وقريش أن يبدأ .

بهذه المعاهدة استطاع الرسول أن يجعل أهل المدينة كلهم على اختلاف دينهم يبدأ واحدة على أعدائهم .

لقد أنجز الرسول بهذه المعاهدة كافة استحضارات تحشد قواته ، فأصبحت جاهزة للدفاع عن الاسلام .

٧ - النتائج

لقد استطاع الرسول أن يلجأ إلى المدينة ويحشد قواته فيها ، ويوحد صفوف سكانها على اختلاف ميولهم وأهوائهم ودياناتهم ، ويحفظهم كتلة متحدة للدفاع عنها ضد الغارات الخارجية ، وكتلة واحدة للقضاء على الاختلافات الداخلية .

وعلى الرغم من أن المسلمين وحدهم - على قلتهم يومذاك - هم جيش الرسول الذي يعتمد عليه في كفاح أعدائه ، إلا أن الرسول استطاع أن يفرس فيهم عقدة راسخة يؤمنون بها كل الايمان ، وأن يجعل لهم أهدافاً واضحة كل الوضوح يبذلون في سبيل تحقيقها أرواحهم وأموالهم .

لقد كانت أهدافهم الدفاع عن الاسلام والعمل على حماية حرية انتشاره ، وفي سبيل الدفاع عن الاسلام وفي سبيل حماية حرية انتشاره بين الناس يرخصون كل غال ورخيص .

لقد تهاى الآن للرسول جيش يجمعه هدف موحد ، يأتمر بأمر قائد واحد ، يستند الى قاعدة أمينة ، وبذلك تهاى للسليين - على رغم قلة عددهم - كل اسباب النجاح عند نشوب القتال .

العرب والروم والفرس

١ - العرب

الشعب العربي يمثل أقدم الشعوب السامية واكثرها نقاءً ، لانزاله في الجزيرة العربية . ولم ينجح أحد الغزاة في دخول هذه الجزيرة .

والعرب قسمان : عدنانيون أي عرب الشمال ، وقحطانيون أي عرب الجنوب ، وهذا التقسيم لا يستند الى اساس عصري ، بل الى ظروف زمانية ومكانية أدت الى فروق في اللهجة والثقافة .

وقد أبتدت الكشوف الأثرية وجود أربع دول متحضرة على الأقل في الجنوب ، وهي معين وسبأ وحضرموت وقتبان .

كما تكونت في المنطقة الشمالية كثير من الدول العربية المتحضرة ، كدولة اللحيانيين في منطقة (الحجر) على خليج العقبة ، ودولة الأنباط في جنوبي سوريا ، ومملكة تدمر في بادية الشام ، ودولة المناذرة على حدود العراق ، ومملكة الفساسنة في الشام ، ومملكة كندة في نجد .

وكانت لهذه الممالك حضارة راقية ، ولكن حضارة العرب قبل الإسلام تدهورت ، فانحط المستوى الديني ، وتحكمت فيهم بعض العادات ، كالعصبية والنار ..

كانت أبرز وأقوى القبائل العربية قبيل الاسلام هي قريش التي كانت تسكن مكة ، وكان الحكم بمكة ، بيد الأشراف ورؤساء الأمر وأهل القوة واصحاب الأموال .

وقد أصبح لمكة بسبب موقعها على الطرق التجارية ولسبب حرمتها الدينية

أهمية كبيرة ، كما ان الناس احترموا قريشاً ، لأنهم جيران بيت الله الحرام ، فلا يحتريء عليهم احد ، وهذا حفظ تجارتهم من تحرش كثير من البدو .

ولما كانت مكة بؤاب غير ذي زرع ، كان عامة اهلها يشتغلون بالتجارة .

لم يكن عند العرب شعور ديني بالمعنى الصحيح ، فقد كانت آراؤهم الدينية ساذجة حينذاك ، فاعتقد البدوي ان في الدنيا قوى خارقة تسيطر عليه بتسليطها الجن والشياطين ، ويرون ان الجن لهم اتصال بالكهتان والسحرة ، لذلك كان هؤلاء يتكهنون عن المستقبل ، فاهتموا بالسر والكهانة ، واستعمل الكهنة لغة " مسجعة مبهمة " .

لقد كانت الجزيرة في فترة تدهور وانقسام سيامي ، وفي فترة ركود حضاري ، مرتبكة في سير حياتها الاجتماعية ، مضطربة في حالتها الاقتصادية ، منحطة في مستواها الديني .

في هذه الظروف ظهر الإسلام ، فهاجم الرسول النظام القبلي والفردية المتطرفة وإهمال الدين ، وحمل على الاستغلال المادي والظلم الاجتماعي ، وبذلك كان ظهور الاسلام اكبر ثورة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية ظهرت في العالم عامة ، اذ جاء الإسلام دولة وديناً للناس كافة ..

٢ - الروم

كان الجيش الروماني مرككراً على الحكم الاقطاعي ، وذلك أن كل زعماء قائد ألباعته ، وكان هؤلاء النبلاء يمتنعون الأراضي والعقارات الشاسعة للقيام بإعاشة أتباعهم . وقد أدى ذلك الى حدوث حروب داخلية ، خاصة عندما تضعف الحكومة المركزية في القسطنطينية ، فقد كان كل نبيل يطمع في توسيع ملكه وسلطته على حساب غيره من النبلاء ، بل كان بعض النبلاء ينقضون حق على الحكومة المركزية في بعض الأحيان .

واعتمد الرومان على الفسائنة والقبائل العربية الأخرى في حماية حدودهم الجنوبية التي تحدّ الجزيرة العربية وحدودهم الجنوبية الشرقية التي تحدّ فارس

وقد اشتدت الاختلافات بين طوائف المسيحيين قبيل الإسلام ، حتى شملت العامة والخاصة على حد سواء ، وحتى اشتغل الناس بالجدل فيها أكثر من اشتغالهم بكل عمل آخر ، وشمل هذا الجدل كافة طبقات الناس في مختلف الأماكن والأوقات .

إنَّ المسيطر على الجيش الروماني حينذاك هو الارتزاق ، وكثيراً ما كانت أعطيات الجند تتأخر عن مواعيدها لارتباك الحالة المالية للدولة ، فيتذمر الجنود ، ولم يكن للجيش هدف معين يوحد صفوفه ويسعى لتحقيقه غير الارتزاق . وهكذا كان الجيش الروماني جيشاً مرتزقاً يقوده قادة من النبلاء يتولون مناصبهم بالوراثة لا بالكفاءة والمقدرة .

٣ - الفرس

كانت التشكيلات العسكرية للفرس مشابهة للتشكيلات العسكرية عند الرومان ، فكان المرازبة والدهاقين يتولون قيادة الجيوش ويتحكمون في الأراضي الشاسعة والمقارات الكبيرة .

كما اعتمدوا على المناذرة لحماية حدودهم الجنوبية المتاخمة للجزيرة العربية وحدودهم الجنوبية الغربية المتاخمة للرومان .

وكانت العقيدة الجوسية مهيمنة على الفرس وأكثر اتباعهم ، ولم يكن للجيش هدف يوحد صفوفه ويسعى لتحقيقه غير الارتزاق أيضاً . كما كانت قيادته وراثية وقادته يعتمدون على حسبهم ونسبهم وحظوتهم لدى الأكامرة لا على قابلياتهم العسكرية وكفاءتهم في القتال .

٤ - النتائج

على الرغم من كثرة القبائل العربية قبيل الإسلام ، فإنها كانت متفرقة لا تخضع إلا لسيطرة رؤسائها الذين تسيطر عليهم أهواؤهم ورغباتهم الشخصية . كما أن النظام العسكري في كل من الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية كان فاسداً .

ولم يكن لكل من هؤلاء العرب والفرس والروم أهداف يؤمنون بها
ويضعون في سبيل تحقيقها .

مناقشة الموقف العسكري للطرفين

أصبح واضحاً من دراسة الموقف العسكري للطرفين ، أن المسلمين
- على قلتهم - أقوى من أعدائهم المشركين والروم والفرس - على كثرتهم -
وذلك لأن المسلمين يتنازروا على أعدائهم بمقيدتهم الراسخة وإيمانهم العميق
بأهدافهم ، وبذلم عن طيبة خاطر كل ما يملكونه في سبيل تحقيق تلك
الأهداف .

لقد رأينا في الحرب العالمية الثانية وفي كل حرب قديمة وحديثة ، كيف أن
المتحاربين يحاولون بشق الطرق اقناع جيوشهم بعدالة قضيتهم ، ليدفعوا تلك
الجيوش الى التضحية في سبيل تلك القضية .

بذل كل من الحلفاء ودول المحور في الحرب العالمية الثانية أقصى جهودهم لإقناع
أهمم والشعوب الاخرى بسمو اهدافهم التي يحاربون من أجلها .

لقد فعل الحلفاء والمحور كل ذلك لغرض واحد : هو جعل جنودهم يقاتلون
في سبيل هدف معين ، وجعل شعوبهم والشعوب الاخرى تؤمن بهذا الهدف ،
وبذلك وحده يمكن أن يضحي الجندي بنفسه في ساحات القتال وتضحي الأمة
بما تملكه في سبيل تحقيق تلك الأهداف .

إن كل جيش يحارب (بمقيدة) لتحقيق هدف (معين) . لا بد أن
(يستقبل) في سبيل عقيدته وهدفه ، وبذلك يصعب قهره اذا لم يكن ذلك
مستحيلاً . وقد يفشل في معركة محدودة ، ولكن النتيجة مضمونة له
على كل حال .

أمّا الجيش الذي لا عقيدة له ولا هدف ، فما أسهل ان تتعظم مغنوياته عند
الخطر اذا كانت لديه مغنويات !!

وما أصدق نابليون حين يقول : « ان العامل المعنوي في الحرب اكثر أهمية من العامل المادي . نسبة ثلاثة الى واحد » ...

ان الموقف العسكري كان بجانب المسلمين نتيجة للاستحضارات الدقيقة المتأخرة التي أنجزها الرسول . وقد كان الوقت صالح للمسلمين أيضاً لأنه كلما مرت الأيام ازداد المسلمون عدداً وقوة وازداد إيمانهم بعقيدتهم وتفانيهم في سبيلها .

ان قضية تغلب المسلمين القليلين على اعدائهم الكثيرين ، كانت معلومة النتائج من الوجهة العسكرية قبل نشوب القتال ، نظراً لأعداد قوات المسلمين على نظام رصين مكين ، ونظراً لأن نظام اعدائهم كان فاسداً من كافة الوجوه .

ولعل في توضيح الموقف العسكري للطرفين ما يعطي بعض الجواب للمؤرخين والمفكرين عن تساؤلهم : كيف تم الفتح الاسلامي بمثل تلك السرعة ، فاستطاع المسلمون في خلال ثلاثين سنة فقط من ظهور دعوتهم ، ان يكونوا امبراطورية تمتد من الصين شرقاً الى حدود فرنسا غرباً والى تركستان شمالاً والى البحر العربي جنوباً ... !



الدفاع عن العقيدة

«الذين آمنوا يقاتلون في سبيل
الله ، والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت »

القرآن الكريم

دوريات القتال

والاستطلاع الأولى^(١)

الموقف العام

- المسلمون

استقر المهاجرون بالمدينة ، وآخى الرسول بينهم وبين الأنصار ، فأصبحوا إخوة في الله .

ومعنى الإخاء ان تذوب العصبية الجاهلية ، فلاحية الاسلام ، وان تذهب فوارق النسب واللون والوطن . وقد ظلت عقود الاخاء هذه مقدمة على حقوق القرابة حتى توارث التركات الى موقعة بدر ، اذ بقي بعدها الاخاء المعنوي وانفصم الاخاء المادي في الموارث .

٢ - المشركون لليهود

آ - المشركون

يترتبص الأعراب المجاورون للمدينة الدوائر بالمسلمين ، ويحاولون انتهاك فرصة سانحة للإيقاع بهم .

وتحاول قريش جهدها القضاء على المسلمين في موطنهم الجديد ، بعد أن فشلت

(١) الدوريات

منازل واجبا جمع المعلومات عن قوة العدو وتسلحه وعن الارض ، وهي نوعان : دوريات استطلاع ، وهي المفاوز التي تحصل المعلومات دون قتال ، ذلك تكون بحرية المدد سرية الحركة .

دوريات قتال ، وهي المفاوز التي تحصل المعلومات بالقتال لذلك تكون قوية في عددها وعددها

خارطة
الطرف بين مكة والمدينة

أحمد
المدينة المنورة - ذوالحجفة

النسب

بيع البحر

لا تتردد

حزب الاسلام

المفرد

4

9

3

1

الاسماء

—

1

10/10/10

وہ

1

1

15-00000

10

15

2

100

۱۰۰

1

1

5

11

11

تجدید

5

11

1

المقاييس

میر

اسٹریٹجی • میں

في القضاء عليهم بمكة ، كما يتنى مشركو ومناقضو المدينة ان يتخلصوا من المسلمين الدخلاء

ب - اليهود

طمع اليهود اول وصول محمد الى المدينة ، ان يضموه اليهم ، فوادعوه وعاهدوه على حربية نشر الدعوة للدين الجديد .

ولكنهم لم يلبثوا حين رأوا أمر المسلمين يستقر ويسمو ، ان بدأوا يقلبون للمسلمين ظهر الحن ويعملون للوقعة بينهم ، ولم يتركوا وسيلة للفساد وإثارة البغضاء بين المهاجرين والانصار ولا يلاحظ الاحقاد الماضية بين الاوس والخزرج بذكر يوم (بعاث) ورواية ما قيل فيه من الشر ... الا استغلوها .

الهدف الحيوي من الدوريات

اشعار المشركين واليهود بقوة المسلمين لكي يتروكوا احراراً في نشر دعوتهم والدفاع عن عقيدتهم ضد المعتدين .

سير الحوادث

راجع الملحق (آ)

١ - سرية حمزة

(آ) هزات الطرفين

اولاً - المسلمون

دورية قتال بقوة ثلاثين راكباً من المهاجرين بقيادة حمزة بن عبد المطلب .

ثانياً - المشركون

قافلة تجارية لقريش بحميتها ثلاثمائة راكب بقيادة أبي جهل بن هشام .

ب (الهدف

الوصول الى (المبص) على ساحل البحر ، لتهديد طريق تجارة قريش بين

مكة والشام .

ج) النتائج

وصلت قوات المسلمين الى ساحل البحر الاحمر فاجية (العيص) على الطريق لتجارية الحيوية بين مكة والشام ، وهددت قافلة قريش التجارية فعلاً ، الا ان (مجدي بن عمرو الجهمي) حجز بين الطرفين ، فعاد المسلمون دون قتال .

٢ - سوية عبيدة بن الحارث

أ) قوات الطرفين

اولاً - المسلمون

دورية قتال بقوة ستين راكباً من المهاجرين بقيادة عبيدة بن الحارث
ثانياً - المشركون
أكثر من مائتي راكب ورجال بقيادة أبي سفيان .

ب) الهدف

الوصول الى (وادي رابغ) لتهديد تجارة قريش بين مكة والشام .

ج) النتائج

وصلت قوات المسلمين الى (وادي رابغ) على الطريق التجارية لقريش بين الشام ومكة ، ففرّ من المشركين مسلمان كافا يكتان اسلامهما التحقا بقوات المسلمين .

وعاد الطرفان دون قتال ، بعد أن أظهر المسلمون للمشركين قوتهم .

٣ - سوية سعد

أ) قوات الطرفين

اولاً - المسلمون

دورية استطلاعية بقوة ثمانية مهاجرين بقيادة سعد بن أبي وقاص .

ثانياً - المشركون

قافلة تجارية لقريش بحماية عدد غير معروف من رجالهم .

ب) الهدف

الوصول الى (الحرار) لتهديد طريق قريش التجارية بين مكة والشام .

ج) النتائج

لم يستطع سعد بن أبي وقاص اللحاق بالقافلة ، ففاته ، لان عيسون قريش علمت بخروج المسلمين اليهم فأسرعوا بالحركة قبل أن يداهمهم الخطر .

٤ - غزوة ودّان

أ) قوات الطرفين

اولاً - المسلمون

دورية قتال بقوة مائتي راكب وراجل بقيادة الرسول .

ثانياً - المشركون

قوة من قريش ومن بني ضمرة .

ب) الهدف

الوصول الى (ودّان) لتهديد طريق قريش التجارية بين مكة والشام والعمل على التحالف مع القبائل المسيطرة على هذه الطريق .

ج) النتائج

وصلت قوات المسلمين الى (ودّان) الا انها لم تصطدم بقريش ، بل لاقت بني ضمرة ، فمقد الرسول معهم حلفاء .

٥ - غزوة بواط

أ) قوات الطرفين

اولاً - المسلمون

دورية قتال بقوة مائتي راكب وراجل بقيادة الرسول .

ثانياً - المشركون

قافلة تجارية لقريش بحماية مائة راكب وراجل يقودهم أمية بن خلف

ب) الهدف

الوصول الى (بواط) من ناحية جبل (رضوى) على الطريق التجارية لقريش بين مكة والشام .

ج) النتائج

وصلت قوات المسلمين الى (بواط) ، ولكن عيون قريش علمت بخروج تلك القوات ، فأسرعت فافلتهم بحركتها ، وسلكت طريقاً غير طريق القوافل المعبّدة ، ففالت القافلة على دورية القتال .
وقد بقي المسلمون في (بواط) ما يقارب الشهر الواحد .

٦ - غزوة العشيرة

أ) قوات الطرفين

اولاً - المسلمون

دورية قتال بقوة مائتي راجل وراكب بقيادة الرسول

ثانياً - المشركون

بنو (مدلج) وأحلافهم من بني ضمرة وقافلة تجارية لقريش بقيادة أبي سفيان

ب) الهدف

الوصول إلى موضع (العشيرة) في منطقة (ينبع) على الطريق التجارية لقريش بين مكة والشام ، لانتقام مع القبائل وإظهار قوة المسلمين للمشركين .

ج) النتائج

أقام المسلمون شهراً في (العشيرة) ، فودعوا بها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة .. اما قافلة قريش فتملصت من المرور (بالعشيرة) .
وعاد المسلمون دون قتال .

٧ - غزوة بدر الاولى

أ) قوات الطرفين .

اولاً - المسلمون

دورية قتال بقوة حوالي مائتي راكب وراجل بقيادة الرسول .

ثانياً - المشركون

قوات خفيفة وسريعة أغارت على مراعي ضواحي المدينة واستأقت بعض الإبل وأغنام المسلمين .

ب (الهدف

مطاردة قوات المشركين وتخليص الغنم والإبل المنتهبة .

ج (النتائج

وصلت قوات المسلمين الى « وادي سفوان » قريباً من « بدر » فلم تدرك

قوات المشركين ، فعادت أدراجها بدون قتال .

٨ - سوية عبدالله بن جحش

(أ) قوات الطرفين

اولاً - المسلمون

دورية استطلاعية بقوة ثمانية مهاجرين بقيادة عبدالله بن جحش . تحركت

الدورية في شهر رجب ، ومع قائدتها رسالة مكتومة ، أمره الرسول وألا يقتحها

الا بعد يومين من مسيره ، فإذا انتحها وفهم ما فيها ، مضى في تنفيذها غير

مستكره أحداً من أفراد قوته على مرافقته !..

كان مضمون الرسالة : « اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل (نخلة)

بين مكة والطائف ، (فتروصد) بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم ، » .

أطلع عبدالله قوته على كتاب الرسول هذا ، وأخبرهم أن الرسول نـهـاه أن

يستكره أحداً منهم على مرافقته . فلم يتخلف منهم احد . ومضى عبدالله بقوته

هذه عدا سعداً بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان اللذين ذهبا يطلبان بغيراً لهما ضل ،

فأسرتها قريش ، حتى نزل ارض نخلة فمرت قافلة قريش ، فهاجها المسلمون ،

فقتل في هذه المعركة من المشركين عمرو بن الحضرمي وأسر المسلمون رجلين من

قريش وفر الرابع الى قريش .

وعاد عبدالله بالقافة والأسيرين الى المدينة .

ثانياً - المشركون

قافة تجارية بحماية أربعة رجال من قريش بقيادة عمرو بن الحضرمي

ب (الهدف

الوصول الى (نخبة) واستطلاع أخبار قريش والحصول على المعلومات عنها ،
كما نص على ذلك كتاب الرسول ، ولم يكن الهدف قتال قريش .

ج (النتائج

اولاً - أدى (اندفاع) عبدالله بن جعش الى القتال في الشهر الحرام ، مما
يخالف تقاليد العرب حينذاك ، فانتهزتها قريش فرصة سانحة للدعاية ضد المسلمين .
ولم يكن الرسول يريد (قتالاً) ، بل كان يريد استطلاعاً .
ثانياً - وقع في هذه الغزوة أول قتل من المشركين وأول غنيمة وأول
أسيرين ، وقد فادى الرسول هذين الأسيرين ، فأسلم احدهما وعاد الثاني أدراجه
الى مكة .

دروس من الدوريات

١ - الاستطلاع

استطاع المسلمون التعرف على الطرق المحيطة بالمدينة المؤدية الى مكة خاصة
الطريق التجارية الحيوية لقريش بين مكة والشام ، كما استطاعوا التعرف على
قبائل المنطقة وموادعة بعضها .

٢ - القتال

أثبت المسلمون أنهم أقوياء يستطيعون الدفاع عن أنفسهم تجاه المشركين من
قريش والقبائل المجاورة وأهل المدينة ، وتجاه اليهود .

وأن بإمكانهم الدفاع عن عقيدتهم عند الحاجة .
وقد أراد المسلمون من ذلك أن تترك لهم الحرية الكاملة لنشر دعوتهم دون تدخل أعدائهم .

ب (تحالف المسلمون مع بعض القبائل المجاورة

٣ - الكتبان

ابتكر الرسول أسلوب (الرسائل المكتومة) للمحافظة على الكتبان وحرمان العدو من الحصول على المعلومات التي تفيده عن حركات المسلمين ، والكتبان اكبر عامل من عوامل مبدأ (المباغثة) (١) أهم مبدأ من مبادئ الحرب . وقد سبق المسلمون غيرهم في ابتكار هذا الأسلوب الدقيق (للكتبان) قبل أن يظن اليه الالمان ويستعملوه في الحرب العالمية الثانية .

٤ - الحصار الاقتصادي

هدد المسلمون أهم طريق تجارية بين مكة والشام ، فأصبحت قوافل قريش غير آمنة حين تسلك هذه الطريق ، مما أضرَّ أسوأ الأثر على تجارة قريش التي تعيش عليها ، وهدد مكة بالحصار الاقتصادي بمحاولة حرمانها من سلوك طريق مكة - الشام بأمان .

(١) المباغثة

هي أحداث موفف لا يكون العدو مستداه ، والكتبان من جهة الوسائل المبهمة التي تؤدي الى المباغثة .

جمل بيان دوريات القتال والاستطلاع الأولى

(٢) الملحق

النتائج	التاريخ	المكان	قائد الشركين	قوة الشركين	فائد المسلمين	قوة المسلمين	اسم الغزوة	الترتيب
حزير بين الفريقين جدي بن عمرو الجبلي	رمضان من السنة الأولى لهجرة	الميص	أبو جهل ابن هشام	٣٠٠ راكباً	حزرة بن عبد المطلب	٣٠ راكباً من المهاجرين	سرية حزرة	١
عاد المسلمون بدون قتال	شوال من السنة الأولى لهجرة	ماء بالجزاز بوادي رايح	أبو سفيان	أكثر من ٢٠٠ بين راكب وراجل	عبدة ابن الحارث	٦٠ راكباً من المهاجرين	سرية عبدة بن الحارث	٢
فوت قافلة المشركين	ذو القعدة من السنة الأولى لهجرة	الحارار	-	-	سعد ابن أبي وقاص	٨ راكبين من المهاجرين	سرية سعد بن أبي وقاص	٣

حالف بني ضمرة	صهر من السنة الثانية لهجرة	ودان	-	-	محمد	٢٠٠ راكب وراجل	غزوة ودان	٤
لم يدرك المسلمون القافلة لسر كهاطرياً فغير طريق القوافل المبددة	ربيع الأول من السنة الثانية لهجرة	براط	أمية بن خلف	١٠٠ راكب وراجل	محمد	٢٠٠ راكب وراجل	غزوة براط	٥
وادع بني مدلاج وحلفاهم بني ضمرة	جاء في الأول من السنة الثانية لهجرة	العشيرة	أبو سفیان	قوة من قرين وبني مدلاج وبني ضمرة	محمد	٢٠٠ راكب وراجل	غزوة المشيرة	٦
لم يدرك المسلمون كرز بن جابر	جاء في الآخرة من السنة الثانية لهجرة	وادي سفوان	كرز ابن جابر النهري	-	محمد	٢٠٠ راكب وراجل	غزوة بدر الأولى	٧
١ - أول قتيل من المشركين ٢ - أول أسير من المشركين ٣ - أول غنيمة للمسلمين ٤ - أول استنساخ للرسائل المكشوفة	رجب من السنة الثانية لهجرة	غزالة	عمرو بن الخطرمي	٤ رجال	عبد الله ابن جعش	٨ راكبين	سرية عبد الله ابن جعش	٨



الصراع الحاسم بين عقيدتين

« اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها
محاوّل ان تكذب رسولاك ، اللهم
فنهرك الذي وعدتني »
« اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم
لا تعبد ،

محمد رسول الله

غزوة بدر الكبرى

المركة الحاسمة الاولى للاسلام

الموقف العام

١- المسلمون

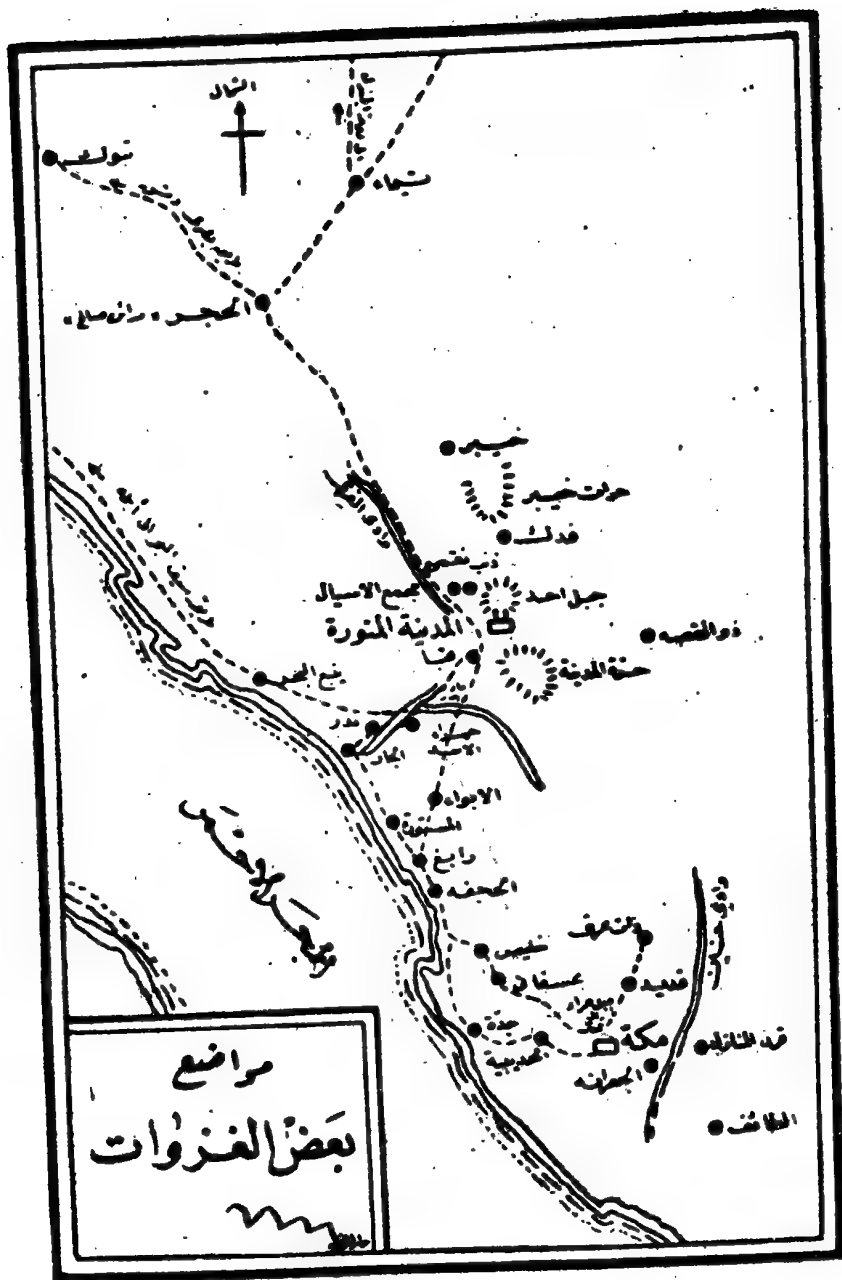
ازداد عدد المسلمين في المدينة وازدادوا قوة وغناصاً ، لكن حالتهم الاقتصادية كانت متردية ، لان اكثر المهاجرين فروا بأنفسهم وعقيدتهم من مكة وتركوا اموالهم هناك ، ولان الانصار شاركوا المهاجرين بأرزاقهم القليلة ، فلا عجب إذا رأينا المسلمين يفكرون جدياً في استخلاص اموالهم من قريش .

٢- المشركون واليهود

اصبح للمشركين ثأر عند المسلمين في قتل عمرو بن الحضرمي ، فلا بد من الاخذ بهذا الثأر حتى تعود لقريش وحلفائها كرامتهم وهيبتهم عند العرب .

كما ان الطريق التجارية الحيوية بين الشام ومكة اصبحت تحت رحمة المسلمين وحلفائهم ، ومعنى ذلك موت تجارة قريش وتزدي مركزها الاقتصادي ، كما ان انتشار نفوذ المسلمين وازدياد قوتهم يوماً بعد يوم لا يتفق مع احتكار قريش للسيادة على العرب .

تلك هي العوامل المهمة التي جعلت قريشاً تفكر جدياً في انتهاز اول فرصة للقضاء على الدين الجديد ، وكانت اليهود في المدينة يثيرون الحرب الباردة ضد المسلمين ويحاولون اختلاق المشاكل لهم ويقومون بواجب (القتل الخامس) لقريش .



١٠٠٠٠٠٠ / ١

١٠٠٠٠٠٠ / ١

١٠٠٠٠٠٠ / ١

قوات الطرفين

١ - المسلمون

بلغت قوة المسلمين (٣١٥) رجلاً من المهاجرين والانصار بقيادة الرسول ، وكان معهم فرسان فقط وسبعون بعيراً يعتقب الرجالن والثلاثة والاربعة على البعير الواحد .

٢ - المشركون

بلغت قوة المشركين (٩٥٠) رجلاً اكثرهم من قريش ، معهم مائتا فرس يقودونها وعدد كبير من الإبل لركوبهم وحمل امتعتهم ، وكانت هذه القوة بقيادة عدد من رجالات قريش .

اهداف الطرفين

١ - المسلمون

أ (الاستيلاء على القافلة (١) التجارية لقريش بقيادة أبي سفيان ، التي كان يحمياها بين ثلاثين الى اربعين رجلاً .
ب (البقاء في (بدر) بعد افلات القافلة حتى يتسامع المشركون بقوة المسلمين فيها يوم ويتركوا لهم حرية نشر الدعوة لديهم .

٢ - المشركون

أ (حماية القافلة التجارية القادمة من الشام .
ب (عند افلات القافلة تضاربت الآراء في القتال او للعودة ، فتغلب

(١) راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي .

وسائل العنف الموجهة ضد الاموال

يسمح قانون الحرب للدولة المحاربة الالتجاء الى انواع معينة من وسائل العنف ضد الاموال .
فهو يميز لها في حدود معينة اتلاف اموال الاعداء ومصادرتها .. الخ .

وأبي القائلين بالقتال للأخذ بثأر عمرو بن الحضرمي للقضاء على قوات المسلمين .
ولتعرف العرب قوة قريش وسطوتها .

قبل المعركة

١ - المسلمون

(أ) خرج أبو سفيان وأوائل الحريف من السنة الثانية للهجرة في تجارة كبيرة إلى الشام ، وقد أراد المسلمون اعتراضها في غزوة « العشرة » عند ذهابها ، إلى الشام ولكنها تخلصت منهم .

وتحسب المسلمون عودتها من الشام ، فبعث الرسول طلحة بن عبد الله وسعيد ابن زيد ينتظرانها ، حتى إذا وصلا إلى « الحوراء » على طريق الشام - مكة مكثا هناك ، فلما مرت القافلة بهم ، أسرعوا إلى المسلمين يخبرانهم بأمرها .

ندب الرسول المسلمين للخروج ، وقال لهم : « هذه غير قريش فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها » . وخف بعض الناس وثقل بعض ، لأنهم لم يظنوا أن الرسول سيخوض معركة حاسمة ضد المشركين ، بل ظنوا أن هذه الغزوة ستكون عبارة عن مناوشات طفيفة ، كما حدث في السرايا والغزوات السابقة ، وأراد جماعة لم يسلموا أن ينضموا إلى المسلمين طمعاً في الغنيمة ، فأبى محمد عليهم الانضمام أو يؤمنوا بالله ورسوله .

(ب) تحركت قوات المسلمين من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة بالترتيبات التالية :

أولاً - دورية استطلاعية أمامية للحصول على المعلومات عن اتجاهات القافلة التجارية ونوايا قريش .

ثانياً القسم (١) الأكبر مؤلف من كتيبتين : كتيبة المهاجرين ورايتها مع علي

(١) القسم الأكبر : تعبير عسكري يقصد به القوة الرئيسية من القطعات المتحركة لأغراض القتال .

ابن أبي طالب ومير بن هاشم ، وكتيبة الانصار ورايتها مع سعد بن معاذ وهاتان الرايتان سوداوان .

ثانياً - مؤخرة بلبرة قيس بن أبي صعصعة .

رابعاً - راية المسلمين العامة بيضاء مع مصعب بن عمير بن هاشم .

ج (سلكت قوات المسلمين طريق القوافل بين المدينة وبدر البالغ طوله حوالي ١٦٠) كيلومتراً ، وقد قسم الرسول الإبل المتيسرة وعددها سبعون بعبيراً على أصحابه ، وكان من نصيبه مع علي بن أبي طالب ومروث بن أبي مروث الغنوي بعبير واحد يعتقبونه : تماماً كما يفعل أي فرد من قواته .

قال شريكاً للرسول في البعير : نحن نغشي عنك ، فقال : ما أننا بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما . وأواد بذلك المساواة مع أي فرد من قواته .

د (انطلق المسلمون مسرعين خوفاً من افلات قافة أبي سفيان منهم ، وبشوا عيونهم يتعرفون الاخبار ، فلما وصلوا ، قريباً من « الفراء » بعث الرسول دورية استطلاعية قوتها رجلان الى « بدر » للحصول على المعلومات عن قريش وقافلتها ، فلما وصل المسلمون « وادي ذفران » جاهد الحبر بخروج قريش من مكة لتجدة قافلته .

هـ (اخبر الرسول اصحابه بما بلغه من امر قريش طالباً مشورتهم فادلى ابو بكر وعمر برأييهما ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ! امض لما امرك الله فنحن معك ، والله لا نقول كما قال بنو اسرائيل لموسى : انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فوافذي بمك بالحق لو سرت بنا الى « برك الفهاد (١) » لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه .

فسكت الناس فقال الرسول : اشيروا علي أيها الناس ، وكان يريد بكلية هذه الانصار الذين يابعوه يوم العقبة على ان يمنعوهم بما يمنعون منه ابناهم ونساءهم ولم

(١) برك الفهاد : موضع في اليمن . ويقال : هو ارضي حبر .

يبايعوه على صد اعتداء خارج مدينتهم ، فكان الرسول يحشى الا تكون الانصار ترى عليها نصره الا بمن يهاجه في المدينة .

فلما احس الانصار ان الرسول يريد سماع رايهم ، قام سعد بن معاذ وقال :
« لكنك تريدنا يا رسول الله ؟ » فقال : « اجل ا »

قال سعد : « لقد آمانا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدونا وموائقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك . فوالذي بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى بنا عدونا غداً : انا لصبر في الحرب صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله . »

وارتحلوا جميعاً حتى اذا كانوا على مقربة من بدر (انطلق الرسول أمام قوافله وبصحبه أبو بكر ، حتى وقف على شيخ من العرب . فسأله عن قريش وعن محمد واصحابه وما بلغه عنهم ، قال الشيخ : « لا أخبركما حتى تخبراني (بمن) أتيا ؟ »

قال محمد : « إذا أخبرتنا أخبرناك » .

علم الرسول من شيخ العرب أن غير قريش قرية منه ، فقال لشيخ العرب :
« نحن من ماء » . ثم انصرف وصاحبه عنه والشيخ يقول : « ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ » وهكذا لم يخبره الرسول عن هويته حتى لا تعلم قريش بمواضع المسلمين .

(و أرسل الرسول دوريتي استطلاع غرضها الحصول على معلومات عن قوة قريش ومواضعها .

الدورية الاولى مؤلفة من علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من اصحابه ، استطاعت الوصول إلى ماء بدر ، وعادت ومعها غلامان لقريش ، فاستنطقها الرسول ، وعلم منهما أن قريشاً وراء الكتيب (بالعدوة القصوى) ولما أجابا : « بأنهما لا يعرفان عدد رجال قريش » . سالهما :

كم ينحرون يوماً؟. فأجابا : « يوماً تسعاً ويوماً عشراً » ، فاستنبط الرسول من ذلك أنهم بين التسمة والألف ، وعرف من المسلمين كذلك أن أشرف قريش جميعاً خرجوا لمنعه .

والدورية الثانية مؤلفة من رجلين من المسلمين وصلوا ماء بدر ، فسمعا جارية تطالب صاحبها بدين عليها والثانية تحيها : « لما تأتي العير غداً أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك » فعاد الرجلان فأخبرا الرسول بما سمعا .

ز) تأهب المسلمون لحوض المعركة وعسكروا في أدنى ماء من بدر ، فجاء الحباب بن المنذر الى رسول الله ، فقال : « رأيت هذا المنزل ، أمثلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ » . قال : « بل هو الحرب والرأي والمكيدة » .

قال الحباب : « يا رسول الله . فان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم ، فنمسكر فيه ثم نعوذ (١) ما وراه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون » ..

أنفذ الرسول هذا الرأي ، فما حل نصف الليل حتى تحول المسلمون الى مصكرهم الجديد ، وامتلكوا مواقع الماء ، وأعلن الرسول لأصحابه : « أنه بشر مثلهم » ، وان الرأي شورى بينهم ، وأنه لا يقطع برأي دونهم ، وأنه في حاجة الى حسن مشورة صاحب المشورة الحسنة منهم ، ...

وانجزوا بناء الحوض وملأوه ماء ، ثم غوروا المياه الاخرى ، وتم كل ذلك ليلاً ، ثم أخذوا قسطنهم من الراحة بقية الليل ، ليكونوا أقوى في الصراع الروشيك .

(١) نور : تروى هذه الكلمة بالعين المهملة . ومثلاً على ذلك . (نفسد) وذلك بأن ينفخوا في القلب اجباراً وترأياً فيفسدوا على اعدائهم . وتروى بالعين المهملة . ومثلاً عندنا نجهل بنور في الارض . وهو قريب من سابقه .

٣ - المشركون

علم أبو سفيان بخروج محمد لاعتراض قافلته حين رحلته إلى الشام ، فخاف أن يعترضه المسلمون حين عودته .

لقد كانت القافلة حوالى ألف بعير موقرة بالأموال ، اذ لم يبق أحد من قريش رجالاً ونساء لم يساهم فيها بحظ حسب إمكانياته الاقتصادية ، حتى قوم ما تحطه القافلة بخمسين ألفاً من الدنانير .

ولما تأكد أبو سفيان من خروج محمد وأصحابه للتعرض لقافلته العزلاء الا من ثلاثين أو أربعين رجلاً ، استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه مسرعاً الى مكة ليستنفر قريشاً الى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها ، في أصحابه .

وصل ضمضم الى مكة ، فقطع اذن بعيره ، وجدد أنفه وحول رحله ، ووقف هو عليه وقد شق قميصه من قبل ومن دبر ، وجعل يصيح : يا معشر قريش ! الطيبة الطيبة (١) ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ... لا أرى أن تدركوها . الفوث الفوث ...

ولم تكن قريش في حاجة الى من يستنفرها ، فقد كان لكل فرد منها في العير نصيب .

ولما فرغت قريش من جهازها واجمعت المسير ، ذكرت ما كان بينها وبين بني (كنانة) من الحرب والحزازات ، فخشوا أن تضربهم (كنانة) من الحلف ، وكاد هذا المحدثور يقمدهم عن الخروج لولا أن جاء مالك بن جشعم المدلجي ، وكان من أشرف بني كنانة ، فقال : « أنا جار لكم من ان تأيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه » ...

إذ ذاك قررت قريش الخروج خاضعة لرأي دعاة الحرب وعلى رأسهم أبو جهل ، أشد الناس عداوة للمسلمين ، وعامر بن الحضرمي أخو عمرو بن الحضرمي الذي قتله المسلمون في (نخلة) والذي يحرص على الأخذ بثأره .

(١) الطيبة : هي الابل تحمل الطيب .

ولم يتخلف من أشراف قريش غير أبي لهب الذي أرسل مكانه رجلاً آخر ،
كما حشد هؤلاء كافة القادرين على حمل السلاح من قريش وحلفائهم .
وسبق أبو سفيان قافلته للحصول على المعلومات عن قوة المسلمين ومواضعهم ،
فلما ورد ماء بدر وجد عليه مجدي بن عمرو ، فسأله : « هل رأى أحداً من
المسلمين ؟ » فأجاب مجدي : « لم أر الا راكبين أفاخا الى هذا التل » ، وأشار
الى حيث أفاخ الرجلان من المسلمين .

فحص أبو سفيان مناخها ، فوجد في روث بميرجها نوى عرفة في علائف
يثرب فأدرك أن الرجلين من أصحاب محمد ، وأن جيشه منه قريب ، فرجع
الى القافلة ليغير طريقها نحو الساحل ، تاركاً بدرأ الى يساره ، وأسرع في
مسيره حتى بعدت المسافة بين القافلة وبين قوات المسلمين ، وارسل أبو سفيان
الى قريش يطلب منهم ان يعودوا أدراجهم الى مكة لنجاة قافلته من
المسلمين .

وأرسلت قريش حمير بن وهب الجمحي ليستطلع لهم قوة المسلمين ، فرجع
إليهم ليخبرهم أنهم ثلاثائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون ولا كمين لهم ولا مدد ،
ولكنهم قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، فلا يموت منهم رجل قبل
أن يقتل رجلاً مثله . وتضاربت آراء قريش ، فمنهم من يريد الرجوع منهم
بنو زهرة الذين رجعوا فعلاً ، ومنهم من يريد البقاء ، ومعنى ذلك الاصطدام
بالمسلمين .

قال أبو جهل زعيم الذين أرادوا البقاء لقتال المسلمين : « والله لا نرجع حتى
نرد بدرأ ، فنقيم عليه ثلاثة نجر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف
علمنا القيان ، وتسمع بنا العرب وبميرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابونا أبداً
بعدها » .

وقصد حكيم بن حزام عتبة بن ربيعة فقال : « يا أبا الوليد ! إنك كبير
قريش وسيدها والمطاع فيها . هل لك الى ان لا تزال تذكر فيها بخير الى آخر
الدهر ؟ » .

قال عتبة : « وما ذاك يا حكيم » ؟ .

قال حكيم : « ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي » .

قال عتبة : « قد فعلت . أنت علي بذلك » ، إنما هو حليفي فعلي عقله (١) وما أصيب من ماله ، فأنت ابن الحنظلية - يقصد أبا جهل - فإني لا أخشى أن يشجر - أي يخالف بين الناس ويحملهم على عدم الوفاق - أمر الناس غيره » .

قال حكيم : « فانطلقت حتى جئت أبا جهل ، فوجدته نثل درعاً - أي أخرج درعه - من جرابها ! يهنأ - أي يتفقدوها ويعدوها للقتال - فقلت يا أبا الحكم ، إن عتبة أرسلني إليك بكذا كذا » ..

قال أبو جهل : « انتفخ والله سحره (٢) - يقصد ان عتبة جبن - حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم بالله بيننا وبين محمد ، وما بعثة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه ، تخوفكم عليه » ..

وبعث أبو جهل الى عامر الحضرمي فقال : « هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينيك ، فقم فانشد خفرتك (٣) » . فقام عامر الحضرمي فاكشف ، ثم صرخ : « واعمراه !! واعمراه !!

ولما علم عتبة قول أبي جهل : « انتفخ والله سحره » ، قال : « سيعلم مصفراسته - أي الجبان - من انتفخ بسحره ، أنا أم هو ! » . ولم يبق من القتال مفر .

سير القتال

١ أنجز المسلمون قبل بدء القتال ما يلي : -

(١) عقله : ديت .

(٢) سحر : الرثة وما حولها .

(٣) الخفر : بضم الخاء او فتحها هو العهد . وانشدما اي اذكرها .

١ - انتخب الرسول موضعاً مشرفاً على منطقة القتال في بدر وبني فيه مقره - العريش - وأمن حراسة هذا المقر .

ب - جرى ترتيب المقاتلين في صفوف وساوى الرسول بين الصفوف بعد أن شجع أصحابه وحرصهم على الصبر في القتال .
وأمر الرسول أصحابه أن يصدوا هجمات المشركين وهم راابطون في مواقعهم وقال لهم : « إذا اكتنفكم القوم فانضوهم بالنبل ، ولا تحملوا عليهم حتى تؤذنوا ... »

ج - كانت كلمة التعارف بين المسلمين وشعارهم في القتال : احد .. احد .
٢ - دخل المسلمون المعركة بالأسلوب الآنف الذكر : مقر قيادة كامل ، وسيطرة لقائد واحد واسلوب جديد في القتال لم تعرفه العرب من قبل ، هو اسلوب الصف .

٣ - أما المشركون فقد مارسوا اسلوب قتال (الكر والفر) بدون قيادة ولا سيطرة ، بحيث جرى قتالهم كأفراد لا كجموعة موحدة .

٤ - بدأ المشركون بالهجوم أولاً ، إذ هجم الأسود بن عبد الأسد على الحوض الذي بناه المسلمون قائلاً : « أعاهد الله لأشرب من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموئح دونه » . فتصدى له حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف ضربة أطارت نصف ساقه ، ومع ذلك حبا الى الحوض لاقطعاه ، وتبعه حمزة يقاتله حتى قتله فيه .

٥ - برز من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة الوليد بن عتبة ، فخرج اليهم فتية من الانصار ، ولكن الرسول أعادهم وطلب خروج عبيدة بن الحارث وحمزة وعلي بن ابي طالب ، لأنهم من اهله فهو يؤثرهم بالخطر على غيرهم ولأن شجاعتهم وبما رستهم للقتال معروفة ، لذلك فإن نجاحهم مضمون على رجالات قريش ، مما يرفع معنويات المسلمين ويضعف معنويات المشركين .

بارز عبيدة عتبة وبارز علي الوليد ، وبارز حمزة شيبة . فأما حمزة فلم يهل شيبة ان قتله وكذلك فعل علي ، وأما عبيدة وعتبة فقد جرح كلاهما الآخر ، ففكر علي وحمزة بأسياهما على عتبة ، فأجهزا عليه واحتملا صاحبها .

- استشاط المشركون غضباً لهذه البداية السيئة ، فأمطروا المسلمين وابلا من سهامهم وهاجمتهم فرسانهم ، الا أن صفوف المسلمين بقيت صامدة في مواضعها تصوب نبالها على المشركين متوخية إصابة ساداتهم بالدرجة الاولى ، ولم يفتن المشركون لاسلوب المسلمين الجديد في القتال ، مما جعل رجالات المشركين تتهادى بوابل نبال المسلمين المصوبة تصويباً دقيقاً والمسيطر عليها .
٧ - ونزل الرسول بنفحه يقود صفوف المسلمين ، واخذت هذه الصفوف تقترب رويداً رويداً نحو قول المشركين التي فقدت قادتها ... حتى تبعثت صفوف المشركين

وحينذاك فقط أصدر الرسول أمراً لقواته : « شذوا » ، ومعنى ذلك القيام بالمطاردة .

وبدأت مطاردة المسلمين لفلول المشركين ، وأخذوا يجمعون الغنائم والأسرى .
٨ - ابتدأت معركة بدر صباح يوم الجمعة ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وانتهت مساءه وبقي المسلمون ثلاثة أيام في بدر بعد المعركة .. ثم غادروها عائدين الى المدينة .

خسائر الطرفين

١ - المسلمون

استشهد اربعة عشر مسلماً .

٢ - المشركون

قتل سبعون رجلاً وأسر سبعون ايضاً

اسباب انتصار المسلمين

١ - قيادة موحدة

كان الرسول هو القائد العام للمسلمين في معركة (بدر) ، وكان المسلمون

يعملون كيد واحدة تحت قيادته : بوجههم في الوقت الحاسم للمحل الحاسم للقيام بعمل حاسم ، وهذا هو واجب القائد الكفء .

وكان ضبط المسلمين في تنفيذ أوامر قائدهم مثالا رائعا للضبط الحقيقي المتين ، وإذا كان الضبط أساس الجندية ، وإذا كان الجيش الممتاز هو الذي يتحلّى بضبط ممتاز ، إذا كان الأمر كذلك ، فقد كان جيش المسلمين حينذاك جيشاً ممتازاً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ .

إن معنى الضبط فيما أرى ، هو اطاعة الاوامر وتنفيذها بحرص وأمانة وعن طيبة خاطر .

وقد كان المسلمون ينفذون أوامر قائدهم بحرص شديد وأمانة رائلة وبشوق وطيبة خاطر ، ومن حقهم أن يفعلوا ذلك ، لأن قائدهم يتحلّى بصفات القائد المثالي .

ضبط للأعصاب في الشدائد ، وشجاعة فادرة في المواقف ، ومساواة لنفسه مع أصحابه ، واستشارتهم في كل عمل حاسم .

رأى الخطر محققاً بأصحابه قبل المعركة ، لأنهم قليلون وقريش تفوقهم عدداً وعداداً .. فسيطر على أعصابه وقالك نفسه وشجع أصحابه على الصبر في القتال .

وعندما اشتدت المعركة نزل يخوضها بنفسه ، وحسبك شهادة علي بن أبي طالب سيد الشجعان حيث يقول : « إنا كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم (بدر) ونحن نلوذ برسول الله وهو اقربنا الى العدو » .

ولم يؤثر نفسه ببال او راحة على أصحابه ، وقد رأيت كيف ساوى نفسه مع أصحابه حتى في اعتقاب الإبل والمشي على الأقدام .

وشاور أصحابه حين بلغه خبر خروج قريش ، وسمع رأي المهاجرين والأنصار في لقاء المشركين وقبيل مشورة أحد أصحابه في تبديل معسكره في بدر حين نزل بأدنى ماء منها ، فانتقل بالمسلمين الى حيث أشار الحباب ، وغور القلب

وبنى حوضاً على القلب الذي اتاه . واستشار المسلمين في امر الاسرى بعد المعركة ، وعمل بالرأي الذي أبداه أبو بكر الصديق ومشايعوه .
تلك مزايا القائد المثالي في كل زمان ومكان .

ولا بد للقائد من مقر يسيطر منه على المعركة ، فبنى العريش فوق رابية مشرفة على ساحة المعركة ، وكان لمقره حرس بإمرة آمر مسئول .
كل ذلك جعل المسلمين يقاتلون كرجل واحد لقاية واحدة بقيادة قائد واحد . وهذا عامل مهم من عوامل النصر في كل حرب .

اما المشركون فلم يكن لهم قائد عام . كان اكثر سراة قريش مع قوات المشركين ، ولكن البارزين من هؤلاء على ما يظهر هما رجلان : عتبة بن ربيعة وابو جهل ، وقد رأيت كيف أنهما لم يكونا على رأي واحد وليس لهم هدف موحد ، بل انهما كانا اقرب الى العداوة منها الى الاخاء .

لذلك فقد طغت الانانية الفردية على المصلحة الموحدة اثناء القتال ، وحاول كل رجل من رجالات قريش ان يظهر نفسه بطلاً لتتحدث العرب عنه ، دون ان يكتثرت بأثر ذلك على نتائج المعركة .

٢ - تعبئة جديدة

طبق الرسول في (مسير الاقتراب) من المدينة الى (بدر) تشكيلاً لا يختلف بتاتاً عن التعبئة الحديثة في حرب الصحراء .

كانت له مقدمة وقسم اكبر ومؤخرة ، واستفاد من دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات ، وتلك هي الاساليب الصحيحة لتشكيلات مسير الاقتراب في حرب الصحراء حتى في العصر الحاضر .

اما في المعركة فقد قاتل المسلمون بأسلوب (الصفوف) بينما قاتل المشركون بأسلوب الكر والفر ، ولا بد لنا من بيان الفرق بين الاسلوبين ، لمعرفة عامل من اهم عوامل انتصار المسلمين .

القتال بأسلوب الكر والفر ، هو ان يهجم المقاتلون بكل قوتهم على العدو :
النشابة منهم والذين يقاتلون بالسيوف ويطعنون بالرماح ، مشاة وفرساناً ، فان
صمد لهم العدو او أحسوا بالضعف نكصوا ، ثم أعادوا تنظيمهم وكرروا ،
وهكذا يكرون ويفرون حتى يكتب لهم النصر او الفشل .

والقتال بأسلوب الصفوف ، يكون بترتيب المقاتلين صفين او ثلاثة او اكثر
على حسب عددهم ، وتكون الصفوف الامامية من المسلحين بالرماح لصد هجمات
الفرسان ، وتكون الصفوف المتعاقبة الاخرى من المسلحين بالنبال لتسديدها
على المهاجمين من الاعداء .

وتبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها ، حتى يفقد زخم المهاجمين
بالكر والفر شدة .. عند ذاك تتقدم الصفوف متعاقبة لزحف على العدو .

يظهر من ذلك ان اسلوب الصفوف يمتاز على اسلوب الكر والفر بأنه يؤمن
الترتيب (بالعمق) فتبقى دائماً بيد القائد قوة احتياطية يعالج بها الموقف التي
ليست بالحسبان ، كأن يصد هجوماً مقابلاً للعدو او يضرب كميناً لم يتوقعه ، او
ان يحمي الاجنحة التي يدهها العدو بفرسانه او بمشاته ، ثم يستثمر الفوز
بالاحتياط من الصفوف الخلفية عند الحاجة .

ان اسلوب الصفوف يؤمن السيطرة على القوة بكاملها ، ويؤمن احتياطاً
للطوارئ ، ويصلح للدفاع والهجوم في وقت واحد ، اما اسلوب الكر والفر ،
فيجعل القائد يفقد السيطرة ولا يؤمن له اي احتياط للطوارئ .

ان تطبيق الرسول لاسلوب الصفوف في معركة بدر عامل مهم من عوامل
انتصاره على المشركين ، والتاريخ العسكري يحدثنا بأن سر انتصار القادة
العظام كالاكسندر وهنريال قديماً وفابليون ومولتكه ورومل ورونشتد حديثاً ،
هو أنهم طبقوا اسلوباً جديداً في القتال غير معروف أو قاتلوا بأسلحة جديدة
غير معروفة .

استعرض الرسول أصحابه قبل القتال ، فعندما رأهم يتزاحمون ويدنو بعضهم
من بعض جعلهم صفوفاً وأخذ يعدل صفوفه .

وبعد ذلك خطبهم حاثاً لهم على الجهاد ، وأمرهم أن يصدوا هجوم العدو وهم مرابطون في مواقعهم ، بتسديد النبال الى صدور العدو ، كما أمرهم ألا يحملوا إلا بأمر منه .

فلما تهاوت رجال قريش وضعف زخم هجومهم ، أصدر الى المسلمين أمره بالمعجم ، ثم بالمطاردة بعد انهزام المشركين .

لقد سيطر الرسول على الصفوف في دفاعها وهجومها ومطاردتها ، حتى لم يقدم أحد للمبارزة إلا بأمر منه ، ولم يقم المسلمون بأي عمل إلا بأمر منه ايضاً . وبذلك أمن السيطرة والاحتياط اللازم ... تماماً كما في الحرب الحديثة .

لقد طبق الرسول في بدر اسلوباً جديداً في القتال ، فانتصر ...

٣ .. هزيمة واسخة

رأيت كيف كان جواب المهاجرين والانصار للرسول حين استشارهم في قتال قريش .

لقد علم المسلمون بأنهم دائماً تفوقهم في العدد والعدد ، وأن عدد قوات قريش ثلاثة أمثال عدد المسلمين ، ومع ذلك اعتزموا الصمود . كما علموا أن كافة قريش قاتلتهم ، فلم يبق هناك كسب مادي يروجونه ، ومع ذلك صموا على القتال .

لقد كان للمسلمين أهداف معينة يعرفونها ويؤمنون بها ، هي أن تترك الحرية للكامنة لهم لبث دعوتهم ، حتى تكون كلمة الله هي العليا .

فما هي أهداف قريش من حربها ، الا أن تنجر الجزور وتطمع الظلمام وتشرب الحمر وتعزف القيان ، فتسحق العرب بمسيروها ، فيهاونها ابدأ بعدها ، كما يقول احد زعمائهم ابو جهل .

وهل نستطيع تسمية ذلك اهدافاً أم ذلك طيش وغرور وعصية جاهلية ؟

في هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء ، والاخوة بالاخوة ...

خالفت بينهم المبادئ ، ففصلت بينهم السيوف .

كان ابو بكر مع المسلمين . وكان ابنه عبد الرحمن مع المشركين . وكان عتبة ابن ربيعة مع قريش ، وكان ولده أبو خديفة مع محمد .

وعندما استشار الرسول عمر بن الخطاب في مصير الاسرى ، قال عمر : « أرى ان نمكّنني من فلان - قريب عمر - فاضرب عنقه ، ونمكّن علياً من عقيب بن ابي طالب فيضرب عنقه ، ونمكّن حمزة من فلان اخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله انه ليست في قلوبنا هودة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم » . فما الذي يدفع لمثل هذا القول الا عقيدة راسخة وإيمان عظيم ؟ وهل يتأثل اصحاب هذه العقائد الراسخة كما يقاتل الذين لا عقيدة لهم الا أهواء الجاهلية وعصية الأنانية وحب الظهور ؟

٤- معنويات عالية

وشجع الرسول اصحابه قبل القتال واثناؤه ، وقوى معنوياتهم حتى لا يكتروا بتفوق قريش عليهم بالعدد ، ولم تكن معنويات الذين مارسوا الحرب وعرفوها من المسلمين عالية فحسب ، انما كانت معنويات الاحداث الصغار الذين لم يمارسوا حرباً ولا قتالاً عالية ايضاً .

قال عبد الرحمن بن عوف : « اني لفي الصف يوم بدر ، اذ التفت فاذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن ، فكأنني لم آمن بمكانها ، اذ قال لي احدهما سرأ من صاحبه : يا عم ، أرنى أبا جهل . فقلت : يا ابن أخي ، ما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله ان رأيت ان اقله او اموت دونه ...

« قال لي الآخر سرأ من صاحبه مثله ، فأشرت لهما اليه ، فشدا عليه مثل الصقرين : فضرباه حتى قتلاه ، وهما ابنا عفرأ ، وقد استشهد هذان البطالان في بدر » .

فإذا كانت معنويات الفتيان الأحداث بهذا المستوى الرفيع ، فكيف تكون معنويات الرجال ؟

لقد اثبتت كافة الحروب في كافة ادوار التاريخ ، ان التسليح والتنظيم الجديدين والقوة العددية غير كافية لنيل النصر ما لم يتحل المقاتلون بالمعنويات العالية بالاضافة الى كل ذلك .

لقد كان تنظيم وتسليح الايطاليين في الحرب العالمية الثانية ممتازاً ، كما كان عددهم ضخماً ، فلم يغن عنهم كل ذلك ، لأن معنوياتهم كانت منحلة .

لذلك كانوا عبئاً ثقيلاً على حلفائهم الالمان في كل معركة اشتركوا فيها معهم . بل كان الحلفاء يعتبرون المناطق التي تشغلها القوات الإيطالية فراغاً عسكرياً لا يكتوثر به !!

ان المعنويات العالية التي كان يتحلى بها المسلمون في بدر ، من أهم أسباب نصرهم في تلك المعركة الحاسمة .

لقد كانت معركة بدر صراعاً حاسماً بين عقيدتين .. وكانت الجولة الاولى فيها للاسلام .

دروس من بدر

١ - الاستطلاع

استفاد الطرفان من دوريات الاستطلاع في الحصول على المعلومات ولبعولوا دون مباغتتهم ، وكان حصول الطرفين على المعلومات عن القوات ومواقعها جيداً ومفيداً .

وظهر لنا فائدة استنطاق الاسرى الذي أجراه الرسول مع غلامي قريش قبل المعركة في معرفة عدد قريش ، كما كان استنتاج أبي سفيان من فحصه روث ركائب المسلمين اللذين استطلعوا موقع بدر ومعرفته هويتها رائعاً حقاً .

إن تثبت الطرفين للحصول على المعلومات، حرم الطرفين من مبدأ المباغتة، فلم يستفد أحد الطرفين من هذا المبدأ الحيوي في هذه المعركة.

٢ - القيادة

برزت مزايا الرسول في القيادة بمعركة بدر : الشجاعة وضبط الأعصاب وعقد المؤتمرات الحربية قبل وأثناء وبعد المعركة ومساواة أصحابه مع نفسه بكل شيء، كما طبق الرسول لأول مرة شروط انتخاب المقر الملائم للمعركة وأتم حراسته .

٣ - الضبط والمعنويات والعقيدة

ظهر بوضوح أثر الضبط المتين والمعنويات العالية والعقيدة الراسخة في انتصار المسلمين على قريش ، وستبقى هذه المزايا حيوية لكل انتصار في كل حرب .

٤ - القضايا التعبوية

(أ) في مسير الاقتراب

كانت ترتيبات المسلمين في مسير الاقتراب ملائمة جداً ، مقدمة وقسم أكبر ومؤخرة ، وراية لكل من المهاجرين والأنصار، وراية عامة للقوات كلها . كما كانت دوريات الاستطلاع أمام الرتل تحول دون مباغتته وتزوده بالمعلومات عن قريب .

إن ترتيبات المسلمين في مسير الاقتراب تشابه تماماً ترتيبات القوات النظامية الحديثة في مسير الاقتراب في حرب الصحراء .

ب) في القتال

استخدم المسلمون لأول مرة (أسلوب الصف) في قتالهم ضد قريش ، بينما جدت قريش على أسلوب الكر والفر ، وبذلك استطاع الرسول السيطرة على قوته والاحتفاظ باحتياط للطوارئ .

لقد كان أسلوب الصف في القتال أسلوباً جديداً ، بينما كان أسلوب الكر والفر أسلوباً بالياً .

ج (كلمة التعارف

كانت كلمة التعارف في القتال بين المسلمين : احدى . احدى ، وبذلك استطاعوا أن يتعارفوا في المعركة .

ان ظروف المعركة ليست ظروفأ اعتيادية ، ومن الضروري ان يكون هناك أسلوب واضح للتعارف بين المقاتلين ، خاصة وان المسلمين والمشر كين حينذاك كانوا يتشابهون في كل شيء : في الاشكال والقيافة وفي التسليح والتنظيم ، مما يزيد اهمية كلمة التعارف ويحمل لها قيمة أعظم بما لو كان الطرفان المتحاربان مختلفان في أشكالهم وقيافتهم وتسليحهم وتنظيمهم .

هـ - القضايا الادارية

٦ (الأرزاق

كان المشر كون ينحرون بين تسعة لابل وعشرة يوماً لتأمين الطعام الحار للمقاتلين ، وكانت هذه الإبل من سراة قريش ، اما المسلمون فقد كانوا يكتفون غالباً بالتمر والسويق ، لأن حالتهم الاقتصادية كانت متروية حينذاك .

ب (الماء

بنى المسلمون حوضاً من الماء في (بدر) وملأوه بالماء واستفادوا منه يوم القتال أما بقية مياه بدر فغفروها لثلاثين من المشر كون .

أما المشر كون فكانوا محرومين من الماء يوم القتال ، مما جعل شجعانهم يحاولون اقتحام حوض المسلمين فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً .

لقد كان لنقص الماء عند المشر كين يوم القتال أثر كبير في اذدهارهم .

ج (الغنائم

جمع الرسول غنائم المعركة وقسمها بالتساوي بين المسلمين من أهل بدر ومن

عاونهم على إحراز النصر : جعل للفارس سجينين بالسهم الزائد على إعاشة فرسه وإعدادها للحرب ، وجعل للراجل سهماً واحداً ، وجعل للورثة حصة من استشهد ببدر ، وجعل حصة لمن تخلف بالمدينة فلم يشهد (بدرأ) وإنما كان قائماً بعمل للمسلمين ، ولمن حرّضه حين الخروج الى بدر وتخلف لعذر قبله الرسول .

ان النصر في الحرب لا يجرزه المقاتلون فقط ، بل يتعاون على إحرازه المقاتلون في الخطوط الأمامية والعاملون في الخلف لتهيئة اسباب النصر للمقاتلين ، لذلك لم ينس الرسول العاملين في الخلف حين قسم الغنائم بين الناس .

(د) الأسرى (١)

أولاً - أمر الرسول بقتل أسيرين لشدة عداوتها للمسلمين ، إذ اعتبرهما مجرمين لا أسيرين .

(١) راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي الواجبات نحو الأسرى

يجب معاملة الأسير طبقاً لمبادئ الإنسانية وحمايته من الاعتداء والاهانة وحب الاستطلاع عند الجمهور . ويجوز تشييل الأسرى بأعمال على ألا يكون العمل خطيراً أو ضاراً بالسمة أو متصلاً اتصالاً مباشراً بأعمال القتال .

أما القواعد الخاصة باطلاق سراح الأسرى ، فتتضمن على ان الدولة لا تلزم باطلاق سراح الأسرى بعد اعطاء كلمة الشرف ، ولا هم يلزمون بقبوله ، وإنما للأسير ان يقبله مختاراً اذا سمحت له قوانين دولته به ، وواجب على دولة الأسير ألا تطلب اليه الاخلال بوعده او تقبله منه اذا هو عرض الالتحاق بخدمة جيشها من جديد ، فاذا أخل بكلمة الشرف التي اعطاها والتحق بالجيش ثم أسره الدولة التي أطلقت سراحه او دولة حليفة لها ، جاز محاكمته على اخلائه ، والمعوبة في العادة هي الاعدام ...

ان كلمة الشرف التي يعطيها الأسير ، هي ألا يمود لحرب القوات التي اطلقته ولا يساعد في أعمال العدوان ضدها من أي ناحية وبأي وجه .

وتنتهي حالة الأسر باطلاق سراح الأسير بلا قيد او شرط او بعد اعطائه كلمة الشرف ، كما تنتهي بتبادل الأسير مع زميل له بجيش العدو او الافتداء بالمال .

لقد كانوا غنيين بعد اوتها للمسلمين حريصين على التنكيل بهم ، شديدين في إيذاء المستضعفين منهم ، وكانوا من ألدّ خصوم الدعوة .

ثانياً - أما الاسرى الباقون وعددهم ثمانية وستون فقد وزّعهم الرسول على صحابته قائلا : « استوصوا بالأسارى خيراً » .. ثم فادى أغنياء الأسرى بالمال ، فكان الواحد منهم يدفع ما بين ألف درهم الى أربعة آلاف . أما فقراء الأسرى ، فأطلق سراح بعضهم دون مقابل ، كما كلف المتعلمين منهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة ، ثم أطلق سراحهم بعد تعليم هؤلاء الاطفال .

و (القتلى (١) والجرحى (٢))

حفر المسلمون قليلاً دفنوا فيه قتلى المشركين ، وهذا ما يطابق تعاليم الحرب في وجوب دفن قتلى الأعداء .

كما اعتنى المسلمون بجرحى المشركين ، فصدوا جراحاتهم اسوة بجرحى المسلمين .

ز (التهذيب

إستفاد المسلمون من الاسرى المتعلمين لتهذيب أطفالهم ، فكان هؤلاء الاطفال النواة الأولى لكتاب الوحي وللملة الثقافة الاسلامية فيما بعد .

(١) راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي

الواجبات نحو القتلى

يفرض على الفريقين المتحاربين عامة جثث القتلى بالاحترام اللازم وعدم تشويهها ، ويجب دفنها بعد اخذ البيانات المساعدة لتحقيق شخصية صاحب الجثة .

ويجب على القائد الذي يسيطر على ميدان القتال ، ان يأخذ الاحتياطات اللازمة بعد كل حركة ، لحماية القتلى من النهب وسوء المعاملة .

(٢) الواجبات نحو الجرحى

يجب احترام وحماية الجرحى والعناية بهم كجرحى قواتنا واعتبارهم اسرى حرب بعد شفائهم .

القاعدة الأمينة

« وإما تخافن من قوم خيانة
فانذ إليهم على سواء، إن الله
لا يحب الخائنين »
القرآن الكريم

تطهير المدينة

وفرض الحصار الاقتصادي على قريش

الموقف العام

١ - المسلمون

كان المسلمون قبل (بدر) يخشون مواطنيهم غير المسلمين من أهل المدينة ، فلا تبلغ بهم الجرأة إلى الاعتداء على من يعتدي على مسلم منهم ، فلما عادوا منتصرين ، انقلب الموقف تماماً ، فأصبح سلطانهم مهيباً في المدينة وما حو لها .
أما في المدينة فقصوا على أكثر أعدائهم (كأفراد) ، كآبي علفك الذي كان يهجو المسلمين ويحرض قومه على الخروج عليهم ، وكعصاء بنت مروان التي كانت تعيب الاسلام وتؤذي النبي وتحرض عليه ، وكعب بن الأشرف الذي قال حين علم بمقتل سادات مكة : « هؤلاء أشرف العرب وملوك الناس . والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها » ، وهو الذي قصد مكة لما تيقن الخبر يحرض على محمد وينشد الأشعار ويبكي أصحاب القليب ، فلما رجع إلى المدينة جعل يشبب بنساء المسلمين .
وسترى كيف قضوا على أعدائهم (كجاعات) ...

٢ - المشركون واليهود

(آ) عزم قريش على أخذ ثأرها من المسلمين مهما يكلفها الأمر من جهود وضحايا ومال ، وفي سبيل ذلك أخذت تستعد لليوم الموعود .
(ب) عقدت أكثر القبائل التي على طريق مكة - الشام التجارية التي تتأخم الساحل معاهدات مع المسلمين ، فسيطر المسلمون على هذه الطريق ، فلا يمر أحد منها إلا بأذنه .

ومع ذلك فقد بدأت بعض القبائل ترى ما يهدد مصيرها في قوة النبي وأصحابه ، خاصة وأنها حرمت من فوائد اقتصادية كانت تجنيها من مرور تجارة قريش في رحلة الصيف إلى الشام ، فأخذت تفكر في التعرض بالمسلمين .

ج) أما مشركو المدينة فقد أعلن أكثرهم إسلامهم ، لأنهم رأوا أمر المسلمين ينمو ويشتد ويستقر .

د) ولكن يهود المدينة ازدادوا حقداً على المسلمين ، وأخذ بعضهم يجاهر بعدائه لهم وينقل أخبارهم للمشركين ويؤوي أعداءهم ويدلهم على عورات المسلمين . لذلك فقد أصبح بقاؤهم داخل المدينة خطراً محدقاً بالمسلمين . .

الهدف الحيوي

١ - تطهير المدينة من اليهود ، حتى تكون المدينة (قاعدة أمينة) لحركات المسلمين القادمة ، فلا تتكشف حركاتهم للأعداء كما انكشفت في السابق ، فيستطيعون بعد ذلك ترك المدينة بحراسة قليلة دون أن يتعرضوا لخطر كبير .

٢ - حرمان قريش من الاستفادة من الطرق التجارية التي تربط العراق من جهة والشام من جهة أخرى بمكة ، ووطن قريش ، للقضاء على أهم مورد لتجارة قريش بفرض هذا الحصار الاقتصادي عليها .

حصار بني قينقاع

(راجع الملحق - ب)

١ - أسباب الحصار

أ) الأسباب غير المباشرة

تجسس اليهود على المسلمين لصالح المشركين ، ونقلهم كافة المعلومات عن نوايا المسلمين وحرركاتهم إلى قريش ، وإظهار عداوتهم بوضوح للمسلمين .

ب) الأسباب المباشرة

تعرض اليهود بامرأة مسلمة تباع حليتها في سوق بني قينقاع ، فاستغاثت المرأة ، فوثب أحد المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، ثم لجأ اليهود إلى حصونهم يحتشون بها .

٢ - قوات الطرفين

أ) المسلمون

كافة مسلمي المدينة بقيادة الرسول .

ب) اليهود

كافة بني قينقاع الساكنين داخل المدينة .

٣ - الهدف

القضاء على بني قينقاع في المدينة ليستقر الأمر فيها للمسلمين ولتكون المدينة قاعدة أمينة للمسلمين يرتكزون عليها في الحركات المقبلة .

٤ - الحوادث

طلب الرسول إلى بني قينقاع أن يكفروا أذاهم عن المسلمين وأن يحفظوا عهد المودعة لثلاثين يوماً ، فاستخف بنو قينقاع بوعيده قائلين « لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس » .

لم يبق بعد هذا التحدي الصارخ أمام المسلمين إلا مقاتلة بني قينقاع ، فحاصروهم في قلاعهم خمسة عشر يوماً ، حتى اضطروهم على التسليم ورضوا بما يصنع الرسول في رعايتهم ونسائهم وذريتهم وأموالهم ، فجاء عبد الله بن أبي إلى الرسول وقال : « يا محمد أحسن في مالي » وكانوا حلفاء الحزرج ، فأبطأ عليه الرسول ، فكرر ابن أبي مقالته ، فأعرض عنه الرسول ، فأدخل ابن أبي يده في جيب درع الرسول ، فتغير لون النبي وقال له : « أرسلني » . وغضب حتى رأوا لوجهه ظلالاً .

ألح ابن أبيّ في رجائه قائلاً : « والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي » :
أربعمئة حاصر (١) وثلاثمئة دارع (٢) قد منعوني من الأحمر والأسود ، نخصمهم
في غداة واحدة . لاني والله امرؤ أخشى الدوائر ..

فقال الرسول : هم لك على أن يخرجوا من المدينة ولا يجاورونا بها .
وسار بني قينقاع ثار كين وراءهم السلاح وأدوات الذهب الذي كانوا يصوغونه
حتى بلغوا وادي القرى (٣) ، وبقوا هناك زمناً ثم احتملوا ما معهم وساروا
صوب الشمال حتى بلغوا (أذريعات) (٤) على حدود الشام وبها أقاموا ، ولم يبقوا
فيها طويلاً حتى هلك أكثرهم ، وبذلك تخلص المسلمون من (الرتل الخامس)
الذي كان يعيش بين ظمائرهم .

فرض الحصار الاقتصادي على قریش

(راجع الملحق - ب -)

١ - غزوة بني سليم

أ) قوات الطرفين

أولاً - المسلمون

دورية قتال بقوة مائتي راكب وراجل بقيادة الرسول .

ثانياً - المشركون

بنو سليم وغطفان

ب) الهدف

القضاء على مقاومة سليم وغطفان في عقر دارهم في (قرقرة الكدر) الواقعة

على الطريق التجارية الحيوية بين مكة والشام .

(١) الحلسر : اقي لا درع له .

(٢) الدارع : لابس الدرع .

(٣) وادي القرى : موضع جنوبي خيبر وبين المدينة المنورة وخيبر .

(٤) أذريعات : موضع كائن في منطقة شرقي الأردن حالياً بين اجنادين والشام .

ج) الحوادث

بلغ المسلمين أن جمعاً من غطفان وبني سليم اعتزم الاعتداء عليهم ، فخرج الرسول وبإمرته مائتا راكب وراجل من المسلمين إلى - قرقرة الكدر (١) - لياخذ عليهم الطريق . فلما وصل إلى ذلك المكان رأى آثار النعم ولم يجد أحداً ، اذ فرت جموع بني سليم وغطفان لما سمعت بدوم المسلمين ، فجمع المسلمون ما وجدوا من إبل ، وقسمها عليهم الرسول بالتساوي ، وبقي في منازل القوم ثلاثة أيام لإظهار قوتهم وعدم اكتراثهم بعدوهم ، ثم عادوا أدراجهم إلى المدينة .

٢ - غزوة السويق

أ) قوات الطرفين

اولا - المسلمون

قوة مطاردة خفيفة بقيادة الرسول .

ثانياً - المشركون

مائتا فارس من قريش بقيادة أبي سفيان .

ب) الهدف

مطاردة أبي سفيان للقضاء على قوته .

ج) الحوادث

خرج ابو سفيان بمائتي فارس من مكة ، وقرر ان يباغت المدينة بغارة خاطفة ليورد لقريش بعض سمعتها التي خسرتها يوم (بدر) ويلحق بالمسلمين ما يستطيع من الحماثر ، وحتى يبرئ بندره الذي قطعه على نفسه بعد بدر ، ألا يس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً .

وصل أبو سفيان بقوته مساكن بني النضير بأطراف المدينة ، في جنح الليل ،

(١) الكدر : بضم الكاف وسكون الدال . قال الواقدي : بناحية المدن قريب من الأرحضية بينها وبين المدينة ثمانية . وقال غيره ماء لبني سليم .

ونزل على سلام بن مشكم من سادة اليهود ، فعرف منه اخبار المسلمين ، وتدارس معه أجدي الطرق لإيقاع الأذى بهم والإغلات بعد ذلك سالماً من مطاردتهم ، وهكذا هجم أبو سفيان برجاله على حجة يقال لها - العريض (١) - على مقربة من المدينة وحرقوا بيتين في العريض ونحلاً ، ووجدوا رجلاً من الانصار وحليفاً له في حرث لهما ، فقتلوهما . ثم انكفأ أبو سفيان بقوته هارباً خائفاً أن يطلبه النبي وأصحابه .

نذب محمد أصحابه فخرجوا في أثره ، حتى بلغوا - قرقرة الكدر - وأبو سفيان ومن معه جادون في الفرار يتزايد خوفهم فيستخفون من أرزاقهم التي يحملونها ، حتى تمكنوا من النجاة . وعثر المسلمون في طريق المطاردة على هذه الأرزاق واكثرها من السويق (٢) فسموا هذه الغزوة (بغزوة السويق) ، ولما رأى محمد ان القوم امعنوا في الفرار ، ناد وأصحابه إلى المدينة .

٣ - غزوة ذي أمر

(أ) قوات الطرفين
أولاً - المسلمون

أربعماية وخمسون بين راكب وراجل بقيادة الرسول
ثانياً - المشركون
بنو ثعلبة ومحارب .

ب (الهدف

للقضاء على بني ثعلبة ومحارب قبل التعرض على اطراف المدينة .

ج (الحوادث

بلغ محمداً ان جمعاً من بني ثعلبة ومحارب قد تجمعوا - بذي أمر (٣) - يريدون

(١) العريض : اسم موضع ، وقال ياقوت : هو واد بالمدينة له ذكر في المغازي .

(٢) السويق : ان غمس الحنطة والتمر ثم تطن ، وقد تمزج بالبن والصل والسمن تلت به .

(٣) ذو أمر : موضع بنجد من ديار غطفان .

أن يتعرضوا بأطراف المدينة ، فخرج الرسول في أربعمائة وخمسين من المسلمين بين راكب وراجل ، فلقى رجلاً من ثعلبة ، فسأله عن القوم فدله الرجل على مواضعهم . وأخبره أنهم سيهربون إلى رؤوس الجبال أن سمعوا بمسير المسلمين . وما لبث بنو ثعلبة ومحارب أن فروا إلى رؤوس الجبال عند سماعهم بمسير المسلمين .

وعاد المسلمون بعد أن بقوا في ديار القوم شهراً كاملاً بدون قتال .

٤ - فزوة بحران (١)

أ (قوات الطرفين

أولاً - المسلمون

ثلاثمائة مقاتل بين راكب وراجل بقيادة الرسول .

ثانياً - المشركون

بنو سليم .

ب (الهدف

القضاء على بني سليم قبل إنجاز استحضاراتهم لقتال المسلمين .

ج (الحوادث

بلغ محمداً أن جمعاً كبيراً من بني سليم يتهيئون لقتاله ، فخرج بثلاثمائة رجل من المسلمين أغذوا السيول ليأغتوا بني سليم في ديارهم ، حتى إذا وصلوا دون بحران بليدة ، لقيهم رجل من بني سليم ، فسأله محمد عنهم فأخبره أنهم تفرقوا وعادوا أذراجهم حين سمعوا بخروجه إليهم . وعاد الرسول بأصحابه إلى المدينة بعد أن بقي في ديار القوم حوالي شهرين .

(١) بحران : فيه جماعة يفتح الباء ويده اخرون بضمها وقال باقوت : موضع بين الفرع والمدينة ، وقال الواقدي بين الفرع والمدينة ثمانية برد .

• - سوية زيد بن حارثة

(أ) قوات الطرفين

أولاً - المسلمون

دورية قتال بقوة مائة راكب بقيادة زيد بن حارثة

ثانياً - المشركون

قافلة تجارية لقريش بقيادة صفوان بن أمية .

ب (الهدف

حرمان قريش من الاستفادة من طريق مكة - العراق التجارية بعد حرمانهم من الاستفادة من طريق مكة - الشام التجارية .

ج (الحوادث

قطع الرسول على قريش طريق مكة - الشام التجارية ، مما أضر أسوأ الأثر على اقتصاديات قريش ، خاصة وأن مكة تعيش على التجارة لأنها بؤاد غير ذي زرع .

قال صفوان بن أمية لقريش : « إن محمداً وأصحابه قد عوتروا علينا متجرباً ، فما ندري كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه ، فما ندري أين نسلك ؟ وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء ، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف وإلى الحبشة في الشتاء » .

قال له الأسود بن عبد المطلب : « تنكب الطريق على الساحل ، وخذ طريق العراق » ، ثم دله على فرات بن جيان من بني بكر بن وائل ليكون والدهم في هذه الرحلة ، وتجهز صفوان من الفضة والبضائع بما قيمته مائة ألف درهم ، وكان بمكة حين تديبر قريش خروج تجارتها رجل من يثرب هو (نعيم بن مسعود) فقدم المدينة يحمل أنباء هذه القافلة وطريق مسيرها ، واجتمع في مجلس الشرب

- قبل تحريم الخمر - بسليط بن النعمان ، فباح له بخبر القافلة ، فأمرع سليط إلى النبي يروي له القصة ، وما لبث النبي أن بعث زيد بن حارثة بمائة راكب يتعرضون للقافلة ، فلقبها زيد عند ماء يقال له (القردة) وهو ماء من مياه نجد ، ففر المشركون مذعورين ، واصاب المسلمون القافلة ، واسروا دليلها فرات ابن حيان ، فلما جيء به إلى المدينة دخل الإسلام . . .

وهكذا حُرِّم المشركون من طريق مكة - العراق ، كما حُرِّموا من قبل من طريق مكة - الشام فأصبح الحصار الاقتصادي مطبقاً عليهم من كافة الطرق المؤدية إلى الشام والعراق .

دروس من حركات التطهير

١ - القاعدة الامينة

القاعدة الامينة ، هي المنطقة الحيوية التي يمكن الاعتماد عليها في كل حركة عسكرية لإدامة القطعات المحاربة بالرجال والمواد ، ولتكون الملجأ الحصين الذين تلجأ اليه عند أسوأ الاحتمالات .

ولا بد من وجود (قاعدة امينة) لكل حركة عسكرية ناجحة ، لتركز عليها القوات في كافة صفحات القتال .

ولا بد من وجود (قاعدة امينة) لكل دعوة ناجحة ايضاً ، لتكون الملجأ الحصين لأصحاب الدعوة والدعاة ، ولتنتشر منها الدعوة إلى الخارج .

لقد أصبحت المدينة اول قاعدة امينة للإسلام بعد ان هاجر اليها الرسول ، ولكنها لم تكن قاعدة امينة . حقاً قبل اجلاء بني قينقاع عنها .

لقد كان موقف يهود المدينة مختلف تماماً عن موقف مشركيها .

كان مشركو المدينة يمتنون بصلة القرى والنسب إلى الانصار ، اما اليهود فلا نسب ولا قرى لهم مع سكان المدينة من غير اليهود .

وقد أسلم أكثر مشركي المدينة بعد بدر ، والذين بقوا على شركهم قتلون ، لذلك فنظر هؤلاء على المسلمين قليل .

أما يهود المدينة فقد زادهم انتصار المسلمين في (بدر) حقدًا على حقدهم ، فأصبحوا يترصدون بالمسلمين الدوائر ويتجسسون عليهم ويعرضون أعداءهم للفتك بهم ، ويؤذونهم بالقول والعمل .

لقد كان بقاء اليهود بالمدينة بعد انتصار المسلمين في بدر خطراً داهماً لا بد من القضاء عليه لتكون المدينة قاعدة أمينة حقاً للإسلام ، ولترتكز عليها قواتهم للحركات المقبلة ، ودعوتهم للمستقبل القريب .

لقد ضعفت شوكة اليهود بعد جلاء بني قينقاع عنها ، فقد كان أكثر اليهود المنتسبين الى المدينة يقيمون بعيداً عنها (نجيب) وبأم القرى ، وهكذا طهر المسلمون داخل المدينة من أخطر أعدائهم ، وأصبحت المدينة قاعدة أمينة للإسلام .

٢ - الحصار الاقتصادي

تعتمد قريش في حياتها على تجارتها بالدرجة الاولى ، وهي تستورد بعض المواد التي تيسر في الحبشة والشام ، كالمواد الغذائية والمنسوجات ، وقصدها اليها بعض المواد الاولى ، كالجلود والصوف والطيب الذي يوردها من الهند ، وطريق مكة - الشام أهم طريق تجارية لقريش ، لاهمية تجارة الشام ، ولانها طريق برية يسهل قطعها بالابل سفن الصحراء .

ان قطع المسلمين لطريق مكة - الشام أثر أسوأ الاثر في الحياة الاقتصادية لقريش ، لذلك حاولوا أن يستفيدوا من طريق مكة - نجد - العراق - الشام الطويلة ، حتي لا تموت تجارتهم نهائياً ، الا ان المسلمين حرموا قريشاً من هذه الطريق الجديدة ايضاً .

ان فرض الحصار الاقتصادي على قريش ، جعلهم امام مسكين : محاولة القضاء على المسلمين لتنتفع امامهم الطرق التجارية المقطوعة ، او الاستسلام قبل ان تموت قريش جوعاً .

ان هدف المسلمين من غزواتهم بعد بدر على بني سليم و غطفان وبني ثعلبة وبني محارب وعلى قافلة قريش ، كان لحرمان هذه القبائل من التعرّض للمسلمين وللسيطرة على طريق مكة - الشام وطريق مكة - نجد - العراق ، ولم يكن هدف المسلمين الحصول على الغنائم ، لأن الذين يحاولون السلب يعودون بسرعة الى قواعدهم خوفاً على استرداد ما غنموه ، ولا يكون اياماً بل شهوراً في ديار اعدائهم كما فعل المسلمون .

لقد بقي المسلمون ثلاث ليال في ديار بني سليم في المرة الاولى وشهرين في المرة الثانية ، وشهراً كاملاً في ديار بني ثعلبة وبني محارب ، فهل يبقى كل هذه المدة خائف من عدوه او طالب للسلب والنهب ؟

ان الهدف الاول من الحصار الاقتصادي على قريش هو التأثير المادي والمعنوي عليها لتعيد النظر في موقفها ضد المسلمين ، وما غزوات الرسول للقبائل في هذه الفترة إلا للتخلص من تهديدها ولتأمين هدف الرسول من ضرب الحصار الاقتصادي على قريش .

لقد كانت غزوات هذه الفترة (حرباً باردة) كما يطلق عليها اليوم ، وكان لا بد من تطهير (القاعدة الامينة) لتأمين النصر من هذه الغزوات .

(* *)

الغزوات والسرايا بين بدر وأحد

النتائج	التاريخ	المكان	القائد	قوة المشركين	قوة المسلمين	قوة المسلمين	اسم النزوة	رقم
تطهير المدينة من اليهود	أوائل شوال من السنة الثانية للهجرة	المدينة	-	بنو قينقاع من اليهود في داخل المدينة	محمد	مسلو المدينة	حصار بني قينقاع	١
عاد المسلمون بالغنائم دون قتال لفرار المشركين وبقوا ثلاث ليل في هيار المشركين	أواخر شوال من السنة الثانية للهجرة	غزوة الكدر على طريق مكة - المدينة	-	بنو سليم وخطافان	محمد	٢٠٠ راكب ورجال	غزوة بني سليم	٢
١- ظهور نجس اليهود على المسلمين بالمدينة وأيوأتهم اعداءهم	ذو الحجة من السنة الثانية للهجرة	مطاردة قريش من المدينة حتى قريظة الكدر على طريق المدينة - مكة	أبو سفيان	فارس ٢٠٠	محمد	قوة مطاردة خفيفة	غزوة السوق	
٢ - فرار قريش وعودة المسلمين من المطاردة دون قتال .								

٤	غزوة ذي امر	٥٥٠ راكبا وراجلا	محمد	بنو نعلبة وعارب	-	ذو أمر (موضع في نجد)	محرم من السنة الثانية للهجرة	فر المتمركون وبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر كامل وعادوا بدون قتال
٥	غزوة بجران	٣٠٠ راكب وراجل	محمد	بنو سليم	-	بهران على الطريق بين مكة والمدينة	ربيع الاول من السنة الثانية للهجرة	عاد المسلمون بدون قتال بعد ان بقوا بديار اعدائهم حوالي شهر
٦	غزوة زيد بن حارثة	١٠٠ راكب	زيد ابن حارثة	قافلة قريش	صفوان بن أمية	الترودة (ماء في نجد)	-	ضم المسلمون القافلة

النصر للمغلوب

« ولا تهنوا ولا تحزنوا
وأنتم الأعلى إن كنتم
مؤمنين » .

القرآن الكريم

غزوة أُحُد

الموقف العام

١ - المسلمون

سيطر المسلمون على الطرق التجارية المؤدية الى الشام والى العراق سيطرة تامة ، ومنعوا قوافل قريش من سلوك هاتين الطريقين ، فلم يبق امام قريش الا التجارة مع الحبشة وهي تجارة غير رابحة بالنسبة الى التجارة مع الشام ، وبذلك حلت بتجارة قريش - التي تعتمد عليها في حياتها كل الاعتماد - نكبة قاضية . كما سيطر المسلمون على المدينة وجعلوا منها قاعدة امينة لدعوتهم وحركاتهم العسكرية المقبلة .

٢ - المشركون واليهود

(أ) قريش

حرصت قريش منذ نكبتها الكبرى في (بدر) على الاخذ بثأرها من المسلمين ، وصممت على الاستعداد عسكرياً لاستعادة كرامتها وشرفها . ولم تغنها غزوة (السويق) شيئاً بل زاد فرارها المشين امام مطاردة المسلمين لها عاراً جديداً على عارها ببدر ، كما اثارت سرية زيد بن حارثة كوامن حقدتها على المسلمين .

وقد ركبوا قريش فخصيص ربح تجارة قافلة ابي سفيان التي جرت من اجلها معركة بدر ، لانجاز استحضارات معركة الثأر القادمة وادامتها بالمواد والسلاح

ب) مشركو المدينة وما حولها

أصبح مشركو المدينة ضعفاء جداً لاسلام اكثرهم وتظاهر الآخريين منهم بالاسلام . كما هابت القبائل المجاورة قوة المسلمين فحالف اكثرهم المسلمين ، وانكسح الآخرون في ديارهم خائفين .

ج) اليهود

لم يبق داخل المدينة بعد طرد بني قينقاع احد من اليهود ، اما اليهود الذين يسكنون في ضواحي المدينة ، فقد خافوا بطش المسلمين خاصة بعد جلاء بني قينقاع وقتل كعب بن الاشرف فتظاهروا بالمحافظة على عهدهم ، ولو انهم اخفوا نقض تلك العهد ،

قوات الطرفين

١ - المسلمون

قوات المسلمين ستمائة وخمسون رجلاً وخمسون فارساً بقيادة الرسول .

٢ - المشركون

قوات المشركين ألفان وتسعمائة من قريش ومواليها واحاييشها ومائة من بني ثقيف ، بينهم سبعمائة دارع فقط ، ومع القوة مائتا فرس وثلاثة آلاف بغير ، وهذه القوات بقيادة ابي سفيان ، وقد استصحب أكثر زعماء قريش نساءهم لتشجيع ورفع المنعويات .

أهداف الطرفين

١ - المشركون

أخذت أراهم من المسلمين في معركة بدر وسرية زيد بن حارثة ، لاستعادة كرامتهم وشرفهم بين العرب .

٢ - المسلمون

الدفاع عن المدينة وحصد قريش عنها ، لتتوفر لهم الحرية الكاملة لنشر الدعوة ، الى الاسلام بجرية وسلام .

قبل المعركة

١ - المشركون

(أ) بعد انجاز قريش استعداداتها للمعركة ، سلكت طريق مكة - المدينة حتى وصلت موضعاً قريباً من المدينة يسمى (الصفة) فاطلقت إبلها وخيلها ترعى زروع الأنصار هناك ، وتابعت سيرها حتى بلغت العقيق ، ثم نزلت عند بعض السفوح من جبل (أحد) على خمسة أميال من المدينة .

(ب) كان على ميمنة الحيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرة عكرمة بن أبي جهل ، وكان اللواء عند طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار .

(ج) نظم المشركون قوتهم للقتال بأسلول الصف وأمنوا حماية ميمنة الصفوف وميسرتها بالفرسان .

(و) وبذلك نساء قريش - خاصة هند بنت عتبة زوج أبي سفيان - أقصى جهودهن لتشجيع قريش وبعث الحماس في نفوسهم لأخذ ثأراتهم من المسلمين .

٣ - المسلمون

(أ) أرسل العباس عم الرسول رسالة مع أحد الرجال ، يخبرها الرسول عن وقت خروج قريش لقتاله وعن عدد قواتها . فأسرع الرجل بالرسالة حتى قطع الطريق بين مكة والمدينة بثلاثة أيام ، فوجد الرسول ما كتباً بمسجد قباء ، فدفع اليه بالرسالة .

(ب) قرأ أبي بن كعب الرسالة على الرسول ، فطلب إليه ألا ييوح بمضمونها لأحد وعاد الرسول الى المدينة .

ج) أرسل النبي رجلين من اصحابه لمعرفة الموضع الذي وصلته قريش ، فوجدها قاربت المدينة وأطلقت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها .

د) خشي المسلمون عاقبة هذه الغزوة ، لأن قريشاً أكملت استعداداتها بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ حروبها ، فبات المسلمون من أهل المدينة وعليهم السلاح بالمسجد وفي مدخل المدينة لحراستها .

هـ) جمع الرسول أهل الرأي من المسلمين صباح يوم الجمعة ١٥ شوال من السنة الثالثة للهجرة لاختار رأيهم في كيفية لقاء العدو .

كان رأي النبي أن يتحصنوا بالمدينة وان يدعوا قريشاً خارجها ، فإذا دخلتها قريش قاتلهم فيها قتال الشوارع في منطقة يعرفها المسلمون كل المعرفة ولا تعرفها قريش ، مما يساعد المسلمين على ضرب قريش وإيقاع الخسائر الفادحة بها ، وكان رأي كبار الصحابة مثل هذا الرأي ، كما كان هذا رأي عبدالله بن أبي .

ولكن الرجال الذين لم يشهدوا (بدراً) - خاصة الشباب منهم - تحمسوا للخروج وأبدى رجال اشتركوأ بيدر ، كي لا يرمى المسلمون بالجبن لاضطرابهم الى القتال داخل المدينة ؛ فرأى الرسول ان الأكثرية تؤيد الخروج ، فقال لهم : «لاني اخاف عليكم الهزيمة » ، فأبوا مع ذلك إلا الخروج ، فنزل على رأي الأكثرية ، لأن الشورى كانت اساس نظامه الذي لا يحيد عنه .

و) امر الرسول صحابته ان يتجهنوا الخروج ، ودخل داره وتقلد سيفه وارتمى عدة القتال ، ثم خرج الى الناس .

شعر القوم انهم استكروها الرسول على رأيهم ، وظهروا الرغبة في النزول على رأيه ، إلا ان النبي وجد غصاصة في الاضطراب بين شتى الآراء والتردد في قراراته ، فقال : « ما ينبغي لني لبس لامته (١) ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه » .

ثم طلب اليهم الصبر عند البأس .

(١) اللامة : الدرع . وقد يسمى السلاح كله لامة .

ز) تقدم محمد بألف رجل ، حتى نزل الشيخين (موضع في ضواحي المدينة) وهناك رأى مع المسلمين مفرزة لا يعرف أهلها ، فلما سأل عنها علم أن أفرادها من اليهود حلفاء عبد الله بن أبي ، فرفض معاوتتهم له إلا أن يسلموا أو يعودوا أدرأجهم ... فعادوا إلى المدينة .

وانسحب بعدم عبد الله بن أبي مع ثلاثمائة من أنصاره ، فبقي النبي مع سبعمائة من أصحابه يستعد بهم لقتال ثلاثة آلاف .

ح) عسكر المسلمون بالشعب من موضع (أحد) في عدوة الوادي ، جاعلين ظهرهم إلى جبل أحد ، وكانت مجمل خطة الرسول للقتال ما يلي :

اولاً - وضع خمسين من الرماة بإمرة عبد الله بن جبير في موضع على طريق تقريبية تؤدي من الجبل إلى خلف قواته ، وكان هدفه من وضع هذه القوة هو حرمان العدو من الالتفاف على قواته من الخلف ، ولتكون هذه القوة قاعدة امينة لقواته : تحمي ظهره وتستند إليها وتستتر انسحابه عند الحاجة .

واصدر لهذه القوة الأمر الجازم التالي : « احموا لنا ظهورنا ، فاننا نخاف ان يحميونا من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبجروا منه ، وان رايتونا نقتل فلا تميئونا ولا تدفعوا ، عنا وانما عليكم ان ترشقوا خيلهم بالنبل ، فان الخيل لا تقدم على النبل » .

ثانياً نظم أصحابه صفوفاً للقتال بهم بأسلوب الصف ، وتخير الأشداء ليكونوا طليعة الصفوف .

ثالثاً - أصدر أوامره بالآلة « يقابل أحد إلا بأمر منه » .

رابعاً أخذ يشجع أصحابه ويحثهم على الصبر في القتال .

ط) ولبعث التنافس الشرف في إظهار البطولة ، أخذ الرسول سيفاً بيده ، فقال مخاطباً أصحابه : « من يأخذ هذا السيف بمحبة ؟ » فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قام أبو دجانة ممالك بن حرشه فقال : « وما حقه يا رسول الله ؟ » فقال الرسول : « ان تضرب به العدو حتى ينحني » .

وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً له عصابة حمراء ، إذا اعتصب بها علم الناس أنه سيقا تل ، فأخذ السيف وأخرج عصابته الحمراء التي كانوا يسمونها « عصابة الموت » وعصب بها رأسه ، وجعل يتبخر بين الصفي ن على عاداته إذ يختال عند الحرب ، فلما رآه الرسول يتبخر قال : « انها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » ..

(ي) بهذا الحطة وبهذا الاندفاع كان وضع المسلمين قبل نشوب القتال .

سير القتال

١ - بدء المناوشات

(أ) قامت مفرزة من قوات قريش بقيادة أبي عامر عبد عمرو بن صفي الأوسي بالمجوم على قوات المسلمين ، فنشبت الحرب ، وكان أبو عامر هذا قد انتقل من المدينة الى مكة بحرض قريشاً على قتال محمد ، ولم يكن شهد (بدراً) مع قريش ، فخرج الى (أحد) في خمسة عشر رجلاً من الأوس ومن عبيد أهل مكة ، وكانت المفرزة التي كانت بامرته مؤلفة من هؤلاء فقط ، وكان يزعم لقريش أنه اذا نادى أهله المسلمين من الأوس الذين يحاربون في صفوف محمد ، استجابوا له وانحازوا معه ونصروا قريشاً ..

خرج أبو عامر منادياً : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر ! فأجابه الأوس المسلمون : « ولا أنعم الله بك عينا يا فاسق ! » .. ثم هاجموه . ونشب القتال بين الطرفين بعد أن أذن الرسول للمسلمين بالقتال .

(ب) حاول أبو عامر وحاول عكرمه بن أبي جهل أن يلتقا على أجنحة المسلمين ، ولكن المسلمين رشقوهم بالحجارة ، ولم يكن من السهل الالتفاف على أجنحة المسلمين لاستنادها على هضاب جبل (أحد) ، ففشلت محاولات التناف المشركين .

(ج) هتف حمزة بن عبد المطلب بكلمة التعارف للمسلمين في أحد : « أمت

مت ، ثم اندفع الى قلب جيش المشركين . ونادى حامل اللواء المشركين طلحة
ابن أبي طلحة : « من يبارز ؟ » فخرج اليه علي بن أبي طالب ، فقتله .

واندفع أبو دجانة وفي يده سيف النهر وعلى رأسه عصاة الموت ، فجعل لا
يلقى أحداً الا قتله ، حتى شق صفوف المشركين ، ثم رأى انساناً يمتدح المشركين
على القتال ، فجعل عليه بالسيف ، فاذا بهند بنت عتبة تولول ، فارقد عنها أبو
دجانة مكرماً سيف الرسول ان يضرب به امرأة .

٢ - اشتداد القتال (الصفحة الاولى)

أ) اندفعت قريش الى القتال يثور في عروقه طلب الثأر لمن مات من
اشرافها وصاداتها منذ عام بيدر ، وكان من ورائهم نساؤهم للتشجيع والحث
على الاستبسال ، وقد أعدت غير واحدة منهن مولى وعدته الخير الوفير ليفتقم
لها بمن فجعها بيدر في أب أو أخ أو زوج أو عزيز ، وكانت هند بنت عتبة قد
وعدت وحشياً الحبشي مولى جبير خيراً كثيراً ان هو قتل حمزة كما قال له جبير
ابن مطعم مولاه ، وكان عمه قد قتل بيدر : « ان قتل حمزة عم محمد ، فانت
عتيق » . وتربص وحشي بين الصفوف يتوعد حمزة ، حتى رآه في عرض الناس
يحطم ابطال المشركين ، فصوب اليه حربته وقذفه بها ، فأصاب بطن حمزة
اسفل سرته وخرجت من بين رجله ، فاستشهد على اثرها .

ب) على الرغم من الحسارة الفادحة التي لحقت بالمسلمين باستشهاد حمزة ،
فإن قواتهم بقيت مسيطرة على الموقف تماماً ، وأخذ اللواء المشركين يسقط بين
حين وآخر : حمل عثمان بن أبي طلحة اللواء بعد ان قتل علي طلحة بن أبي طلحة ،
فلما لقي هذا مصرعه ، حمله أبو سعيد بن أبي طلحة ، فقتله علي بن أبي طالب أو
سعد بن أبي وقاص .

وتعاقب حملة اللواء المشركين من بني عبد الدار ، حتى قتل منهم تسعة . ثم
حمله مولى لهم ، وحماته امرأة بعد ذلك لتفرق المشركين عنه .

ج) زحفت صفوف المسلمين على صفوف المشركين بعد تصدها ، فانهزم

المشركون حتى أحاط المسلمون بنساء المشركين وحتى وقع الصنم الذي احتلوه للتبوك به فوق الجبل الذي كان يحمله .

واخذ المسلمون يطاردون المشركين حتى ابعدهم عن معسكرهم ، ثم عادوا يجمعون الغنائم .

ورأى الرماة الذين امرهم الرسول الا يروحوا اماكنهم ولو رأوه وأصحابه يقتلون ، فقال بعضهم لبعض : لِمَ تَقْبِلُونَ هَاهُنَا فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَقَدْ هَزَمَ اللَّهُ عَدُوَكُمْ ، وهؤلاء اخوانكم ينتهبون عسكرهم ؟ ...

واختلفوا فيما بينهم ، أيتروكون مواضعهم أم يقفون فيها ، فأصر قائدهم عبد الله بن جبير على البقاء وعصاه اكثرهم وانطلقوا ، ولم يبق معه غير نفر دون العشرة ! واشترك المنطلقون في النهب .

٣ - هجوم المشركين المقابل (الصفحة الثانية)

(أ) انتهز خالد بن الوليد فرصة ترك رماة المسلمين لمواضعهم ، وكان على مينة خيل المشركين . فهجم على مواضع الرماة التي تركوها ، واستطاع اجلاء الباقيين منهم عن مواضعهم : لقله عددهم وعدم امكانهم الصمود في مواضعهم الواسع بالنسبة لعددهم الذي اصبح قليلاً .

ولم يظن المسلمون لهذه المباغة ، وصاح خالد يعلن لقريش بأنه التف وراء المسلمين ، فعادت قوات قريش المهزومة للقيام بهجوم مقابل جبهوي ، بينما قام خالد بالإلتفاف من الخلف ، فأصبح المسلمون محاطين من كافة جوانبهم ، ونخرج موقفهم للغاية ، خاصة وان صفوفهم لم تكن رصينة في مواضعها لتستطيع الصمود ، اذ تبعث افرادها لجمع الغنائم .

(ب) كانت هذه الحركة مباغته تامة للمسلمين لم يكونوا يتوقعونها ، فتعثر اكثرهم وبقي القليل منهم بجانب الرسول يقاتلون ليشقوا لهم طريقاً من بين قوات قريش التي أطبقت عليهم من كل جانب ، واستشهد كثير من المسلمين وهم يحاولون شق طريقهم ، واستطاع المشركون أن يصلوا قريباً جداً من موضع

الرسول ، فرماه احدثهم بحجر كسر انفه ورباعيته ، وقالك الرسول نفسه وصار مع اصحابه الباقين ، فلذا به يقع في حفرة حفرها ابو عامر ليقع فيها المسلمون ، فأسرع اليه علي بن ابي طالب واخذ بيده ... ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى .

ج) اخذ المشركون يديمون زخم هجومهم للقضاء على الرسول واصحابه ، ونادى احدثهم : بأنه استطاع قتل محمد ، ولكن اصحابه استاتوا في الدفاع عنه . كانت ام حمارة نسيبة الخزرجية قد خرجت اول النهار ومعها سقاء لها فيه ماء ، تدور على المسلمين لتسقي منهم من استسقى ، فلما احاط المشركون بالمسلمين واصبح الخطر الداهم محدقاً بالرسول نفسه ، ألقت نسيبه سقاءها واستلت سيفاً وأخذت تذود عن محمد بالسيف وترمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح اليها . وصد ابو دجانة بجسمه النبال المنهالة صوب محمد ، فعنى ظهره عليه والنبل يقع فيه . ووقف سعد بن أبي وقاص الى جانب محمد يرمي بالنبل دونه ، محمد يتأوله النبل ويتصد له اصاباته .

ورمى الرسول بنفسه عن فرسه ، حتى تحطمت القوس . وتساقط المسلمون حوله صرعى واحداً بعد الآخر مستقلين في الدفاع عنه ... حتى استطاعوا شتى طريقهم عبر صفوف قريش الى رابية مشرفة من روابي جبل أحد ، وتركت هذه الاستانة أثرها في قريش ، فتوقف زخم الهجوم قليلاً ، واستفاد المسلمون من هذه الفرصة السانحة ، فصعد الرسول بهم الى جبل أحد . وفي طريق صعوده رآه كعب بن مالك الذي كان بعيداً عنه مع المسلمين الذين تفرقوا عنه لهول صدمة مباغته قريش لهم ولا انتشار اشاعة قتل الرسول ، فنادى كعب بأعلى صوته : « يا معشر المسلمين . . أبشروا . . هذا رسول الله » ، فلما سمعت قريش صيحة كعب لم يصدقها أكثرهم وحسبها صيحة أريد بها شذوذاً للمسلمين ، الا أن بعضهم اندفع وراء محمد وصحابته ، وتقدم ابي بن خلف وهو يقول . « ابن محمد؟ لا ننجوت ان نجا » . فطعن الرسول بحربة الحارث بن الصمة طعنة جعلته يتقلب على فرسه ويعود أدراجه ليموت في الطريق .

د) وصل المسلمون الى هضبة مرتفعة من جبل أحد ، ولكن خالدا بن الوليد وصل بفرسانه قريباً منهم ، فقام المسلمون عليه بهجوم مقابل واستطاعوا صد قواته .

هـ) ذهبت كافة محاولات قريش للقضاء على المسلمين أدراج الرياح ، اذ تجمعوا حول الرسول واصبحوا تحت قيادته ، بعد ان فرقهم جمع الغنائم وصدمة المباغة عنه ، فأصبحوا متفرقين وبدون قيادة .

وبلغ الإعياء يرجال قريش حداً بالغاً ، وفشلت محاولاتها الهجومية المتكررة للقضاء على المسلمين نهائياً ، فقررت انهاء القتال ..

وقبل العودة اشرف ابو سفيان على الجبل ، فنادى : « أفبكم محمد ؟ » فلم يجيبوه . فقال : « أفبكم ابن ابي قحافة ؟ » فلم يجيبوه . فقال : « أفبكم هر بن الخطاب ؟ » فلم يجيبوه . ولم يسأل الا عن هؤلاء الثلاثة لعلهم وعلم قريش ان قيام الإسلام بهم . فقال : « أما هؤلاء فقد كفيتوهم » .. فلم يتالك عمر ان اجاب : « باعدوا الله ، ان الذين ذكرتهم احياء وقد ابقى الله لك ما يسوءك ، وان محمداً يسمع كلامك الآن .. »

ولما انصرف ابو سفيان ومن معه نادى : « وان موعدكم بدر للعام القابل » . فقال الرسول لرجل من اصحابه : « قل نعم ، هو بيننا وبينك موعد » .

وصدق الله العظيم : « ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسّونهم باذنه ، حتى اذا فشاكم وتنازعتم في الأمر وعصيت من بعدها اراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين » .

عودة الطرفين

١ - المشركون

عاد المشركون ادراجهم الى مكة، فلما وصلوا موضع (الروحاء) (١) على طريق المدينة - مكة سمع ابو سفيان بخروج المسلمين لقتاله ، فغاف ان يكون الرسول قد جاء من المدينة بقوات جديدة ، فرب به معن الخزاعي ، وكان قد مر بمحمد ومن معه ، فسأله ابو سفيان عن المسلمين ، فأجابه معن وكان لا يزال مشركاً : « ان محمداً قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، وقد اجتمع معه من كان قد تخلف عنه ، وكلهم اشد ما يكون عليكم حنقاً ومنكم للثأر طلباً .. »

فكثر ابو سفيان ان انكسار قواته اذا اصطدم بالمسلمين ثانية معناه خسارة انتصاره في أحد والقضاء على قريش قضاء لا تقوم لها من بعده قائمة ابداً ، فلجأ الى الحيلة ، وبعث مع ركب من بني عبد القيس يقصدون المدينة ان يلقوا محمداً : ان ابا سفيان قد قرّر السير اليهم ليستأصل بقيتهم ، ثم سارع بالرجوع الى مكة .

٢ - المسلمون

بعد عودة المشركين ووصول الرسول وصحابته الى المدينة ، قرّر الرسول القيام بحركة جريئة تخفف من وقع الهزيمة في أحد وترد الى المسلمين معنوياتهم ، وتدخل الى روع اليهود والمنافقين الرهبة ، وتعيد الى المسلمين سلطانهم بيشرب قوياً كما كان ..

لذلك خرج بأصحابه الذين اشتركوا بأحد فقط يوم الاحد ١٦ شوال من السنة الثالثة للهجرة ، اي في اليوم الثاني من يوم أحد ، لمطاردة قوات قريش ، فلما وصل موضع (حراء الأسد) وهي على مسافة ثمانية اميال من المدينة وعلى طريق المدينة - مكة . جاءه دن يخبره بأن قريشاً قرّرت السير اليه ،

(١) : موضع بالقرب من حراء الأسد ، وهذه على طريق المدينة - مكة وبعد عن المدينة ثمانية اميال .

فلم توضع معنويات المسلمين ، وقرروا لقاء قريش ، وبقوا ينتظرون هناك هذا الوعيد ثلاثة ايام ، فلما علموا بانسحاب قريش عادوا ادواجمهم الى المدينة . وهذه الحركة الجريئة استرد المسلمون كثيراً من مكانتهم التي فقدوها في احد .

خسائر الطرفين

١ - المشركون

قتل من قريش اثنان وعشرون رجلاً .

٢ - المسلمون

استشهد من المسلمين سبعون رجلاً .

اسباب النكبة

١ - أنصر أم اندحار ؟

لا ألتق مع المؤرخين في اعتبار نتيجة غزوة احد نصراً للمشركين واندحاراً للمسلمين ، لأن مناقشة المعركة عسكرياً ، تظهر انتصار المسلمين على الرغم من خسائر الفادحة بالأرواح في هذه المعركة .

ونبدأ المناقشة من الوجهة العسكرية البحتة ، لإظهار حقيقة نتائج غزوة احد .

لقد انتصر المسلمون في ابتداء المعركة حتى استطاعوا طرد المشركين من معسكرهم والاحاطة بنسائهم واموالهم وتعفير لوائهم في التراب ، ولكن التفاف خالد بن الوليد وراء المسلمين وقطع خط رجعتهم وهجوم المشركين من الأمام ، جعل قوات المسلمين تطبق من كافة الجوانب على قوات المسلمين . هذا الموقف في المعركة جعل خسائر المسلمين تتكاثر ، ولكن بقي النصر بجانبهم الى الاخير . لأن نتيجة كل معركة عسكرياً لا تقاس بعدد الخسائر بالأرواح فقط ، بل

تقاس بالحصول على هدف القتال الحيوي وهو القضاء المبرم على العدو مادياً ومعنوياً .

فهل استطاع المشركون القضاء على المسلمين مادياً ومعنوياً .

إن حركة خالد كانت مباغتة للمسلمين بلا شك وقيام المشركين بالهجوم المقابل وإطباقهم على قوات المسلمين من كافة الجوانب وهم متفوقون بالعدد الى خمسة امثال المسلمين ؛ كل ذلك كان يجب أن تكون نتائجه القضاء الاكيد على كافة قوات المسلمين ، ولا يمكن أن يعد التفاف قوة متفوقة تفوقاً ساحقاً على قوة صغيرة اخرى من جميع جوانبها ، ثم نجاة تلك القوة الصغيرة بعد إعطاء خسائر عشرة بالمائة من موجودها ، إلا انتصاراً لتلك القوة الصغيرة .

ولا يمكن اعتبار فشل القوة الكبيرة في القضاء على القوة الصغيرة مادياً ومعنوياً في مثل هذا الموقف الحرج للغاية ، إلا فشلاً لها .

ولم تستطع قريش أن تؤثر على معنويات المسلمين ايضاً وإلا لما استطاعوا الخروج لمطاربتها بعد يوم فقط من يوم أحد ، دون أن تتجبرأ قريش على لقاءها بعيداً عن المدينة ، خاصة وأن الرسول قد خرج للقاء قريش بقوته التي اشتركت (فعلاً) بمعركة أحد ، دون أن يستعين بغيرهم من الناس .

إن نجاة المسلمين من موقفهم الحرج الذي كانوا فيه بأحد ، نصر عظيم لهم . لأن أول نتائج إطباق المشركين عليهم من كافة الجهات كان الفناء التام .

٢ - اسباب خسائر المسلمين

إن أسباب كثرة خسائر المسلمين في معركة (أحد) هي ما يلي :

(١) عدم المطاردة (١)

لم يقم المسلمون بالمطاردة في الصفحة الأولى من المعركة بعد انهزام المشركين

(١) المطاردة : تدمير عسكري يقصده تعقيب القوات المعادية المنسحبة لاهدات الحائز فيها ومحاولة قلب السحابها الى مزبلة .

بعيداً عن معسكرهم ، بل انشغلوا بالغنائم - ولو انهم قاموا بالمطاردة فوراً بعد انهزام المشركين ، لقضوا على قواتهم بسهولة ، ومن بعد ذلك يعودون لجمع الغنائم .

ب) مخالفة الاوامر

١ تنفيذ الاوامر هو الضبط العسكري الذي يعتبر روح الجندية والسبب المباشر لكل انتصار في كل معركة ، ومخالفة الرماة في ترك مواقعهم والاسراع لجمع الغنائم خطأ كبير وقع فيه المسلمون حينذاك ، اذ كشف للعدو ظهورهم فاستفاد خالد من هذه الفرصة السانحة لتطويقهم من الخلف ، مما أدى الى الإطباق عليهم من كافة الجهات .

ج) المباغة

المباغة مبدأ ، من أهم مبادئ الحرب ، ومعناها ضرب العدو من مكان أو في زمان أو بأسلوب لا يتوقعه ، بحيث يمكن تحطيم قوى العدو المادية والمعنوية . كان قيام ابن الوليد بالالتفاف وراء قوات المسلمين في الوقت الذي انهزم فيه المشركون مباغة تامة للسليين ، فارتبكت صفوفهم بدرجة لم يفرقوا معها بين قوات عدوهم وبين قواتهم ، فقتل بعضهم بعضاً ، كما تحطمت معنويات الكثير منهم ، واصبحوا لا يعرفون ما يصنعون .

ان هذه المباغة أتاحت الفرصة لقريش للقضاء على المسلمين وإبادة قواتهم ، ولكنهم لم يستطيعوا الاستفادة من موقفهم الممتاز هذا ، فضيعوا هذه الفرصة السانحة لجعل معركة أحد حاسمة في نتائجها .

دروس من أحد

١ - الحصول على المعلومات

حصل المسلمون على المعلومات الكافية عن نوايا قريش وقوتها وحركتها من رسالة العباس عم النبي ، في وقت مبكر من حركة قوات قريش باتجاه المدينة لغزو المسلمين .

كما أرسل المسلمون دوريات استطلاعية قبل معركة أحد ، فعرفوا مواضع قوات قريش ، وأرسلوا دوريات استطلاعية بعد المعركة ، لمعرفة اتجاه حركة عودة المشركين .

لقد كان عمل المسلمين في الحصول على المعلومات مفيداً في منع المشركين من مباغتتهم في المدينة .

٢ - القيادة

كان لقريش في معركة أحد قائد عام هو أبو سفيان ، ولم تظهر شخصية هذا القائد في المعركة ، كما كانت سيطرته ضعيفة على ما يظهر بدرجة أن نساء المشركين مثلوا بشهداء المسلمين دون رغبته ، فلم يستطع أن يفعل شيئاً . ولو كانت قيادة أبي سفيان على شيء من الكفاءة لاستطاع إبادة المسلمين بعد تطويقهم التام .

أما قيادة الرسول ، فقد ظهرت بشكل ظاهر في هذه المعركة . انتخب الموقع المناسب للمعركة واضطر قريشاً الى قبول المعركة فيه ، ونظم خطة القتال ، فانتخب مواضع الرماة لحماية ظهور المسلمين ، وخصص لهذه المواضع قوة كافية للدفاع عنها بإمرة قائد مسؤول .

إن كل ذلك على أهميته لا يعتبر شيئاً بالنسبة الى ظهور عبقرية قيادته في أثناء القتال خلال الصفعة الثانية من معركة أحد ، حين طوق المشركون المتفوقون بالعدد الى خمسة امثال المسلمين قوة المسلمين القليلة ، بعد ان انهارت معنويات الكثيرين منهم لما تطاير خبر مقتل الرسول في المعركة فلجأوا الى الهضاب بعيداً عن ساحة المعركة ، وبقي مع الرسول شردمة قليلة من المسلمين .

لقد استطاع الرسول بهذا الموقف الحرج للغاية بالنسبة للمسلمين الموقن للغاية بالنسبة للمشركين ، أن يسيطر على اعصابه في معركة يائسة جداً ، ويقود الباقين من المسلمين لشق طريقهم من بين القوات المتفوقة المحيطة بهم ، ثم يحتل موضعاً مشرفاً ، ويقوم بإعادة تنظيم قواته الباقية ويبعد اليها معنوياتها ، ويصد

بها هجمات مقابلة شديدة للمشر كين ، فيحيل الهزيمة الأكيدة اللاحقة الى نصر ، لأنه اضطر قريشاً الى اليأس من القضاء على المسلمين ، بعد ان كان قناه المسلمين امراً (محتماً) ثم اضطرهم الى الانسحاب من المعركة بعد اليأس من إبادة المسلمين .

ولم يكتف بذلك بل خرج في اليوم الثاني من المعركة ، لمطاردة قوات المشر كين . حتى اضطرهم الى استعمال الحيلة بإرسال المعلومات الكاذبة للمسلمين عن اعتزامهم إعادة الكرة على قوات الرسول ، فلم يكثر بهذا التهديد وسيطر على اعصابه وقرر لقاء المشر كين مهما تكن الظروف والأحوال .

هذه قيادة عبقرية ، ظهرت للرسول بهذه المعركة ، اقل نتائجها انه جعل النصر الى جانب المسلمين المغلوبين .

٣ - القضايا التعبيرية

(٦) مخالفة الاوامر

اخطأ رماة المسلمين في مخالفتهم لأوامر الرسول وانسحابهم من مواضعهم الأصلية لجمع الغنائم ؛ ولولا انسحابهم لما استطاع خالد بن الوليد ضرب مؤخرتهم ، ولما استطاعت قريش تطويق المسلمين .

ان مخالفة الاوامر في أحد ، درس في نتائج كل مخالفة عسكرية للاوامر في الحرب ، وان نتائجها المعروفة كافية لقرس هذا الدرس في النفوس ، لكي لا يعود احد لمثلها ابداً .

(ب) عدم المطاردة

بعد كل هجوم ناجح لا بد من مطاردة غنيقة للقضاء على العدو . وقد اخطأ المسلمون في عدم مطاردتهم للمشر كين بعد فرار المشر كين من مواضعهم وابتعادهم عن معسكرهم والتفاف المسلمين حول نساء المشر كين ومواسيهم وإبلهم في الصفحة الاولى من يوم أحد ، ولو قام المسلمون بالمطاردة الى

مسافة عشرة اميال على الأقل لأوقعوا بالمشر كين خسائر فادحة . ولا انتهت معركة أحد الى نتائج في مصلحة المسلمين .

ج) اسلوب القتال

لقد جرى القتال بين الطرفين باسلوب الصفوف ، وبذلك استطاعت قريش أن تسيطر على المعركة بشكل أفضل من سيطرتها على المعركة التي تجري باسلوب الكر والفر .

٤ - القضايا الادارية

٢) الادامة والنقلية

كان المشر كون متفوقين على المسلمين بإدامة قواتهم واعاشتها وتسليحها وفي نقليتها تفوقاً محسوساً بما كان له اثر طيب على سير القتال لصالح المشر كين .

ب) الدفن

دفن المشر كون قتلاهم وتركوا قتلى المسلمين .

ولم يكتفوا بذلك بل مثلوا بهم أشنع تمثيل . فقد انطلقت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالشهداء : يمدعن الآذان والانوف .. الخ .

أحد في التاريخ

لقد أجمع المؤرخون على اعتبار نتيجة أحد نصراً للمشر كين على المسلمين . ولكن الحقائق العسكرية لا تتفق مع ما أجمع عليه المؤرخون . لقد كان بإمكان المشر كين القضاء على قوات المسلمين في معركة أحد ، بعد ان استطاعوا إحاطتهم من كافة الجوانب بقوات متفوقة عليهم تفوقاً ساحقاً . ومع ذلك استطاع محمد أن يشق طريقه بين القوات المحيطة به ، ويخلص تسعة اعشار قواته من فناء اكيد .

ان فشل المشركين في القضاء على قوات المسلمين بعد احاطتهم بقواتهم المتفوقة يعتبر اندحارا لهم .

وان نجاح المسلمين في الخروج من تطويق المشركين بخسائر عشرة بالمئة من قواتهم القليلة يعتبر نصرا لهم .

وبالإضافة الى نجاح المسلمين في التخلص من القناء التام في معركة أحد ، فقد نجحوا في معرفة المنافقين بين صفوفهم قبل المعركة وبعدها ، مما اتاح لهم القيام بالتطهير العام في صفوفهم بعد (أحد) على هدى وبصيرة .
وبذلك تظهر الفائدة العظيمة لغزوة أحد للمسلمين .

ان نتيجة معركة أحد نصر (تعبوي) (١) للمشركين على المسلمين ، ولكنها فشل (سوقي) للمشركين . ولا يُعدّ النصر التعبوي شيئا يذكر الى جانب الفشل السوقي .

(١) التبية : الأعمال العسكرية في المعركة .
السوق : وهو الاستفادة من المارك للحصول على الغرض من الحرب .
ذلك هو تعريف السوق والتبية بصورة موجزة لغاية تعطي (فكرة) للمدنيين فقط ، اذ ان لكل من هذين الاصطلاحين تعريفات كثيرة طويلة تستغرق كثيرا من كتب فن الحرب .
ومن ذلك يتضح ان السوق يعني نتائج الحرب كالمناخات التبية تعني نتائج معركة واحدة . محلية .

إعادة النظام

« وقاتلوا في سبيل الله الذين
يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله
لا يحب المعتدين »

القرآن الكريم

بعد أحد

الموقف العام

١ - المسلمون

كان لا بدّ للمسلمين من أن يقوموا بالتطهير التام في المدينة وخارجها ، حتى يستعيدوا سمعتهم الممتازة بين العرب .

لقد استطاعوا أن يجعلوا من المدينة (قاعدة أمينة) للإسلام قبل غزوة أحد ، ولكن هذه الغزوة خلقت لهم مشاكل داخلية وخارجية : مشاكل داخلية من اليهود الذين هم أشدّ عداوة للذين آمنوا في السراء والضراء ، ولكن السراء تضطربهم على إخفاء نواياهم ، بينما يعلنون هذه النوايا صريحة في الضراء .

وداخلية أيضاً من المنافقين الذين تظاهروا بالإسلام ، فانكشفت طوايا نفوسهم قبل معركة أحد وبعدها عندما رأوا الخطر محققاً بالمسلمين .

ومشاكل خارجية من قريش بالدرجة الأولى إذ أخذت تشن حرب دعاية ضد المسلمين ، لتظهر نتائج غزوة أحد بمظهر يرفع من قبمتها ويعط من قبعة المسلمين .

وخارجية أيضاً من القبائل المجاورة ، أولئك الأعراب الذين يستخذون للاقوياء ، فيظهرون بمظهر المسالم الوداع ، ويبطشون بالضعفاء بطشاً لا هوادة فيه ولا رحمة .

لقد كان على المسلمين أن يعيدوا الكرة للقيام بالتطهير العام . حتى يعيدوا النظام الى صفوفهم ، وحتى يستعيدوا السيطرة الكاملة على المدينة وما حولها وعلى المشركين من قريش والقبائل الأخرى .

٢ - المشركون

طارت قريش فرحاً بنتائج أحد على الرغم من أن نتائجها لم تكن في صالحهم .
لأن لم يكن انتصارهم فيها إلا انتصاراً تعبويّاً ، بينما كانت نتائجها فشلاً سوقياً
عليهم أي أن انتصارهم كان ظاهريّاً فقط بينما كانت حقيقته فشلاً لهم .

ولكنهم لم يقدّروا حقيقة هذه النتيجة ، فراحوا يتباهون بنصرهم ،
ويعلمونون للعرب في كل مكان وكما لم تقدّر قريش نتيجة أحد على حقيقتها ، فلأن
القبائل البدوية المجاورة للمدينة لم يقدّروا هذه الحقيقة ، فطمعوا بالمسلمين وظنوا
أنهم أصبحوا في متناول أيديهم غنيمة باردة .

٣ - اليهود

ظن اليهود أن المسلمين أصبحوا ضعفاء بعد أحد ، فلا بدّ من انتهاز الفرصة
لأخذ ثارات إخوانهم بني قينقاع وثأر كعب بن الأشرف ...
وأخذوا يحبسون المؤامرات ويخلقون المشاكل للمسلمين .

اهداف الطرفين

١ - المسلمون

الكفاح ضد تدخل اليهود والمشركين في حرية نشر عقيدتهم ، والدفاع عن
أنفسهم وأموالهم ضد المعتدين .

٢ - المشركون واليهود

القضاء على المسلمين وانتهاب أموالهم .

سير الحوادث

١ - معركة ابن سلمة

(٢) قوات الطرفين

أولاً - المسلمون

دورية قتال بقوة مائة وخمسين راكباً ورجالاً بقيادة أبي سلمة بن عبد الأسد.

ثانياً - المشركون

قبيلة بني أسد بقيادة طليحة وسلمة ابني خويلد .

(ب) الهدف

منع بني أسد من الهجوم على المسلمين في المدينة .

(ج) الحوادث

بلغ الرسول بعد شهرين من غزوة أحد ، أن طليحة وسلمة ابني خويلد يخرجان قومها بني أسد لغزوة المدينة ونهب أموال المسلمين فيها .

قرر محمد إرسال دورية قتال بقوة مائة وخمسين مسلماً بين راكب ورجل ، فيهم أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص بقيادة سلمة بن عبد الأسد للقضاء على بني أسد قبل قيامهم بغزوة المدينة ، وأمرهم بالسير ليلاً والاستخفاء نهراً و مسالك طريق غير مطروقة ، حتى لا يطلع أحد على أخبارهم ونواياهم ، فيباغتوا بذلك بني أسد في وقت لا يتوقعونه .

وسار أبو سلمة حتى وصل ديار بني أسد دون أن يعرفوا عن حركته إليهم شيئاً فأحاط بهم فجراً فلم يستطع المشركون الثبات وولوا الأدبار .

وأرسل أبو سلمة مفرزتين من قواته لمطاردتهم ، فعادتا بالفنائم ، ثم عاد أبو سلمة بقوة إلى المدينة .

٢ - دورية عبدالله بن أنيس

(أ) قوات الطرفين

أولاً - المسلمون

دورية استطلاعية بقوة مسلم واحد هو عبدالله بن أنيس .

ثانياً - المشركون

بنو لحيان من هذيل بقيادة خالد بن سفيان الهذلي .

(ب) الهدف

منع الأعراب من غزو المسلمين قبل انجاز تحشدهم وقيامهم بالغزو .

(ج) الحوادث

علم الرسول أن خالد بن سفيان الهذلي يقوم بتعشيد قوة كبيرة من الأعراب للقيام بغزو المدينة ، حتى ينال شيئاً من غنائمها وخيولاتها ، فأرسل عبدالله بن أنيس ليستطلع خبر خالد ويتأكد من صحة المعلومات التي سمعها الرسول .

سار عبدالله فصادف خالداً بعيداً عن قومه ومعه بعض النساء ، فسأله خالد : من الرجل ؟ فأجابه : انا رجل من العرب سمع بك ويجمعك لحمد ، فجاءك لذلك ! . فلم يخف خالد نوابه ، ولما رآه عبدالله في عزلة عن الرجال وليس معه الا أولئك النسوة ، استدرجه للسير معه ، فلما منحت له الفرصة حمل عليه بالسيف ، فقتله ...

وعباد عبدالله من المدينة بعد ان تفرقت جموع الأعراب المحتشدة لغزو المسلمين ، لأنها فقدت قائدها .

٣ - غزوة بني النضير

(أ) قوات الطرفين

أولاً المسلمون

مسلمو المدينة بقيادة الرسول

ثانياً - اليهود

بنو النضير .

(ب) الهدف

التخلص من بني النضير لتأمرها على اغتيال الرسول .

(ج) الحوادث

ذهب النبي الى منازل بني النضير في ضواحي المدينة ليستعين بهم في دية قتيلين معاهدين للمسلمين قتلها عمرو بن أمية خطأ دون أن يعلم بعهدهما .

فلما فاوضهم الرسول ، أظهروا الرضا بمعونته ، فجلس الى جنب جدار من بيوتهم مع عشرة من أصحابه بينهم أبو بكر وعمر وعلي .

وفي أثناء تبسط بعضهم معه في الحديث ، رأى ان بعضهم يأترون به ، فيذهب أحدهم الى ناحية ، ويبدو عليهم كأنهم يذكرون مقتل كعب بن الأشرف ، ثم يدخل أحدهم (عمرو بن جعاش) البيت الذي كان الرسول مستنداً الى جداره .

حينذاك رابه أمرهم وزاده ريبة ما كان يبلغه سابقاً من حديثهم عنه والتأثرهم به . فتروك موضعه بالقرب من الجدار ، وقفل راجعاً الى المدينة وحده .

ولما استبطأه أصحابه ، قاموا للتفتيش عنه ، فرأوا رجلاً مقبلاً من المدينة أخبرهم بأن النبي هناك ، فأمرعوا يلحقون به ، فلما ذكر ما رابه من أمر اليهود ومن اعتزامهم الغدر به ، تنبّهوا من حركات اليهود التي تدل على مؤامرتهم للقضاء على حياة الرسول .

وقد عرف - بعد - ان عمرو بن جعاش هو الذي أراد قتل النبي باللقاء جبر الرحى عليه من فوق سطح الجدار الذي كان الرسول تحته .

استدعى الرسول محمد بن مسلمة وقال له : « اذهب الى يهود بني النضير وقل لهم ، ان رسول الله ارسلني اليكم أن اخرجوا من بلادي ! لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم ما همتم به من الغدر بي . لقد اجلتكم عشراً ، فمن رؤي بعد ذلك ضربت عنقه » ...

لم يجحد اليهود مناصاً من الخروج ، فأخذوا يتجهزون للرحيل ، الا ان منافقي المدينة وعلى رأسهم عبدالله بن ابي ارسلوا اليهم : « ان اثبتوا ونحن نصركم على محمد وصحبه » ...

عند ذلك عادت لليهود ثقتهم بأنفسهم ، واستقر رأيهم على القتال ، وارسلوا

ابني من يقول له : « لن نخرج فافعل ما بدا لك » .. ثم احتسوا بحصونهم ونقلوا الحجارة الى شوارعهم واقاموا منها متاريس وخنادق للاحتواء وراءها في القتال ، وكدسوا ارزاقاً تكفيهم لمدة سنة في حصارهم ، وكان الماء متيسراً لديهم باستمرار . تحرك المسلمون بقيادة الرسول الى ديار بني النضير ، فعاصروهم عشرين ليلة ، كانوا اثناءها يحتلون شارعاً بعد شارع وداراً بعد دار ...

ولما رأى الرسول اصرار اليهود على القتال مستفيدين من حصونهم القوية ، امر اصحابه ان يقطعوا نخل اليهود وان يحرقوه (١) حتى لا تبقى اليهود على حماسها في القتال طمعاً بالمحافظة على اموالها .

وجزع اليهود وانتظروا عبثاً اسراع عبدالله بن ابي او القبائل الاخرى لنجدتهم ، فسألوا محمداً ان يؤمنهم على اموالهم ودمانهم وذرائعهم ، حتى يخرجوا من المدينة .

وافق الرسول على مصالحتهم بشرط ان يخرجوا من المدينة ولكل ثلاثة منهم بعير يحملون عليه ما شاءوا من مال او طعام او شراب ليس لهم غيره ، فيخرج بعضهم الى خيبر وبعضهم الى ضواحي الشام ، وتركوا للمسلمين وراهم مغانم كثيرة من سلاح بلغ خمسين درعاً وثلاثمائة واربعين سيفاً ، وغللاً عظيمة ، كما اصبحت ارضهم للمسلمين .

(١) راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي .

الاحتلال الحربي

دخول قوات الدولة المحاربة اقليم العدو ووضعها هذا الاقليم تحت سيطرتها الفعلية ، والدولة بهذا الاجراء تنقل ميدان القتال الى ارض العدو ، والعدو يتحمل - نتيجة لهذا الاحتلال - كل اضرار الحرب المادية وما يترتب على قصف القنابل من خسائر او استنزاف الاجراءات العسكرية من اطلاق مزارع او نف جسور ، وهو الذي يتحمل فوق هذا الاضرار المالية الجسيمة التي تترتب على قيام الحرب في اقليمه ، فارضه الداخلة في ميدان القتال يتحمل زرعها ، ومبايئه واملاكه وتجارته يتحمل استغلالها ، أضف الى كل ذلك ما تملكه الدولة المحاربة من حقوق مالية في الارض المحتلة من بينها حقها في أن تفرض الضرائب فيها وأن تلزم سكانها بدفع الإعانات الجبرية ، وان تستولي منهم على ما تحتاج اليه لجيوش الاحتلال .

٤ - غزوة ذات الرقاع

(٢) قوات الطرفين

أولاً المسلمون

أربعمائة راكب وراجل بقيادة الرسول

بنو ثعلبة وبنو محارب من غطفان

(ب) الحوادث

القضاء على بني ثعلبة وبني محارب المتحشدين للقيام بغزو المدينة ، وأخذ
تار شهداء المسلمين في بئر معونة (١) .

اتصل بالنبي أن جماعة من غطفان بنجد محتشدون للقيام بغزو المدينة، لذلك

(١) حديث بئر معونة .

راجع سيرة ابن هشام

قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة،
فعرض عليه رسول الله الاسلام ودعاه اليه ، فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام. وقال : يا محمد ، لو
بنت رجلاً من اصحابك الى اهل نجد فدعوه الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك . فقال
رسول الله : « اني اخشى عليهم اهل نجد » قال ابو براء : انا لهم جار ، فابعضهم فادعوا الناس
الى امرك .

بث الرسول المنذر بن عمرو في اربعين رجلاً من اصحابه من خيار المسلمين .. فداروا حتى
نزّلوا بئر معونة ، فلما نزّلوها بثّوا بكتاب رسول الله الى عامر بن الطفيل ، فلما اتاه لم ينظر في
كتابه حتى علا الرجل الذي جاء بالكتاب ، فقتله ... ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا ان
يجيبوه الى ما دعاهم اليه ، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم فأجابوه الى ذلك ، فخرجوا حتى
اغشوا الغوم فاحاطوا بهم في رحالهم ، فلما راوهم اخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم
لا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق .

خرج بأربعمائة راكب وراجل حتى نزل (نخلًا) (١) حيث اجتمع بنو عكراب وبنو ثعلبة من غطفان .

وعلى الرغم من ضخامة عدد هؤلاء الاعراب ، إلا أن مباغثة الرسول لهم أربكتهم ، فتفرقوا تاركين وراءهم نساءهم وأموالهم .

احتمل المسلمون ما استطاعوا من غنائم ، وعادوا أدراجهم الى المدينة ، ولكنهم كانوا في طريق عودتهم حذرين من قيام المشركين بهجوم مقابل عليهم ، فتناوبوا الحراسة ليلاً وبقوا حذرين نهاراً ، إلا أن المشركين لم يقوموا بعمل ما ! وعاد الرسول بصحبته إلى المدينة بعد غياب خمسة عشر يوماً .

٥ - غزوة بدر الآخرة

(أ) قوات الطرفين

أولاً - المسلمون

الف راكب وراجل بقيادة الرسول .

ثانياً - المشركون

أكثر من ألفي رجل من قريش بقيادة أبي سفيان .

(ب) الهدف

كسر معنويات قريش والتغلب عليها لظهور قوة المسلمين للمشركين واليهود .

(ج) الحوادث

خرج الرسول بعد أن مضى عام كامل على يوم أحد مع أصحابه إلى بدر ، ليلاقى قريشاً هناك ، كما وعد أبا سفيان حين سمعه يقول : « يوم بيوم بدر » والموعود العام المقبل في بدر .

كان العام عام جدب ؛ وكان أبو سفيان يودّ لو يؤجل اللقاء الى عام آخر ،

(١) نخلًا : قال ياقوت : منزل من منازل بني ثعلبة من المدينة على مرحلتين . وكان هذا لنزل شجرة يسمونها العرب تسمى (فرات الرقاق) لذلك سميت هذه الغزوة باسم (فرات الرقاق)

فبعث رجلاً الى المدينة يقول للمسلمين : « إن قريشاً جمعت جيشاً لا قبل لجيش في العرب بمواجهته لتعاربهم به حتى تقضي عليهم قضاء لا يعد ما تم (بأحد) إلى جانبه شيئاً » . ولكن الرسول لم يكتف بهذا الوعيد ، وأصر على الخروج .

وصل المسلمون بدرأ ، وانتظروا قريشاً هناك ، ولكن المشركين الذين خرج بهم أبو سفيان من مكة تردّوا بين الأقدام والاحجام ، فأثروا السلامة وعادوا أدراجهم الى مكة بعد أن قطعوا مسيرة مرحلتين منها .

وعاد المسلمون إلى المدينة بعد أن طال انتظارهم للمشركين ثمانية أيام بيدر ، وقد حثت غزوة بدر الآخرة كل أثر سيئ . لمعركة أحد داخل المدينة وخارجها على حد سواء

٦ - غزوة دومة الجندل

(أ) قوات الطرفين

أولاً - المسلمون

ألف راكب وراجل بقيادة الرسول .

ثانياً - المشركون

القبائل البدوية التي تقطن منطقة دومة الجندل .

الهدف

منع القبائل القاطنة في منطقة دومة الجندل من قطع الطرق ونهب القوافل ، والقضاء على تعسدها لمهاجمة المدينة .

(ب) الحوادث

خرج الرسول بألف من المسلمين ، يكمن بهم نهاراً ويسير ليلاً ، حتى يباغت قبائل دومة الجندل في وقت لا يتوقعونه .

تقع دومة الجندل على الحدود بين الحجاز والشام ، وقد قطع المسلمون المسافة بين المدينة وبينها بخمس عشرة مرحلة ، فلما وصلها الرسول فرت القبائل خوفاً

من لقاء المسلمين، كما فر أهل دومة الجندل، فلم يجد المسلمون أحداً منهم، فأرسلوا دوريات قتال واستطلاع للحصول على الناس بالمشرकिन والحصول على المعلومات عنهم، حتى يقوم المسلمون بمطاردتهم، ولكن ذهبت جهود هذه الدوريات أدراج الرياح.

وعاد المسلمون إلى المدينة بعد أن أقاموا في دومة الجندل بضعة أيام.

٧ - غزوة بني المصطلق

أ) قوات الطرفين

أولاً - المسلمون

قواتهم تقدر بألف مسلم بين راكب وراجل بقيادة الرسول.

ثانياً - المشركون

بنو المصطلق بقيادة الحارث بن أبي ضرار.

ب) الهدف

القضاء على تحشيدات بني المصطلق قبل قيامهم بالتعرض بالمدينة.

ج) الحوادث

بلغ محمد أن بني المصطلق وهم فرع من خزاعة يحشدون جموعهم في منطقة (المريبع) قرب مكة للهجوم على المدينة وقتل الرسول، لذلك أمرع بالخروج ليأخذهم على غرة.

جعل لواء المهاجرين لأبي بكر، ولواء الأنصار لسعد بن عباد، ونزل المسلمون على ماء قريب من بني المصطلق يقال له (المريبع) ثم أحاطوا ببني المصطلق، ففر من جاء أنصرتهم وقتل من بني المصطلق عشرة ومن الميامين رجل واحد.. ثم سلم بنو المصطلق، فأخذوا أسرى.

وكان لسعد بن الخطاب في الجيش أجير يقود فرسه، فازدحم بعد انتهاء المعركة مع أحد رجال الخزرج على الماء. فاقطلا...

صاح الحزرجي . يا معشر الانصار .

وفادى أجير عمر : يا معشر المهاجرين .

وسمع عبدالله بن أبي النداء ، وكان قد خرج مع المنافقين في هذه الغزوة متظاهراً بالاسلام ، فانتهازها فرصة ليشعلها فتنة عمياء بين المهاجرين والانصار .

ولما علم الرسول بالحادث قرر الرحيل فوراً قبل أن يستفحل الأمر ، وانطلق بالناس طيلة يومهم حتى أمسوا ، وطيلة ليلتهم حتى أصبحوا ، وصدر يومهم الثاني حتى آذنتهم الشمس ، فلما نزل الناس لم يلبثوا حين مست جنوبهم الارض أن قاموا من فرط تعبهم .

وأنسى التعب المسلمين فتنة ابن أبي ، وعادوا الى المدينة ومعهم الاسرى والغنائم .

وظن المسلمون ان الرسول سيعاقب عبدالله بن أبي ، وتقدم ابنه عبدالله بن أبي يطلب من الرسول أن يأمره بقتل أبيه .

ولكن الرسول عفا عنه قائلاً لولده المؤمن : « إنا لا نقتله بل نتوفى به ونحسن صحبته ما بقي معنا » .

دروس من غزوات التطهير

١ - المسير الليلي

قام الرسول بالمسير ليلًا في أكثر هذه الغزوات حتى يحول دون انكشاف نواياه واتجاه حركته قواته ، فيؤمن مباغتة أعدائه مباغتة تامة .

لقد كانت القبائل التي قام بغزوها قوية ولها حلفاء وأنصار ، فلو أنها عرفت بمسيره لسارعت بالاستعداد للاقائه واستعانت بحلفائها وأنصارها لمعاونتها يوم اللقاء .

ولكن المسير الليلي حال بينها وبين ذلك كله ، فاستطاع الرسول بقواته

القليلة بالنسبة لقوات تلك القبائل ، أن يتغلب عليها ويقضي على نوابها العدوانية ، ويلقي الرعب في نفوسها ونفوس القبائل الأخرى التي تسمع بانتصار الرسول . إن الضربة الأولى ، لها أثر حاسم في نفسية الأعراب فإذا امكن التغلب عليها في المعركة الأولى تشتت شملها ، والا فما أصعب القضاء عليها ! لقد عرف الرسول نفسية القبائل هذه ، فحاول القضاء على معنوياتها بضربة مباغتة بالمسير الليلي .

٢ - الهجوم فجراً

استطاعت سرية ابي سلمة القيام بهجوم فجري على بني أسد ، فكان هذا الهجوم مباغتة كاملة أثرت على معنوياتها ، وأجبرتها على الفرار . إن الهجوم الفجري يؤمن المباغتة ، لأن العدو يكون بين نائم لا يفيد للقتال أو مستيقظ يقوم بعمل ما ، وهؤلاء جميعاً غير متهيئين للقتال . ولكن الهجوم فجراً يحتاج الى قوة مدربة حتى تستطيع معرفة أهدافها ، فلا يصطدم بعضها ببعض ، فيؤدي ذلك الى خسائر في الارواح . كما يحتاج الهجوم فجراً الى قيادة مهيمنة والى ضبط شديد لتنفيذ الأوامر . إن نجاح المسلمين بهذا الهجوم معناه وصولهم الى درجة عالية في التدريب والضبط .

٣ - قتال المدن والشوارع

نقل بنو النضير الحجارة الى الشوارع ، وجعلوا منها متاريس للقتال وراءها . كما دافعوا عن الشوارع والدور دفاعاً مستميتاً . وقام المسلمون بتطهير الشوارع والدور والانتقال من شارع الى آخر ومن دار الى أخرى ، حتى ضيقوا الحصار على اليهود ، وأجبروهم على التسليم . إن قتال المدن والشوارع سهل على المدافع ، لانه يعرف الطرقات ومداخل البيوت ومخارجها كما أن الشوارع والدور تقدم حماية للمدافعين ، لذلك فمهمة

قتال المدن والشوارع ليست سهلة على المهاجم ونحتاج الى قيادة مسيطرة وضبط متين وتدريب جيد .

إن نجاح المسلمين في قتال المدن والشوارع ضد اليهود يدل بوضوح على أن مستوى قيادتهم وضبطهم وتدريبهم كان راقياً جداً .

١ - الابداع (١)

الابداع هنا معناه مرعة الخاطر في اعطاء القرار الجازم الصحيح في المواقف الحرجة ، مع تحمل مسؤولية ذلك القرار مهما تكن النتائج .

وقد كان عمل عبدالله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان الهذلي الذي حشد بني لحيان لمهاجمة المدينة ، ابداعاً ممتازاً أدى الى تشتيت قبيلته ، وبذلك قام عبدالله ابن أنيس وحده مقام قوة كبيرة كان عليها أن تتحرك لمهاجمة بني لحيان ، فتبذل جهوداً ووقتاً ومالاً في معركة غير معروفة النتائج :

وكان عمل الرسول في تحريكه قواته بعد غزوة بني المصطلق ، لما علم بمحاولة عبدالله بن أبي إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار ، واستمرار المسير الشاق لمدة ثلاثين ساعة ... - كان عمل الرسول ابداعاً ممتازاً إذ لولا مسارعته بالحركة مع قواته حتى انهكها التعب لما استبعدنا بناتاً نجاح عبدالله بن أبي في غنته .

ان مزية الابداع من أعظم مزايا القائد الكفوء .

٥ - المعنويات

حاول المشركون والمنافقون أن ينالوا بدعاياتهم المضرة من المسلمين بعد أن عجزوا عن أن ينالوا منهم في ساحات القتال .

لقد حاول المشركون أن يؤثروا على معنويات المسلمين ، كي لا يطمئنوا الى إرسال دعائهم خارج المدينة ، وبذلك يجعلون الدعوة تنحصر في محيط ضيق لا يتسع لآمالها القريبة والبعيدة .

(١) الابداع :

سبق العدو بالعمل لارغامه عنى تبديل الخطة التي اتخذها وارغامه للانقياد الى رغائبك .

غزوات التطهير

النتائج	التاريخ	المكان	قائد	المشاركين	قوة	قائد المسلمين	قوة المسلمين	اسم الغزوة	الترتيب
فرار بني أسد	ذو الحجة من السنة الثانية للهجرة	دار بني أسد	طلحة وسلة	ابني خويلد	بنو أسد	أبو سلمة بن عبد الأسد	١٥٠ بين ركب وراجل	سرية أبي سلمة	١
قتل خالد بن سفيان الهذلي فتشت بنو حيان	—	مخلة	خالد ابن سفيان الهذلي	بنو حيان من هذيل	بنو أسد	عبد الله ابن أنيس	دورية استطاعة بقوة شخص واحد	سرية عبد الله ابن أنيس	٢
إجلاء بني النضير عن المدينة	ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة	ضواحي المدينة	—	اليهود من بني النضير	بنو أسد	عبد	كافة مسلمي المدينة	غزوة بني النضير	٣

٤	غزوة ذات الرقاع	٤٠٠ راكب ورجال	محمد	بنو حارث وبنو ثعلبة من غطفان	-	ذات الرقاع بنجد	جادي الآخرة من السنة الرابعة للهجرة	فراد بني حارث وبنو ثعلبة
٥	غزوة بدر الآخرة	حوالي ألف راكب ورجال	محمد	٢٠٠٠ من قریش	أبو سفيان	بدر	شعبان من السنة الرابعة للهجرة	عادت قریش أدراجها إلى مكة خوفاً من لقاء المسلمين
٦	غزوة دومة الجندل	ألف راكب ورجال	محمد	قبائل دومة الجندل	-	دومة الجندل	ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة	فر المشركون
٧	غزوة بني المصطلق	ألف راكب ورجال	محمد	بنو المصطلق	-	الربيع	شعبان من السنة الخامسة للهجرة	فر المشركون

غدر بنو عضل والقار بمعاونة هذيل بسة من الدعاة في (الرجيع) ، وكان بنو عضل والقار هم الذين طلبوا من الرسول إرسال بعض دعاة إليهم ليعلموهم الاسلام .

وغدر عامر بن الطفيل من بني عامر مع بعض الأعراب بأربعين داعياً من دعاة الاسلام في بشر معونة بنجد وقضى عليهم إلا رجلاً عاد الى المدينة يحمل أخبار الشهداء .

فهل أثرت هذه الحقائق على معنويات المسلمين ؟

ان استشهاده الدعاة لم يؤثر على معنويات المسلمين ، لانهم استمروا على إرسال دعايتهم وخرجوا لأخذ ثارات هؤلاء الدعاة ، حتى لا يعود المشركون الى الغدر بالمسلمين مرة أخرى .

وحاول المنافقون التأثير على معنويات المسلمين بأسلوب آخر هو أسلوب الدعاية السيئة ، فاختلقوا حديث الافك بعد غزوة بني المصطلق . ولم ينجح هذا الأسلوب ايضاً بالتأثير على معنويات المسلمين ، فلم يبق امام المشركين واليهود والمنافقين الا ان يحشدوا كل قواتهم في صعيد واحد لمحاولة القضاء على المسلمين مادياً ومعنوياً ، كما سنرى ذلك في غزوة الخندق .

هــازم الأـعـزـاب

« إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل
منكم ، وإذا زاغت الأبصار وبلغت
القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا
هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا
شديدا ،

القرآن الكريم

غزوة الخندق

الموقف العام

١ - المسلمون

نجح المسلمون في إعادة النظام الى صفوفهم بعد (أحد) ، وتخلصوا من يهود بني النضير ، وبذلك قوي مركزهم في المدينة قاعدتهم الأمانة ، كما أثروا على معنويات قريش وكافة القبائل التي طمعت في مهاجمة المدينة .
لقد استعادوا في هذه الفترة سمعتهم ، وأصبح سلطانهم مهيباً في المدينة وخارجها على حد سواء .

٢ - المشركون واليهود

لم تستطع قريش لقاء المسلمين في بدر الصغرى ، لأنها قدرت أن قوة المسلمين أكبر من أن تستطيع القضاء عليها وحدها .
كما لم تستطع القبائل أن تهاجم المدينة كما أرادت ، إذ هاجمها المسلمون على انفراد وفي عقر دارها وتغلبوا عليها بالتعاقب .
وكان اليهود أضعف من أن يفكروا بالتعرض وحدهم بالمسلمين ، ولكنهم يترقبون الفرص .
وكان لا بد من تجمع قوى قريش والقبائل الأخرى واليهود في صعيد واحد للقضاء على المسلمين ، إذ أصبح المسلمون بدرجة من القوة يصعب معها القضاء عليهم اذا لم تتحشد كافة قوى أعدائهم ، وفعلًا قام الموتورون من يهود بني النضير بمهمة تحشيد قوات المشركين واليهود حول المدينة ، ونجحوا بتحشيد أكبر قوة متفوقة للقضاء على الدين الجديد .

قوات الطرفين

١ - المسلمون

ثلاثة آلاف رجل بقيادة الرسول .

٢ - المشركون

عشرة آلاف عدا اليهود من بني قريظة، منهم أربعة آلاف من قريش وستة آلاف من بني سليم وأسد وفزارة وأشجع وغطفان .

كانت قريش بقيادة أبي سفيان .

وكانت غطفان بقيادة عيينة بن حصن والحارث بن عوف .

وكانت أشجع بقيادة مسعر بن ربيعة .

أهداف الطرفين

١ - المسلمون

الدفاع عن الاسلام .

٢ - المشركون واليهود

القضاء على المسلمين وانتهاك أموالهم وذرائعهم .

التوقيت

كانت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة للهجرة واستمر الحصار حوالي شهر واحد .

↑ شمال

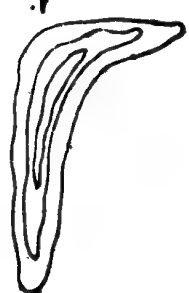


غطفان
● ديب مقص
● مجمع الاسياد
قديش

جبل اخد



جبل سلع



البحر فوف

مبيلات الجنداق

المسلمون

المشركون

المدينة

قبا

حجرة المدينة

المجاصد



اصف و ١٠٠ ميد

قبل المعركة

١ - المسلمون

أ) قرر المسلمون البقاء في المدينة وحفروا خندقاً عميقاً يحيط بشمال المدينة . ويقع بين حرة المدينة وجبل سلع ؛ لأن هذه المنطقة هي المنطقة الوحيدة المكشوفة ؛ إذ أن جهات المدينة الأخرى محاطة ؛ بالبساتين الكثيفة والعوارض الطبيعية الأخرى ، وذلك يحول دون إمكان إجراء القتال بقوات كبيرة في أطراف المدينة عدا الشالية منها ، حيث أنها مكشوفة كما أسلفنا ، لذلك أشار سلمان الفارسي بحفر الخندق ، في هذه المنطقة ، ولم يكن حفر الخنادق للأغراض الدفاعية معروفاً عند العرب من قبل .

قسم الرسول منطقة الحفر على أصحابه : لكل عشرة منهم أربعون ذراعاً ، واشتغل هو بالحفر أيضاً ، كأي فرد منهم ، بل كان المسلمون يستعينون به عندما تصادفهم بعض العقبات أثناء الحفر ، كظهور الصخور ، فيحضر بنفسه لتفتيتها . وكان العمل يستمر طيلة النهار ، ثم يأوي المسلمون ليلاً إلى دورهم ليأخذوا قسطاً من الراحة ، وقد سيطر الرسول بنفسه على العمل . فلا يذهب أحد لعمله الخاص إلا بموافقة .

ب) جمع الرسول النساء والأطفال في بيوت قوبة البنيان في منطقة أمية داخل المدينة لإفادة من مناعتها لحمايتهم ، وهجروا البيوت الواهنة .
ج) - بعد انجاز حفر الخندق ، احتل المسلمون مواضعهم خلف الخندق واستفادوا من مناعة جبل سلع لحماية جناحهم الأيسر من الالتفاف لقطع خط رجعتهم .

٢ - المشركون واليهود

أ) - قصد نفر من اليهود قريشاً في مكة منهم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب ، فدعواهم إلى حرب الرسول ، ووعدوهم أنهم سيكونون معهم في القتال .

فلما وافقت قريش ، قصد اليهود غطفان وغيرها من القبائل ، ودعوم الى حرب الرسول أيضاً ، وأخبروهم أن قريشاً معهم على ذلك ، فوافقت غطفان والقبائل الاخرى .

ب (- لما وصلت قريش وغطفان والقبائل الاخرى الى ضواحي المدينة ، استطاع حيّ بن أخطب التأثير على اليهود من بني قريظة ، فنكثوا عنهم مع المسلمين وانضوا الى الاحزاب .

ج (- كانت مواضع قتال الاحزاب في ضواحي المدينة كما يلي (راجع المخطط) .

أولاً - قريش في موضع مجمع الاسيال .

ثانياً - غطفان وقبائل نجد في موضع ذنب بني نقيم .

ثالثاً - بنو قريظة في حصونهم في ضواحي المدينة .

سير القتال

١ - تخرج موقف المسلمين كثيراً ، خاصة بعد انضمام بني قريظة للاحزاب ، فقد كان بإمكان هؤلاء اليهود التسلل الى داخل المدينة والتعريض بالنساء والاطفال خاصة وانهم يعرفون تفاصيل مسالكهما لانهم من اهلها ، مما يؤثر على معنويات المسلمين الذين يقاتلون في ساحة المعركة ، لأنهم أصبحوا غير مطمئنين على مصير عوائلهم وذرائعهم وأموالهم .

كما كان بإمكان اليهود القيام بحركة جريئة لقطع خط رجعة المسلمين الى داخل المدينة . وبذلك يفسحون المجال للاحزاب لاقتحام الحندق دون مقاومة تذكر . لذلك كان وقع نكث بني قريظة لعهدهم شديداً على نفوس المسلمين .

أرسل اليهود رجلاً منهم الى داخل المدينة ، فاستطاع التسلل الى الدور التي تجتمع بها النساء والاطفال ، ولكن هذا اليهودي لم يعد الى قومه ليخبرهم عن

مواضع النساء والاطفال وعن درجة مناعتها وحمايتها ، لأن امرأة مسلمة رآه يستطلع المواضع ، فاستطاعت قتله مستفيدة من عمود خشبي .

ان هذا اليهودي كان دورية استطاع للحصول على المعلومات عن مواضع النساء والاطفال . حتى يقوم بهجوم مباغت عليهم بعد التأكد من عدم تيسر الحماية لهم ، ليضطروا المسلمين الى الانسحاب من مواضعهم الاصلية لتجدة اهلهم وانقاذاً موالهم .

ان قتل هذا اليهودي خلص المسلمين من خطر داهم ، اذ جعل اليهود يفكرون أن في داخل المدينة حراساً أشداء من المسلمين ، وليس من السهل التخلل من هذه الحراسة الشديدة . لذلك قبع اليهود في حصونهم لا يفكرون بالخروج .

٢ - تحركت مفرزة من فرسان قريش فيهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل ، ومروا بيني كنانة واستثاروا حميتهم للقتال ، فلما وصلت هذه المفرزة الى الخندق واستطلعوا منطقة ضيقة فيه ، فعبروها بنجولهم ؛ فخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين للقائهم ، واتجهوا فوراً الى الثغرة التي عبر المشركون منها لقطع خط رجعة المشركين أولاً ولمنع الامدادات من الاحزاب اليهم ثانياً ، ثم نازل علي بن أبي طالب عمرو بن عبد ود فقتله ، كما قتل المسلمون وجلين من المشركين ، وعادت بقية فرسان قريش هاربة الى قواعدها .

٣ - قامت مفرزة من المشركين بالهجوم على المسلمين باتجاه دار الرسول ، فقاتلهم المسلمون النهار كله حتى الليل ، فلما حانت صلاة العصر تخرج موقف المسلمين لاقترب المشركين من منزل الرسول ، حتى لم يستطع المسلمون ان يصلوا ، ولكنهم استطاعوا مع الليل صد مفرزة المشركين خائبة على اعقابها .

٤ - حاول الرسول ان يرد بعض الاحزاب عن المدينة لقاء ثلث الثار ، وكاد ان يصل في مفاوضاته مع قادة غطفان الى هذا الاتفاق ، ولكن سادات الاوس والخزرج اقترحوا الا يعطوا المشركين شيئاً من ثأرهم ، فوافق الرسول على اقتراحهم هذا .

٥ - أتر بقاء الاعراب مدة طويلة حول المدينة على معنوياتهم خاصة وان

الموسم شتاء ، وان الاعراب لا يطيقون الصبر طويلا على الحصار ولا على قتال
مديد بصورة عامة ، لذلك اخذوا يبدون تدميرهم من بقائهم مدة طويلة دون
جدوى .

٦ - جاء نعيم بن مسعود الى الرسول . واخبره انه أسلم ولا يعلم قومه باسلامه ،
فقال له الرسول : « إنما انت رجل واحد . فخذل عنا ما استطعت ، فان الحرب
خدعة (١) » ...

خرج نعيم حتى أتى بني قريظة وكان نديماً لهم في الجاهلية ، فقال لهم : « عرفتم
ودي إياكم ، وقد ظاهرتم قريشاً وغطفان على حرب محمد وليسوا كأنتم : البلد بلدكم
به اموالكم وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون ان تتحولوا منه ، وان قريشاً وغطفان
ان رأوا نهزة (٢) وغنية اصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم
وبين محمد ، ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهناً من اشرافهم
حتى تتاجزوا محمداً » .

قالت بنو قريظة : « أشرت بالنصح ولست عندنا بمتهم » . ثم خرج نعيم الى
قريش ، فقال لهم : « بلغني ان قريظة ندموا ، وقد ارسلوا الى محمد : هل يرضيك
عنا ان نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من اشرافهم فتعطيكمهم فتضرب اعناقهم ،
ثم نكون معك على من بقي منهم ؟ فأجابهم : ان نعم . فان طلبت قريظة منكم
رهناً من رجالكم ، فلا تدفعوا لهم رجلاً واحداً » ...
وجاء نعيم غطفان فقال لهم : « انتم اهلي وعشيرتي » . وقال لهم مثل ما
قال لقريش ... وحذرهم .

(١) خدع الحرب - راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي .

يجوز للدولة المحاربة أن تلجأ ، في حربها الى الخدع بشرط الا تصل فيها الى حد الدنر والحيادة ،
ومن امثلة خدع الحرب القيام بمناورات كاذبة ، وايحاء العدو في كمين وتضليله (بالمعلومات
الكاذبة) اخفاء لما تنوي القيام به من حركات عسكرية ، كما يعتبر من الخدع المشروعة العمل
بواسطة الاعوان والمأجورين على اثاره الشغب في دولة العدو او نشر الاخبار الكاذبة لغرض
اضاف القوة المعنوية .

(٢) نهزة : بضم النون وسكون الهاء -- الفرسة .

ارسل ابو سفيان وسادة غطفان الى قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان في ليلة سبت ، وطلبوا منهم الاستعداد للهجوم نهـار السبت ، ولكن قريظة اعتذروا بأنهم لا يقاتلون يوم السبت ؛ ثم طلبت قريظة رهائن من قريش وغطفان قبل أن تشرع بأي هجوم !

قالت قريش وغطفان : لقد صدق نعيم ... !!

ولما رُفِض طلب قريظة قالت : لقد صدق نعيم ! وتفرقت قلوب الاحزاب وزالت الثقة بينهم .

٧ - ارسل الرسول حذيفة بن اليمان ليلاً ليستطلع اخبار الاحزاب ، فرأى قريباً تشد رحالها متجهة الى مكة ، فلهـا علمت غطفان بارتحال قريش دون علمها ، عادت ادراجها مع القبائل الاخرى الى مواطنها .

وحينذاك علم الرسول ببصيرته النافذة ان المشركين فقدوا فرصتهم الثمينة ، وان مثل هذه الفرصة لن تعود اليهم مرة اخرى ؛ واذا لم يستطع المشركون بعد تجمعهم الضخم هذا ان يقضوا على المسلمين ، فكيف يستطيعون القضاء عليهم بعد تفرقهم ؟

خسائر الطرفين

١ - المسلمون

سنة شهداء

٢ - المشركون

ثلاثة قتلى .

أسباب فشل الاحزاب

١ - قيادة غير موحدة

لم تكن للاحزاب قيادة موحدة تستطيع السيطرة على جميع القوات المتبصرة وتوجيهها للعمل الحاسم في الوقت الحاسم .

كان لكل قبيلة قائد بل عدة قواد ، ولم يستطع هؤلاء القادة تنظيم خطة موحدة للهجوم على المسلمين ، وقد كان من المستحيل اتفاهم على قائد منهم لسيطر على الجميع ، لان هذا القائد سينال شرفاً عظيماً يمتاز به على الآخرين ، ولا يمكن للآخرين ان يقبلوا بهذا الامتياز .

لقد كانت النعرة الجاهلية لا الهدف المشترك هي التي تسيطر على القيادة . ولا يمكن ان تنجح مثل هذه القيادة في أي موقف بأي معركة حتى ولو كانت لها كل الظروف المؤاتية - كما في غزوة الخندق بالنسبة للاحزاب واليهود .

٢ - المباغطة باخندق

لقد كان حفر الخندق مباغطة تامة للاحزاب ، فلم تكن العرب تعرف هذا الاسلوب ، كما لم تكن تعرف اسلوب القتال المناسب للتغلب على مثل هذا الموقف . لذلك بقي القتال مستكناً طول مدة الحصار ، عدا محاولات قليلة قام بها المشركون لمحاولة اجتياز الخندق باهت كلها بالفشل ...

٣ - العطش

كان موسم القتال شتاء ، وكان الاعراب في العراء يعيشون في غير مواطنهم التي يستفيدون فيها من موادهم المتيسرة للتدفئة وللأعاشة والسكنى .. لذلك لم يستطيعوا البقاء لحصار المدينة مدة طويلة .

٤ - إعدام الثقة

كانت الثقة بين الاحزاب انفسهم من جهة وبينهم وبين اليهود من جهة أخرى واهنة جداً ، بل لم تكن هناك ثقة بينهم على الاطلاق .

قرش تريد القضاء على المسلمين بالافادة من جهود القبائل واليهود .

والقبائل تريد الاسلاب بالدرجة الاولى من أي مصدر كان ، ولو وقعت أموال أحلافهم بني قريظة بيدهم لأخذوها أيضاً .

واليهود لا يثقون بالجميع ويريدون القضاء على المسلمين بدماء قريش والقبائل
الآخري .

ومكذا انعدمت الثقة بينهم لتفرق الأهداف والمقاصد .

هـ - الصبر على الحصار

يحتاج الصبر على الحصار إلى قوات مدربة لها أهداف معلومة وقيادة مهيمنة ،
أما القبائل فلا صبر لها على الحصار ، لأنها اعتادت على التنقل بين فترة وأخرى ،
كما أنها لا تطيق صبراً على فراق وطنها وأهلها مدة طويلة .
لذلك تدمر الأعراب من طول مدة الحصار - على قصرها ، وآثروا الارتحال .

دروس من غزوة الخندق

١ - القيادة

عالجنا أسلوب القيادة المرتبك عند الأحزاب واليهود ، مما كان له أسوأ الأثر
على نتيجة معركتهم .
وبقدر ما كانت قيادة الأحزاب واهنة ، كانت قيادة المسلمين كفوءة حازمة
رشيدة .

قرر الرسول البقاء في المدينة ، وأمر بحفر الخندق . وانتخب منطقة الحفر في
السهول الكائنة شمال المدينة ، ووزع أعمال الحفر بالتساوي بين أصحابه ،
وسيطر على العمل ، فلا يستطيع أحد ترك واجبه إلا بأمر منه ، حتى انجز أعمال
حفر الخندق قبل وصول المشركين .

واسفل هو بنفسه بالحفر كبقية أصحابه تماماً ، بل استأثر دونهم بالحوادث
الصلبة التي لم يستطيع أصحابه التغلب عليها - كفلق الصخور القاسية ١١
ثم قسم واجبات احتلال الموضع بين أصحابه ، بحيث لا يقفل أحد عن شبر
من الخندق ليلاً ونهاراً ، على الرغم من برودة الطقس ، وقد كان هو بنفسه لا يترك
مقره إلا ليقوم بتفتيش الحراس وليشجعهم ويرفع من معنوياتهم .

وأهم من ذلك كله سيطرته على أصحابه عندما تأزّم الموقف حين وصلت الأحزاب الى ضواحي المدينة بقوات متفوقة على المسلمين ، وحين نكثت قريظة بعهدا ، فأصبح الخطر يهدد المسلمين من الداخل والخارج .

٢ - تعبئة جديدة

إستفاد المسلمون من حفر الخندق للدفاع عن المدينة ، وهذا الأسلوب الجديد من أساليب القتال يدخل في أساليب العرب الحربية لأول مرة في التاريخ .

إنّ القائد العبقرى هو الذي يستخدم أسلوباً جديداً أو سلاحاً جديداً في القتال ، والخندق هو الأسلوب الجديد الثانى الذي استخدمه الرسول في القتال . بعد ان استخدم أسلوب الصفوف في معركة بدر كما رأينا .

لقد أخذ الرسول بفكرة حفر الخندق من سلمان الفارسي ، لذلك قال فيه كلمته الخالدة : « سلمان منا أهل البيت » . ليشجع التفكير المفيد ويشيد بالعاملين للصحة العامة ويقطع دابر العصيات .

٣ - الحرب الجديدة

وأينا أثر الاشاعات التي بثها نعيم بن مسعود في تفريق كلمة الأحزاب ، ولا يمكن نجاح الأحزاب او غيروهم إلا يجمع الكلمة ، فلما تفرقت كلمتهم ، فشلوا .

إن الحرب الحديثة تعتمد على بث الاشاعات لتصديع الصفوف وبلبة الافكار ، وقسم بث الاشاعات من أهم اقسام شعب الاستخبارات في تشكيلات الجيوش . وبقدر ما كانت الاشاعة تعمل عملها في صفوف الأحزاب ، فان الاشاعة لم يكن لها أي أثر في صفوف المسلمين .

حاول المنافقون أن يثبتوا سموم إشاعاتهم لتحطيم معنويات المسلمين ، ولكن محاولتهم فشلت .

وعندما أرسل الرسول بعض أصحابه لمعرفة موقف بني قريظة ، وعاد هؤلاء اليه بعد أن تأكدوا من صحة اشاعة نكث بني قريظة بعهدا ، حرصوا على ان

يخبروا الرسول بهذا الخبر بكلام لا يفهمه غير الرسول نفسه (بالرموز) حتى لا يؤثر هذا الخبر على معنويات المسلمين .

لقد عرف المسلمون اثر الاشاعة على المعنويات قبل أربعة عشر قرناً .

المبادأة (١)

٤ - غزوة الخندق هي المعركة الحاسمة الثانية بعد معركة بدر الكبرى ، فلو نجح المشركون واليهود في هذه المعركة لتغير وجه التاريخ الإسلامي .

لقد استطاع اليهود ان يجمعوا الاحزاب حول المدينة ، وعاونهم اليهود من بني قريظة ، للقضاء على المسلمين . وهذا التحشد فرصة لا تعود أبداً ، خاصة اذا فشلت الاحزاب .

ان معنى فشل الاحزاب بعد هذا التحشد المائل ، انهم لن يجتمعوا مرة اخرى ، وانهم لا يستطيعون القضاء على المسلمين بعد ذلك منفردين بعد ان عجزوا عن القضاء عليهم مجتمعين ، ولهذا النتيجة أثر حاسم على انتشار الاسلام فيما بعد .

لقد انتقل المسلمون من دور الدفاع (٢) الى دور الهجوم (٣) في اليوم الذي انتهت به غزوة الخندق ، لذلك قال الرسول لأصحابه بعد انسحاب الاحزاب : « الآن نغزوهم ولا يغزونا » .

وانتقلت المبادأة الى يد المسلمين بعد هذه الغزوة ، ولم يتركها حتى شمل الاسلام الجزيرة العربية كلها ، وارتفعت راية الاسلام شرقاً وغرباً فوق كل راية .

(١) المبادأة : تعبير يقصد به من الناحية العسكرية سبق بالعمل لاجبار العدو على تبديل خطته والاحتفاظ بهذا سبق .

(٢) الدفاع : تعبير عسكري يقصد به التدابير المتخذة لايقاف تقدم العدو في موضع ما لمدة قصيرة او طويلة .

(٣) تعبير عسكري يقصد به سلسلة حملات تتخللها وقفة ضرورية .

القصاص العادل

« وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتهم به ، ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين » .

القرآن الكريم

محاسبة الفادرين

الموقف العام

١ - المسلمون

إستطاع المسلمون الصمود أمام الأحزاب واليهود في ظروف قاسية جداً ضد قوات العدو المتفوقة عليهم تفوقاً ساحقاً ، فصمدوا تجاه الخطر الداهم الذي يهددهم من خارج المدينة ومن داخلها .
ونجاح المسلمين وصمودهم جعل معنوياتهم بوضع ممتاز لم يسبق له مثيل من قبل .

لقد تخلصوا من الأحزاب ، وبقي أمامهم بنو قريظة جيوانهم في المدينة الذين لم يروعوا حق الجار ولا حافظوا على العهد ، وخانوا المسلمين في أشد أوقات محتتهم ، فلا بد من تصفية الحساب معهم .

٢ - المشركون

إنسحب الأحزاب وقريش إلى ديارهم يحملون معهم كل معاني الفشل ، فلم تستطع قريش القضاء على المسلمين ، ولم تستطع القبائل الأخرى نهب أموال المسلمين ، ولم يعودوا بأية فائدة يمكن أن تخفف عنهم ما بذلوه من جهد في السفر والحصار أيام الشتاء ومن مال صرفوه لإدامة قواتهم بالموارد والأرزاق قبل المعركة واثناؤها وبعدها .

لقد أثر ذلك على معنويات المشركين ، وجعلهم يخافون المسلمين كل الخوف .

٣ - اليهود

بقي اليهود من بني قريظة وحدهم بعد انسحاب الأحزاب ، وبقيت معهم غدرتهم الشنيعة التي فضحت طواياهم ، فأصبحوا كالمجرم الذي ثبتت إدانته فهو يرقب القصاص العادل .

لقد كانت معنوياتهم منعدمة للغاية ، إذ كانوا يتوقعون هجوم المسلمين عليهم ويعرفون نتيجة هذا الهجوم .

الهدف الحيوي

محاسبة الغادرين من اليهود على غدرهم بالمسلمين في أشد أوقاتهم حرجاً ، ومحاسبة القبائل التي غدرت بدعاة المسلمين .

غزوة بني قريظة

١ - اسباب الغزوة

نكث بني قريظة لعهدهم مع المسلمين عند تجمع الأحزاب حول المدينة .

٢ - قوات الطرفين

أ - المسلمون

ثلاثة آلاف بقيادة الرسول معهم ستة وثلاثون فارساً فقط .

ب - بنو قريظة

من ٦٠٠ - ٧٠٠ مقاتل بقيادة كعب بن أسد يعاونه حي بن أخطب رأس اليهود الذين حشدوا الأحزاب وجمعوها حول المدينة .

٣ - الهدف

القضاء على بني قريظة لنكثها بعهودها ، بما جعل المسلمين مهددين بالإبادة .

عاد الرسول إلى المدينة صباح اليوم التي انسحب الأحزاب فيها إلى ديارهم ، وأمر أصحابه ظهر ذلك اليوم بالحركة إلى قريظة والإسراع بالإطباق على حصونهم بحيث لا يصلون العصر إلا هناك . وعلى الرغم من تعب المسلمين الشديد لبقائهم مدة طويلة محاصرين ، وعلى الرغم من برودة الطقس ، فقد أسرع المسلمون لتنفيذ أمر الرسول ، وانجزوا تحشدتهم حول حصون بني قريظة قبل أن يحل الظلام . استمر الحصار خمساً وعشرين ليلة لم يقع خلالها إلا بعض المناوشات الطفيفة بالنبل والحجارة ، كان من أثرها استشهاد أحد المسلمين مصاباً برمح رماه بها امرأة يهودية من فوق سطح منزلها .

لم يجرأ بنو قريظة على الخروج من حصونهم طيلة مدة الحصار ، وكانوا مترددين لا يستقر رأيهم على شيء من شدة الخوف . طلب منهم قائدهم أن يعتنقوا الإسلام ، فرفضوا ؛ فطلب منهم الخروج للقتال ، فرفضوا أيضاً . وبقوا في حصونهم لا يفعلون شيئاً .

وأخيراً أرسل اليهود يعرضون الخروج إلى (أذريعات) ثاركن وراءهم ، مما يملكونه . فآبى الرسول إلا أن يسلموا بدون قيد أو شرط .

وعاد اليهود يطلبون التسليم على أن يحكم سعد بن معاذ بمصيرهم ، وقد اختاروه لأنه سيد الأوس خلفائهم في الجاهلية ، لعل الرسول يقبل من حلفاء الأوس ما قبل من اليهود بني قينقاع حلفاء الخزرج .

وقبل الرسول بنزولهم على حكم سعد ، وقبل سعد بأن يقوم بالتحكيم بين المسلمين من جهة واليهود من جهة أخرى بعد أن أخذ الموائيق على الطرفين أن يرضى كلاهما بقضائه . فلما أعطوه الموائيق ، أمر بني قريظة أن ينزلوا من حصونهم وأن يضعوا السلاح ، ففعلوا ...

وكان حكم سعد فيهم : أن يقتل المقاتلون ، وتقسّم الأموال وتسبى الذراري والنساء ، لأن سعداً ذكر أن الأحزاب لو انتصرت بخيانة بني قريظة لكان مصير المسلمين الإبادة من الوجود ، فجزاهم سعد بمثل ما عرضوا المسلمين له .

لم تكن حرب بني قريظة حرب ميدان إنما كانت حرب أعصاب . فلم يستطع اليهود أن يتحملوا الحصار على الرغم من توفر المواد الغذائية لديهم وتوفر المياه والآبار ومناعة حصونهم وصعوبة اقتحامها ، فأثروا التسليم على مكابدة الحصار . والحق ان الموقف العسكري كان إلى جانبهم لتلك الأسباب كلها ولشدة تعب المسلمين ولبرودة الطقس ، ولكن معنوياتهم المنحطة انهارت ، فلم يقاوموا طويلاً كما كان المؤمل .

وقتل مقاتلو بني قريظة جميعاً ومعهم حي بن أخطب الذي ترعّم حركة تحشيد الأحزاب ضد المسلمين ، إلا ثلاثة رجال منهم أسلموا ، ولم يقتل من الاطفال والنساء أحد عدا المرأة التي قتلت الشهيد المسلم برحائها ، فقتلت بجرمها هذا .

سرية عبد الله بن عتيك

١ - الهدف

قتل أبي رافع بن أبي الحقيق اليهودي الذي حرّض الأحزاب مع حي بن أخطب ، ثم فر إلى يهود خيبر ليتخلص من العقاب .

٢ - الحوادث

بعد القضاء على بني قريظة ، خرج من المدينة خمسة من الخزرج إلى خيبر ، للقضاء على أبي رافع بن أبي الحقيق وإلقاء الرعب في قلوب يهود خيبر ، حتى لا يعيدوا الدور الذي قام به اليهود الآخرون ، وقد كانت هذه المفروزة بقيادة عبدالله بن عتيك .

وصل المسلمون خيبر ليلاً ، فأمر عبدالله بن عتيك أصحابه بالبقاء قريباً من الحصن حتى يستطلع لهم موضع بن أبي الحقيق ، فلما وصل حصنه استطاع دخوله وكن في اسطبل الحيوانات .

ولما آوى بن أبي الحقيق إلى فراشه وهددت الأصوات والحركة ، خرج عبدالله وأخذ مفاتيح الحصن من موضعها الذي كانت فيه ، ثم ذهب إلى غرفة ابن

أبي الحقيق ، فناداه ليعرف مكانه من صوته ، لأن الظلام كان يغمر الغرفة التي كان بها ابن أبي الحقيق ، ثم هجم بالسيف عليه حتى قضى عليه ، وانسحب الى أصحابه بعد أن سقط من الدرج وانكسرت رجله .
وعاد المسلمون الى المدينة وقد أزالوا من طريق الدعوة عدواً لدوداً ، وتسامع الناس بعاقبة من يؤلب الناس ضد المسلمين ، مما زاد هيبة المسلمين في النفوس وجعلهم يسيطرون سيطرة تامة على المدينة من كافة الوجوه ، فلم يبق فيها أي صوت لليهود او المنافقين .

غزوة بني لحيان

١ - الهدف

(آ) عقاب بني لحيان الذين غدروا بدعاة المسلمين عند ماء الرجيع قبل عامين خلوا وهم ستة من كبار الصحابة : اغتالت اربعة منهم وباعت الاثنين الباقيين لقريش ، فضربت قريش عنق أحدهما وعلبت الثاني .
ب (التأثير على معنويات قريش والقبائل الأخرى .

٢ - الحوادث

شعر الرسول بمحاولة قريش التحشد وحلفائها لغزو المسلمين ، ففكر بالحركة اليهم للتأثير على معنويات قريش والقبائل الأخرى والتعرض ببني لحيان الذين غدروا بدعاة المسلمين .
أظهر الرسول أنه يريد الشام حتى يستطيع مباغته بني لحيان دون أن يعرفوا بحركته اليهم ، فتحرك بقواته شمالاً ، فلما اطمأن إلى انتشار أخبار حركته إلى الشمال باتجاه الشام ، عاد واجماً باتجاه مكة مسرعاً في حركته حتى بلغ منازل بني لحيان (بغران) (١) ، ولكن بني لحيان فروا الى رؤوس الجبال ، واستطاعوا النجاة بأرواحهم وأموالهم .

(١) غران : منازل بني لحيان ، وغران واد بين امج وصفان .

عند ذاك ترك الرسول القسم الأكبر من قواته في (غران) وسار على رأس مائتي راكب باتجاه مكة حتى وصل (عسفان) شمال مكة للتأثير على معنويات قريش ، فلم تخرج قريش للقاءه . ثم عاد المسلمون إلى المدينة متعلمين شدة الحر ، بعد أن أثروا على معنويات القبائل وجعلوهم يخافون المسلمين أشد الخوف .

غزوة ذي قرد

١ - الهدف

أ (مطاردة عيينة بن حصن مع جماعة من غطفان لإعادة إبل المسلمين التي انتهبها المشركون .

ب (الحوادث

أغار عيينة بن حصن الفزاري على اطراف المدينة ، فوجد هناك بعض اللقاح (١) ترعى بجراسه مسلم وامراته ، فقتل عيينة وأصحابه الرجل وساقوا الإبل واحتملوا المرأة .

ولكن سلمة بن عمرو بن الأكوع بصر بالقوم وقد اقتادوا الإبل ، فأندر المسلمين وقام بمطاردة عيينة وأصحابه وحده ، حتى لحق به المسلمون الذين استطاعوا تخليص الإبل والمرأة المسلمة بعد أن وصلوا بمطاردتهم ماء (بندي قرد) .

وجاء من يخبر المسلمين أن عيينة وأصحابه وصلوا موضعاً بعيداً عن (ذي قرد) فنحروا لهم جزوراً . فلما كشطوا عنها جلدها وأواغباراً ، فتركوا جزورهم في محلها وهربوا بسرعة ، لأنهم ظنوا أن المسلمين اقتربوا من مواضعهم .

ولم يكد هؤلاء الاعراب يصدقون أنهم يستطيعون النجاة بأنفسهم !!!

(١) اللقاح : الإبل الحوامل ذوات اللبن .

دروس من غزوات محاسبة الفادرين

١ - الوقت

انسحبت الأحزاب عن المدينة ، وعاد المسلمون إلى ديارهم صباح ليلة الانسحاب ، وأصدر الرسول أمره الإنذاري للحركة إلى بني قريظة ظهر ذلك اليوم نفسه ، على ألا يصلي المسلمون العصر إلا في ديار بني قريظة .

لقد أدرك الرسول بنائب فكرة أهمية الوقت في الحصول على نتائج باهرة في القتال ، فلو أن الرسول أبطأ محر كته هذه ، لاستفاد اليهود من الوقت في الاستعانة بحلفائهم ، أو إقناع اليهود الآخرين بمعاوتتهم ، أو التثبت بالحصول على قوات من القبائل لتدعيم قوتهم ، ولكان بإمكانهم إكمال قضاياهم الإدارية التي يحتاجونها في القتال ، حتى يستطيعوا الصمود في حصارهم أطول مدة ممكنة .

ولكن إصرار الرسول بحركة قواته لتطويقهم ، حالت بين اليهود وبين كل ذلك ، إذ لم يكن اليهود يعلمون بالموعد الأكيد لانسحاب الأحزاب ليسبقوا النظر في إعداد كافة متطلبات القتال المتوقع ضد المسلمين .

بل إن حركة المسلمين السريعة لم تترك لهم الوقت الكافي لتنظيم خطة دفاعية عن حصونهم ، كما لم تترك لهم الوقت الكافي لتنظيم أي خطة على الإطلاق ، فقد ظهر لنا من حير الحوادث في غزوة بني قريظة أن اليهود لم يفعلوا شيئاً ، وكانوا مترددين في كل شيء ، وأكثر من ذلك فإن حركة المسلمين مبكراً شلت معنويات اليهود وقضت على روح المقاومة فيهم ، فلم يستطيعوا أن يستفيدوا من المهنات العسكرية التي كانت بجانبهم والتي كان بإمكانهم - لو أحسنوا التصرف - الاستفادة من هذه المهنات لكي يقاوموا المسلمين وقتاً غير قصير .

حصونهم قوية ومنيعه وعددهم كبير ، وسلاحهم وفير ، والأرزاق والماء متيسران ، كل ذلك يساعد على الصمود ، ولكن هذه المهنات العسكرية التي بجانب اليهود لا تفيد شيئاً ما دامت معنوياتهم منهطة تماماً ، ولولا استفادة الرسول من الوقت لتحسنت معنويات اليهود ولا استطاعوا أن يقوموا بدور أكثر حزمًا من الدور الذي قاموا به أثناء حصارهم .

وبما يزيد في قبة حرص المسلمين على المحافظة على الوقت ، أنت ظروفهم لم تكن حسنة بعد انسحاب الأحزاب ،

لقد كانوا منهوكي القوى لسهرهم على حراسة مواضعهم مدة حوالي شهر في موقف عصيب يحطم أعصاب الشجعان .

وكان الطقس بارداً وقد تحملوا البرد في العراء وقتاً طويلاً أثناء حصارهم ، فلما انسحبت الأحزاب آن لهم أن ينالوا بعض الدفء في بيوتهم القريبة .

وكانت قضاياهم الادارية بشكل لا يحسدون عليه ، إذ ما هي إمكانيات إعاشتهم مثلاً وهي أهم ما يديم قوة المقاتلين ؟ خاصة وان الجندي يمشي على بطنه كما يقولون .

إن عدم اكتراث المسلمين بكل هذه المشاكل لغرض الأسراع بتطويق حصون بني قريظة يدعو الى الإعجاب والتقدير .

٢ - المباغة

تكون المباغة بالوقت والمكان والأسلوب .

المباغة بالمكان أن تقوم بحركة من مكان لا يتوقعه العدو ، والمباغة بالزمان أن تقوم بحركة في وقت لا يتوقعه العدو ، والمباغة بالأسلوب أن تقوم بالقتال بأسلوب جديد أو بسلاح جديد .

والقائد العبقري هو الذي يحاول ان يباغت خصمه حتى يقضي عليه مادياً ومعنوياً ، لأن المباغة الناجحة تشل حركة العدو وتقضي عليه .

لقد طبق الرسول كل أساليب المباغة ؛ فقد رأينا كيف باغت الأحزاب بأسلوب جديد في القتال هو حفر الخندق ، كما رأينا كيف باغت قريشاً بالقتال بأسلوب الصفوف .

وفي غزوة بني قريظة باغت اليهود بالزمان في حركته بسرعة لا يتوقعونها ، فشل من معنوياتهم واحتفظ بالمبادأة بيده حتى نهاية المعركة .

وفي غزوة بني لحيان تحرك شالاً باتجاه الشام حتى لا يعرف بنو لحيان وقريش اتجاه حركته الحقيقية ، وبذلك باعته بالمكان .
إنّ المباغنة أهم مبادئ القتال قديماً وحديثاً ، وقد حرص المسلمون على تطبيق هذا المبدأ في أكثر غزواتهم ، مما ساعدهم على النصر .

٣ - القصاص

القصاص العادل الذي أصاب بني قريظة بعد تسليمهم ، يقرّه كل انصاف واقعي سليم التفكير والانصاف .

لقد طعن هؤلاء اليهود المسلمين في أخرج وقت من أوقات محنتهم ، ولو لم يكن هناك عهد بينهم وبين المسلمين لكان الخطب ولوجدنا بعض العذر لهم ، ولكن أي عذر لهم وقد خانوا العهد في مثل تلك الظروف ؟ وأحب أن أتساءل : لو نجح الأحزاب في غزوة الخندق ، فماذا كانوا يفعلون بالمسلمين ؟ ألم تكن عاقبة المسلمين الإبادة والتمثيل ؟ فلماذا لا يبيدون الذين حاولوا معاونة أعدائهم على إبادتهم ؟ لقد أفسح المسلمون المجال أمام بني قينقاع وبني النضير من اليهود للجلاء إلى خيبر أو إلى ضواحي الشام ، فماذا كانت النتيجة ؟ أثار هؤلاء اليهود الأحزاب وحشدوهم أمام خندق المدينة للقضاء على المسلمين .

ومع ذلك فالموقف جد مختلف بين هؤلاء اليهود وبين يهود بني قريظة ، إذ أن خيانة هؤلاء ونكثهم عهودهم كان في أخرج الاوقات وأشدّها خطورة على مستقبل الإسلام والمسلمين .

فهل يبقى المسلمون على بني قريظة ليقوموا بدور أسلافهم بني قينقاع وبني النضير ؟ ..

لقد كان بإمكان هؤلاء اليهود أن يتخلصوا من القتل لو أعلنوا إسلامهم كما فعل ثلاثة رجال منهم . فنجوا بحياتهم وأموالهم .

ولم يقض المسلمون بالقتل إلا على الرجال الذين قاتلوهم فعلاً بعد ان خانوا عهودهم وعرضوا المسلمين للإبادة ، أما الأطفال والنساء فلم يصابوا بأذى ، كما أن الذين ثبتوا على عهودهم من اليهود لم يصابوا بسوء .

والمرأة الوحيدة التي قتلت من بني قريظة هي التي قتلت مسلماً بقدفه بالرحى من فوق سطحها ، وإنما كان قتلها على جنايتها .

أما قتل أبي رافع بن أبي الحقيق ، فلأنه أحد رؤوس اليهود الذين حرّضوا الأحزاب ، وقتله عبوة لغيره من الذين يحاولون محاولته في المستقبل ، وحتى قوانين الحرب الدولية الحديثة تجيز القتل في مثل هذا الموقف ، فهذا اليهودي كان من بني النضير الذين أرادوا اغتيال الرسول ، فحاصروهم وتقلب عليهم واضطروهم إلى الاستسلام ، ثم سمع لهم بالرحيل بعيداً عن المدينة على ألاّ يعودوا إلى قتاله أو التعريض عليه ، فإذا نكث هذا بالعهد وحرّض الأحزاب على تطويق المدينة ، وحرّض بني قريظة على نكث عهدها مع المسلمين - إذا كانت هذه أعماله بعد أن أطلقه الرسول مع قومه بعد استسلامهم ، فمن حق المسلمين أن يقتلوه كمجرم حرب لا كمحارب شريف (١) .

لقد كان قصاص المسلمين من اليهود ضرورياً وعادلاً .

٤ - العقيدة

ظهر لنا في هذه الفترة من كفاح الرسول ، أثر العقيدة في توحيد الصفوف للعمل المصلحة العامة وحدها ، وأثرها في اندفاع المسلمين كل يسابق أخاه إلى الشهادة ، وأثرها في جعل المسلم يحاسب نفسه على ما اقترفه من ذنب لا يعلم به أحد غيره من الناس .

طلبت بنو قريظة من المسلمين حضور أبي لبابة بن عبد المنذر ليستشيروه ، وقد كان أبو لبابة حليفاً لهم في الجاهلية وصديقاً شريفاً لا يشكّون في إخلاصه ، فأرسله الرسول إليهم ؛ فاستقبله الرجال والنساء والأطفال بالبكاء والعيول ، فأثّر ذلك على نفسه كل إنسان . واستشاره اليهود : أينزلون

(١) راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي

يطلق الأسير إذا أعطى كلمة (الشرف) ألا يقابل الدوة التي أطلقت سراحه ولا يجرّس على قتلها ، فإذا أخل بكلمة الشرف التي أعطها والتحق بالجيش ثم أسرته الدوة التي أطلقت سراحه ، جاز محاكمته على إخلاعه ، والعقوبة في المادة هي الإعدام .

على حكم محمد ؟ ... فقال لهم : نعم . وأشار إلى حنقه كأنه ينبههم إلى أن مصيرهم الذبيح .

ولكن أبا لبابة أدرك لغوره أنه خان الرسول (بإشارته) تلك ، وأنه خضع لشموره لا لعقيدته في عمله هذا اللاشموري ، فغضى هائماً على وجهه حتى يتوب الله عليه .

وبقي على حاله هذا حتى تاب الله عليه .

لم يعرف أحد (بإشارة) أبي لبابة إلى حلقه حين استشاره اليهود بالتسليم ، ولم تكن إشارته هذه نتيجة تدبّر وتفكير ، ومع ذلك لم يستر أبو لبابة فعلته هذه وأعلنها للناس جميعاً وعاقب نفسه بنفسه عقاباً صارماً ، بما يدل على عقيدته الراسخة وإيمانه العظيم .

وحكم سعد بن معاذ على بني قريظة بأن يقتل الرجال وتسبى الذرية وتقسم الاموال يدل على عقيدته الراسخة أيضاً .

لقد كان سعد سيد الأوس حلفاء بني قريظة في الجاهلية ، وقد توقع اليهود أن تنفعهم هذه الصلة القوية عند الحكم عليهم ، كما توقع الأوس أيضاً أن يتساهل سعد مع أصدقائهم الأقدمين ، بل استقبله الأوس حين قدومه للحكم هاتفين : يا أبا عمرو ! أحسن في مواليك .

وقد أحسنت الخزرج قبل ذلك في موالها اليهود عندما استسلموا للمسلمين ، فلماذا لا يحسن الأوس إلى موالهم مثلما أحسن الخزرج ؟

ولكن سعداً صاح بقومه وقد أكثروا عليه الرجاء : « قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم » ...

وأصداً سعد حكمه العادل غير متأثر بالاهواء بل بعقيدته الراسخة فقط وإيمانه العظيم .

وماذا يعني دخول عبدالله بن عتيك وحده في الحصن الذي يسكنه اليهودي

أبو رافع بن أبي الحقيق في وسط أهله وعشيرته ، وتعريض عبدالله نفسه للخطر الداهم بينما ترك أصحابه خارج الحصن في أمان ؟

هل يعني هذا العمل إلا استثثار القائد لنفسه بالخطر دون أصحابه طمعاً بالشهادة ، وقد كان بإمكانه تكليف أحد أصحابه بهذا الواجب ، ولكنه آثر أن يقوم بنفسه بهذا العمل كله ، فنجح في القضاء على ابن أبي الحقيق ، والتحق بأصحابه ليلاً بعد أن كسرت رجله أثناء نزوله من سطح الحصن ...

هذه الأمثلة التي ظهرت لنا في هذه الفترة من حياة المسلمين . تدل بوضوح على رسوخ العقيدة في نفوسهم ، مما جعلهم يستهينون بكل شيء في سبيل عقيدتهم .

هـ - القضايا الادارية

٢ (الغنائم

قسمت غنائم بني قريظة على المسلمين : سهم للرجال وثلاثة أسهم للفارس منها سهمان للفارس ، وذلك تشجيعاً للاكثار من الخيل لفائدتها الكبيرة في القتال ، وبقي الخمس للرسول لتوزيعه على المحتاجين ، ولتأمين إعاشة ور كوب وسلاح المجاهدين الذين لا يجدون ما ينفقونه على أنفسهم في الجهاد .

لقد تحسنت الحالة الاقتصادية للمسلمين بهذه الغنيمة ، فاستطاعوا الاستغناء عن بعضها لشراء الخيل والاسلحة من نجد استعداداً للحركات المقبلة .

ب (الماء

عندما وصل المسلمون إلى حصون بني قريظة ، سيطروا على بئر تعود لبني قريظة بسرعة خاطفة للاستفادة من مائها في أيام الحصار .

ولولا سرعة المسلمين في الاستيلاء على هذه البئر ، لكان من المؤكد أن تقوم قريظة بتدميرها حتى تحرم المسلمين من مياهها الضرورية لهم في القتال .

النتائج	التاريخ	المكان	قائد المشركين	قوة المشركين	قائد المسلمين	قوة المسلمين	اسم الغزوة	رقم
القضاء على بني قريظة	نهاية شوال حتى أواسط ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة	حصون بني قريظة في ضواحي المدينة	كعب بن أسد	بني قريظة ٧٠٠ من ١٠٠ -	محمد بن عبد الله	ثلاثة آلاف فارس	غزوة بني قريظة	١
قتل ابن أبي الحقيق	ذو القعدة من السنة الخامسة للهجرة	خيبر	-	يهود خيبر الذين اتبعوا اليم بن أبي الحقيق	عبد الله ابن عتيك	خمسة مسلمين	سرية عبد الله ابن عتيك	٢
غزوة قريش والقبائل الاخرى والتأثير على منوياتهم	جمادى الاولى من السنة السادسة للهجرة	غران	-	بنو لحيان من هذيل	محمد	حوالي ثلاثة آلاف	غزوة لحيان بني غزوة	٣
فر المشركون تركوا خلفهم الايل التي فسموها من المسلمين	في جمادى الاولى من السنة السادسة للهجرة	ماء بني قرد	عينة بن حصن	جماعة من غطفان	محمد	-	غزوة ذي قرد	٤

الفتح القريب

« لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة ،
فعلم ما في قلوبهم ، فأزل السكينة
عليهم وأثابهم فتحاً قريباً »
القرآن الكريم

غزوة الحديبية

الموقف العام

١ - المسلمون

في السنة الاولى من الهجرة عدل النبي بقبلته عن المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ، وجعل المسلمون وجهتهم في الصلاة بيت الله بمكة .

وكان العرب يتجهون الى المسجد الحرام منذ مئات السنين : يحجون اليه من الاشهر الحرم ، ويقدمونه ويعبدون أصنامهم ، ولكن المسلمين كفروا بالاصنام بعد ايمانهم بالله ، إلا أنهم لم يكفروا بالبيت العتيق .

فلماذا لا يزور المسلمون المسجد الحرام ، ليرى العرب المجتمعون بمكة قوتهم ، وليتحدثوا عن احترامهم للبيت .

إن ذلك سيزيد في قوة المسلمين قوة وسيجعل قلوب المشركين تهوي اليهم ، وسيشعرون بأنهم ظلموا المسلمين عندما يمنعونهم من حج البيت والعمرة ، وسيخفف كل ذلك من حقدهم وبغضائهم ، فلا تجتمع قلوبهم على المسلمين ابداً .

قرّر الرسول الخروج الى مكة في شهر ذي القعدة الحرام من السنة السادسة للهجرة ، وأوفد رسله الى القبائل من غير المسلمين يدعومهم للاشتراك في الخروج الى الكعبة لزيارتها وتعظيمها لا للقتال ، حتى تعلم العرب كلها بأنه خرج في الشهر

(١) الحديبية : يقال بتخفيف الباء وتشديدها ، وهي قرية ليست بكبيرة ، بينها وبين مكة مرحلة واحدة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، ويقال ان بعضها من الحل وبعضها من الحرم ، وصحبت بذلك لئلا يثر فيها اسمى الحديبية .

الحرام حاجاً لا غارياً ، فإن أصرت قريش على مقاتلته في الشهر الحرام ومنعه من أداء ما يؤمن به العرب جميعاً ، لم تجد من العرب من يؤيدها في موقفها هذا ، ولا من يعينها على قتال المسلمين ، فتبقى وحدها وتفقد عطف حلفائها ، فلا تقوى على صد المسلمين وحدها ما لم يعاونها حلفاؤها من القبائل الأخرى .

٢ - المشركون واليهود

لم يبق من المشركين أية قبيلة تستطيع الصمود وحدها أمام قوات المسلمين ، وليس أمام القبائل إلا تحشيد قواها لتستطيع المقاومة في معركة غير مضمونة النتائج .

ولا يمكن اجتماع قوات المشركين في صعيد واحد ، إلا إذا استثيرت بأسباب حادة جداً : كالاعتداء على مقدساتها أو التعرض بأموالها وذراريها ، فقد اقتنعت هذه القبائل بأن المسلمين أصبحوا أمتع من أن يضيئهم أو يضيئوا أموالهم بسوء .

ولم يبق من اليهود إلا يهود خيبر ، وهؤلاء لا يقدمون على عمل ضد المسلمين إلا بعد أن يفكروا كثيراً ، لئلا يكون مصيرهم كبني قريظة وبني النضير وقتيئاع .

قوات الطرفين

١ - المشركون

اربعمائة ألف ، مسلم بقيادة الرسول ، معهم سبعون من القرابين ، وسلاحهم السيوف بأنعامها .

٢ - المشركون

قريش مع بعض حلزائها المتوذين ، لأنهم لم يشاطروا قريشاً رأيها في صد المسلمين عن البيت الحرام بعد أن جاءوا لتعظيمه لا للقتال .

اهداف الطرفين

١ - المسلمون

(أ) اظهار قوة المسلمين لقريش وللقبائل المجتمعة للحج وشدة ضبطهم وطاعتهم للرسول وتعلقهم بالدعوة .

(ب) اظهار تعظيم المسلمين للبيت الحرام عملياً ، حتى تتأكد العرب من ذلك عن يقين لا يتطرق اليه الشك .

٢ - قريش

صدت المسلمين عن البيت الحرام حتى لا تتحدث العرب عن دخول المسلمين اليه عنوة ، مما يقلل من هيبة قريش واعتبارها المرموق .

الاعمال التمهيدية

١ - الحصول على المعلومات

أ - المسلمون

لما وصل الرسول (ذي الحليفة) (١) قلئد (٢) الهدى وأشعره وأحرم بالعمرة وأرسل رجلاً من خزاعة ليستطلع له أمر قريش ، فلما وصل (عُصفان) (٣) على بُعد مرحلتين من شمال مكة عاد الخزاعي وأخبر المسلمين أن قريشاً وبعض حلفائهم قد أجمعوا أمرهم على قتالهم ليصدروهم عن البيت الحرام .

(١) ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة اميال او سبعة ، وهي مبات اهل المدينة الذي يجرمون عقده للحج .

(٢) قلئد : وضع قلادة على الهدى ، والهدى ما أهدى الى البيت وتقرب به الى الله ، وأشعره من الاعمال التي هي علامات الحج .

(٣) عصفان : قرية او منهة بين المدينة ومكة على مرحلتين من مكة .

احتشار الرسول أصحابه . فكان القرار النهائي : أن هدفهم من غزوتهم هذه هو زيارة البيت ، ولن يقاتلوا إلا إذا صدّتهم قريش عن هدفهم بالقوة .

ولكنهم رأوا خيل المشركين على مرمى النظر قريباً من عسفان ، فأمر الرسول أصحابه بالحركة على طريق فرعية غرب الطريق العام ، وكانت طريقاً وعرة قطعها المسلمون بصعوبة فتغلّصوا بذلك من الاصطدام بالمشركين ، حتى وصلوا (الحديبية) على بعد ثلاثة أميال شمال مكة ، وعسكروا هناك .

ب) المشركون

بلغ قريشاً أمر حركة المسلمين ، فخافت أن يكون ادعاء المسلمين بأنهم جاءوا معتمرين لا مقاتلين حيلة حربية يقصد المسلمون من ورائها مباغتتهم والقضاء عليهم ، فعدّوا الحالد وعكرمة بن أبي جهل على مائتي فارس مع بعض المشاة ، وتقدم هذا الجيش ليحول بين الرسول ومكة ، ولكن فرسان قريش بوغتوا بانحراف المسلمين إلى الطريق الفرعية وتغلّصهم من الاصطدام ، فعادت قوات المشركين أدراجها لتدافع عن مكة قبل أن يصلها المسلمون .

وجاء بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة إلى قريش وأخبرهم أن محمداً جاء زائراً ولا يريد حرباً ، ولكن قريشاً أجابت : « إن كان جاء لا يريد قتالاً ، فوالله لا يدخل علينا عنوة أبداً ولا تتحدث بذلك عنا العرب » ...

٢ - المناوشات

حاول بعض المتحمسين من قريش أن يهاجموا معسكر المسلمين ، وفعلاً قام ما يقرب من خمسين مشركاً بالهجوم على المسلمين ، ولكن المسلمين استطاعوا أسرهم جميعاً ، فأطلقهم الرسول حتى يثبت نواياه السلمية عملياً ولا يترك حجة لقريش تنسب بها لتعشيد العرب ضد المسلمين .

٣ - المفاوضات الابتدائية

أ- المشركون

أرسلت قريش مكزّر بن حفص ليرى موقف المسلمين فعاد إليهم ليخبرهم أن

محمداً لم يأت مقاتلاً ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت . وأرسلوا بعده الحليس بن علقمة سيد الاحابيش ، فلما رآه الرسول قال : « إن هذا من قوم يتألهون (أي متدينين) فابعثوا الهدى من أمامه ليروا » .

رأى الحليس الهدى في الوادي فعاد إلى قريش قبل أن يصل إلى الرسول إعظاماً لما شاهد ، وأخبرهم بما رأى ، فأجابوه : « اجلس انما أنت أعرابي لا علم لك » . فاستشاط الحليس غضباً وصاح : « يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أبصدّ عن بيت الله من جاء معظماً له ؟ والذي نفس الحليس بيده ليخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالاحابيش (١) نفرة رجل واحد » ... فرجته قريش أن يكفّ عنها حتى تفكر في الأمر !!

ورأت قريش أن توفد عروة بن مسعود ، وهو رجل متزن حكيم ، فكره عروة أن يعود من مفاوضة محمد ، فسمعه رجال قريش ما يسوؤه ، فاعتذرت له قريش مؤكدة أنه عندهم غير متهم ، وأنها تطمئن إلى حكمته وحسن رأيه ، فخرج إلى محمد وذكر له أن مكة بلدة الحبيب وأن به قومه وعشيرته ، فلا يصح له مهاجمتها بمن جمع من أوشاب (٢) الناس الذين سينكشفون عنه منهزمين إذا اشتد الخطب . فأجابه أبو بكر : « أنحن نكشف عنه ؟ » .

وعاد عروة إلى حديثه مع الرسول ، وجعل يمس لحيته وهو يكلّته ، ففرع المغيرة بن شعبه يد عروة وهو يقول : « اكف يدك عن وجه رسول الله قبل ألا تصل إليك » ...

ورد النبي على عروة بما يقطع لجأته وينفي كل شبهة : « انه لا يريد حرباً وإنما يريد ان يزور البيت كما يزوره غيره » ...

عاد عروة من عند الرسول ، وقد رأى ما يضنع به اصحابه : لا يتوخأ ألا ابتدروا وضوءه ، ولا يسقط من شعره شيء الا اخذوه ، فرجع إلى قريش

(١) الأحابيش : احياء من العرب رعاة ، سموا بذلك لاسودادهم أو لجهة إلى حبشي (بضم الحاء وسكون الباء) جبل بأسفل مكة .
(٢) الاوشاب : الاحلاط

ليقول : « يا معشر قريش . اني قد جئتكم في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه ، واني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في اصحابه . ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء ابدأ ، فروا رأيكم » .

عادت كافة رسل قريش اليها دون ان يتعرض بهم احد من المسلمين ، وقد اطمأنوا جميعاً الى نيات المسلمين السلمية ، بما جعل حلفاء قريش يقاومون فكره القتال ، بل كادت تنشب حرب اهلية حتى بين متعصبي قريش ومنصفيا .

ب - المسلمون

أرسل الرسول خراش بن امية الخزاعي الى اشراف قريش ليبلغهم عنه بما جاء له ، فعقرت قريش ناقته وأرادت قتله ، لولا حماية الاحابيش له ، فخلّوا سبيله على مضض .

وأرسل الرسول عثمان بن عفان الى قريش ، فخرج برسالة الرسول ، فلقبه أول ما دخل مكة إبان بن سعيد فأجار عثمان حتى يفرغ من تبليغ رسالته . وبلغ عثمان ما جاء به لقريش . قالت قريش : « يا عثمان إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل » ...

قال عثمان : « ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله » ، انما جئنا لنزور البيت العتيق ولنعظم حرمة ولنؤدي فريض العباداة عنده ، وقد جئنا بالهدى معنا ، فاذا نحرنا رجعنا بسلام » .

وأجابت قريش . بأنها أقسمت لن يدخل محمد مكة هذا العام عنوة .

وطال الحديث وطال احتباس عثمان عن المسلمين ، وتراعى اليهم أن قريشاً قتله غيلة وغدراً .

وحين بلغت هذه الشائعة مسامع النبي قال : « لا نبرح حتى نناجز القوم » . ودعا الناس الى مبايعته ، فبايعه المسلمون على الموت تحت الشجرة بيعة الرضوان .

فلما أتم المسلمون البيعة خرب الرسول بإحدى يديه على الأخرى بيعة لعثمان كأنه حاصر معهم .

على أن عثمان لم يطل احتباسه ، فان قريشاً جزعت ان تصيبه بأذى وهو من سرائها بمكان ؛ فعاد وأبلغ محمداً بأن قريشاً لم تبق عندهم رية في أنه وأصحابه جاءوا معظمين للبيت ، ولكنهم لا يتركون المسلمين يدخلون مكة هذا العام ، حتى لا تتعدت العرب بأنهم هزموا أمام تهديد المسلمين .

١ - المفاوضات النهائية

أرسلت قريش سهيل بن عمرو ليفاوض الرسول ، على أن يتفق معه على رجوع المسلمين هذا العام عن مكة ، فاستقبله الرسول وهو أرغب ما يكون في موادة القوم وتكلم سهيل فأطال ، والمسلمون من حول النبي يسمعون أمر هذه المحادثات ويضيق بعضهم بأمرها صبراً ، ولولا ثقة المسلمين بالنبي ولإيمانهم به لرفضوا الاتفاق مع قريش ولقاتلوهم حتى يدخلوا مكة ، ولكن الرسول بقي مسيطراً على أعصابه مالم يكأ هدوءه ، ولما رأى عمر مغيضاً من سير المفاوضات قال له : « انا عبدالله ورسوله ، لن اخالف أمره ولن يصعني » ...

وبما أثار حفيظة المسلمين صبر الرسول أثناء كتابة العهد ، فقد دعا الرسول علياً بن أبي طالب وقال له : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » .

فقال سهيل : « امسك . لا أعرف الرحمن الرحيم ، بل اكتب باسمك اللهم » .

قال الرسول : « اكتب باسمك اللهم » . ثم قال : « اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » .

قال سهيل : « أمسك . لو شهدت أنك رسول الله لم اقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك » ..

قال الرسول : « اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله » ...

الهدنة (١)

١ - نص وثيقة الهدنة

« باسمك اللهم . هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو ، اصطلاحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ؛ يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على انه من أتى محمداً من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً بمن مع محمد لم يردوه اليه .

(١) راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي الهدنة

اتفاق يبرم بين الفريقين المتحاربين بوقف القتال مدة يتفق عليها فيما بينها ، والهدنة اما هدنة عامة او هدنة محلية او جزئية . فالهدنة العامة يسري وقف القتال فيها على جميع القوات المتحاربة ويشمل جميع مناطق القتال . والهدنة المحلية او الجزئية هي التي يقتصر وقف القتال فيها على بعض القوات المتحاربة دون بعضها الآخر .

٢ شروط الهدنة واثارها

تمدد الهدنة في العادة كتابة ولكن لا يوجد ما يمنع قانونا من عقدها شفها ، وينص عقد الهدنة على مبدا قيامها وانتهائها . ويتوقف القتال خلال اعلان الهدنة كما ينص بعبارة واضحة على شروط الهدنة

٣ نقض الهدنة وانتهائها

اختلف الشراح فيما بينهم على الاثار المترتبة على حصول اخلال من احد الطرفين بمقد الهدنة ، وحق الفريق الآخر بنقضها لهذا السبب ، والعودة الى اعمال القتال مباشرة .

وكان من رأي فريق من الشراح ان اي اخلال يقع من احدهما الطرفين بما يجب عليه من الهدنة ، يبيح للطرف الاخر العودة الى اعمال القتال مباشرة دون سابق اذار . اما الشراح الحديثون ، فيرون ان حصول الاخلال يبيح للطرف الاخر ان يعلن الطرف المخل بنقض الهدنة ولا يبيح له العودة الى اعمال القتال مباشرة .

ولننهي الهدنة بانتهاء المادة المحددة لها ، فاذا لم ينص في اتفاقية الهدنة على تاريخ معين لانتهائها ، جاز لكل من الطرفين استئناف القتال بعد اعلان الطرف الاخر وهما لا هو منصوص عليه في الاتفاقية من الشروط .

وانتَ بيننا عيبة مكفوفة (١) وانه لا اسلال (٢) ولا اغلال (٣) ، وانه من أراد أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً : معك سلاح الراكب ، السيوف في القرب ، لا تدخلها بغيرها ، :

٢ - أهم بنود الهدنة

(أ) اعتراف قريش بالمسلمين طرفاً مساوياً لها .

(ل) فتح المجال للرسول لعقد محادثات مع القبائل التي لم تكن مطمئن لمخالفته لقوة قريش ولوجود الكعبة بمكة . وخير دليل على ذلك اعلان خزاعة حلفها للرسول بعد هذا الصلح مباشرة .

(ج) تيسر الوقت للمسلمين لنشر دعوتهم بأهـ ان (٤) .

(د) السماح للمسلمين بزيارة البيت بعد عام والبقاء بمكة ثلاثة ايام .

دروس من الحديبية

١ - توخي الهدف

توخي الهدف مبدأ من مبادئ الحرب المهمة . وهو ان نعرف هدفنا تماماً ونفكر بأحسن طريقة للوصول اليه ، ثم نقرر خطة مناسبة للحصول عليه وننفذ تلك الخطة جاعلين هدفنا الرئيسي وحده نصب أعيننا دون ان تعيقنا او تغير من خططنا الاهداف الثانوية الاخرى .

(١) عيبة مكفوفة : المراد اننا نكف عنك ونكف عنا .

(٢) الاسلال : السرقة الخفية .

(٣) الأغلال : الحياطة .

(٤) كانت مدة الهدنة هنـر سـين في رأي مؤرخي السيرة ، وستين في رأي الوافدي .

وقد برز مبدأ توخي الهدف عند الرسول في غزوة الحديبية بأجلى مظاهره حتى يمكن ان تكون دروس هذه الغزوة من اروع الأمثلة المفيدة للذين يريدون ان يفهموا معنى توخي الهدف .

قرر الرسول منذ مغادرته المدينة ألا يعارب قريشاً .. بل يبذل كل جهده للتفاهم معها ، الا اذا لم يجد مناصاً من القتال ...

ووضع هذا الهدف نصب عينيه دائماً .

خرج محرماً . واستصحب اسلحة الراكب وهي السيوف في القرب ، فلما علم من دورياته اعتزام قريش على قتاله ، اصر على السلم ، فخرج عن الطريق العام الى طريق فرعية وعرة شديدة الوعورة بما جعل اصحابه يكابدون المشقات عند قطعها ، ولم يكن الرسول يهدف من الخروج عن الطريق العام الا التملص من اصطدام اكيد بطلائع قريش . لأن الصمود في موضع (عسفات) الذي وصله المسلمون ، يؤدي الى اصطدام الفريقين ، لاندفاع خيالة قريش امام قواتها الاصلية واقترابها من مواضع المسلمين . ولو انسحبت قوات المسلمين الى الخلف باتجاه المدينة ، لطاردتهم قوات قريش ايضاً ، وفي هاتين الحالتين سيحصل الاصطدام الذي لا يريد به الرسول

ولكن خروجه عن الطريق العام الى طريق فرعية باتجاه مكة ، لأن طلائع قريش تضطر الى الاسراع في العودة ادراجها للدفاع عن مكة ، لأن المسلمين هددوها تهديداً مباشراً واصبحوا قريبين منها ، ولم تكن حركة المسلمين على هذه الطريق خوفاً من قوات قريش . فالذي يخاف من عدوه لا يقترب من قاعدته (١) الأصلية وهي مركز قواته ، بل يحاولون الابتعاد عن قاعدة العدو

(١) القاعدة

هي المنطقة التي يستند اليها الجيش قبل شروعه بالحركات ، والقاعدة نوعان : قاعدة الحركات وقاعدة التموين وتوحدان على الاغلب وينذر ان تكونا منفصلتين .

الأصلية حتى يطيل خط (١) مواصلات العدو ، وبذلك يزيد من صعوبة ومشاكله ويجعل فرصة النصر امامه اقل من حالة الاقتراب من قاعدته الاصلية .

وعندما وصل الرسول الحديبية بقي مصراً على هدفه الذي لم ينسه قط : امسح المجال لمفاوضي قريش بالقدوم الى معسكر المسلمين في كل وقت للتأكد من نيات المسلمين السلمية . وارسل مفاوضين من المسلمين ليؤكدوا للمشركين صدق نياتهم السلمية .

وعندما هاجم بعض المشركين معسكر المسلمين ورموهم بالنبل ، حاول المسلمون حينذاك ان يلقوا القبض على المهاجمين دون ان يوقعوا بهم خسائر بالارواح او بالاموال ؛ فاستطاعوا فعلاً تطويقهم والقبض عليهم ، ثم اطلقوا سراحهم واعادوهم الى قريش دون ان يلحقوا بهم اي اذى .

الا يدل ذلك على اصرار الرسول على التفاهم مع قريش واحلال السلم بين الطرفين ؟

لقد لاحظنا في هذه الغزوة دون غزوات الرسول الاخرى ، ان محمداً لم يستشر اصحابه في عقد الهدنة واستقل برأيه ، وسبب هذا الإصرار على الرأي واضح جداً ، فقد كان قرار الرسول في التثبت بالتفاهم مع قريش نهائياً وحاسماً ، لا يحتاج هذا القرار الى استشارة احد .

ان الرسول كان يتوخى من التفاهم مع قريش اهدافاً بعيدة جداً ليس من مصلحة الدعوة ولا من مصلحة المسلمين الاخبار عنها ، وقد ظهرت اهدافه فيما بعد .

كانت قوات المسلمين في الحديبية اربعمائة والف رجل ، فأصبحت قواتهم يوم فتح مكة بعد عامين عشرة آلاف رجل ... وشتان بين العديدين ...

(١) خطوط المواصلات

هي الخطوط التي تربط الجيش بقاعدته .

فهل بإمكان الإسلام ان ينتشر بهذه السرعة في مثل تلك الظروف ، لو لم تضع الحرب اوزارها بعض الوقت ؟

٢ - الضبط (١)

لا احكاد اقرأ تفاصيل غزوة الحديبية كما تروها كتب السيرة ، الا واهتف من صميم نفسي : ما اعظم الضبط الذي كان يتعملى به الرسول واصحابه حينذاك ؟ ..

لم يكن موقف الرسول والمسلمين سهلاً اثناء مفاوضات الهدنة وبعدها حتى عودتهم للمدينة ، فقد كان الرسول يعرف اهدافه القريبة والبعيدة ويعمل له بصبر واثابة واصرار ، ولكن كيف السبيل الى افهام كل تلك الاهداف الى المسلمين في مثل تلك الظروف ؟

اما المسلمون ، فما اصعب موقفهم ! . لم يكن احد منهم يشك في دخوله مكة ، فانهارت آمالهم اثناء المفاوضات . ولم يكن أحد يفهم اسباب الهدنة ، فشاهدوا هذه الهدنة تصبح امراً مفروغاً منه ؛ وكانت عقيدتهم تطفئ على كل شيء سواها ، فوجدوا اخوانهم المستضعفين من المسلمين يردون الى المشركين ليفتنوهم عن دينهم .

ولو كان المسلمون ضعفاء او يشعرون بالضعف لكان الحطب ، ولكنهم اقوياء مادياً ومعنوياً ، فكيف يقتنعون بالهدنة في شكلها واسلوبها الذي كان ؟

بينما كان الرسول يكتب عقد الهدنة ، جاء الى المسلمين ابو جندل - وهو ابن سهيل بن عمرو يمثل قريش في المفاوضات - يرسف في الحديد ، فقد اعتنق

(١) الضبط

اصطلاح عسكري يقصد به ، الحالة العقلية التي تساعد الفرد على عمل واجبه باعتبار انه ملزم بأدائه سواء كان مراقباً أو غير مراقب . أو القدرة على حبس بعض الانفعالات غير الاعتيادية كالخوف والغضب والجوع ... الخ وانجاز العمل المطلوب بجرى واثابة في الحالات الصعبة .

الاسلام فلقبي العذاب من اهله المشركين . فلما رأى مهيل ابنه ضرب وجهه وجعل يجره ليرده الى قريش ، وابو جندل يصيح بأعلى صوته : « يا معشر المسلمين ! أأرد الى المشركين يفتنونني عن ديني ؟ »

ليس من السهل احتمال المسلمين لمثل هذا الموقف حينذاك . ولكنهم احتملوا صارين ، على الرغم من بعض التذمر الخافت الذي كان يخالج بعض نفوس المسلمين والذي كان يثبوه حرصهم الشديد على عزة الاسلام .

إن ضبط الرسول اعصابه اثناء المفاوضات وبعدها على الرغم من تدمير بعض المسلمين . وضبط المسلمين اعصابهم في مثل ذلك الموقف على الرغم من خنق بعضهم على المفاوضات والهدنة - كل ذلك يدل على تحلي المسلمين حينذاك بالضبط التين بشكل يدعو الى الاعجاب الشديد .

٣ - الحياد المسلح (١)

ما كاد عهد الحديبية يبرم حتى حالفت خزاعة محمداً وحالفت بنو بكر قريشاً ؛ فربح المسلمون حليفاً قوياً له أهمية خاصة اقرب ذبانه من قريش .

لقد كانت خزاعة تميل قلبياً الى المسلمين قبل اليوم ، وكان الاسلام قد انتشر بين افرادها ، ولكنها لم تستطع ان تحالف المسلمين قبل هذه الهدنة ، لأن ذلك يهدد مصالحها الدينية لوجود البيت الحرام بمكة التي تسيطر عليها قريش ، هذا بالإضافة الى تهديد مصالحها الاخرى .

والهدنة حرمت يهود خيبر من الأمل في معاونة قريش ألد اعداء المسلمين حين يأتي موعد حساب هؤلاء اليهود ، ومما اكثرت دسائسهم ومشاكلهم التي اثاروها على المسلمين .

(١) الحياد المسلح : معنى الحياد في القانون الدولي ، الحالة القانونية التي توجد فيها الدولة التي لا تشترك في حرب قائمة وتستبقى علاقاتها السلمية مع الطرفين المتحاربين ، والحياد المسلح كالحياة العادية إنما يتميز عن الحياد العادي بما يصدر عن الدولة المحايدة من اعلان عزمها على استعمال القوة لمعايضة على حيادها ومنع الدول المتحاربة من الاخلال به .

والهدنة جعلت المنطقة الجنوبية (جنوب المدينة) آمنة بالنسبة للمسلمين ، وكانت هذه المنطقة اخطر ما يهدد الدعوة ، لأن فيها قبائل قوية ذات حضارة وعقيدة ، بينما كانت قبائل الشمال حتى حدود العراق والشام بدوية بمعنة في البداوة . فإذا أمّنت هذه الهدنة الاستقرار الذي جعل الاسلام ينتشر بسرعة فائقة ، وأمنت القوة والمنعة للمسلمين ، فماذا أمّنت لقريش ؟

توخت قريش اهدافاً سطحية دفعتها اليها العصبية الجاهلية : هي رد المسلمين عن زيارة البيت الحرام هذا العام ليعودوا لزيارته في العام المقبل ، وردّ الذين يسلمون من قريش بدون رضا اوليائهم ، حتى لا يكثر عدد المسلمين ، وأرت ينالوا بهذه الهدنة الاستقرار ليتفرغوا لتجارتهم ، وهذا أهم هدف حيوي بالنسبة لقريش .

فماذا كانت النتيجة ؟

وفد ابو بصير من مكة الى المدينة مسلماً بغير رأي مولاه ، فكتب اذهر بن عوف والأخنس بن شريق الى النبي كي يرده ؛ وبعثا بكتابهما مع رجل من بني عامر ومعه مولى لهما .

قال النبي : « يا أبا بصير ، إنما قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصحّ لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولنا معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، فانطلق الى قومك » ..

قال ابو بصير : « يا رسول الله ، أتردّني الى المشركين يفتنونني في ديني ؟ » فكرر الرسول عليه قوله الأول .

انطلق ابو بصير مع الرجلين ، حتى إذا كان بذى الحليفة ، سأل حارسه العامري أن يريه سيفه ، وما ان استوت قبضته في يده حتى علا به العامري ، فقتله ؛ فعاد المولى يعدو ناحية المدينة ، حتى أتى النبي ، فلما رآه قال : « قتل صاحبي » . ثم ما برح حتى طلع ابو بصير متوشحاً بالسيف موجهاً الحديث الى الرسول : « يا رسول الله ، وقت ذمتك وأدى الله عنك . أسلمتني الى القوم وقد امتنعت بدينني ان افتن فيه او يعبت بي » ...

لم يخف الرسول إعجابه به وغنیه لو كان معه رجال ، قال محمد لأصحابه عن أبي بصير : « ويل أمه ، مسعر حرب لو كان معه رجال » ...

وإدرك أبو بصير انه لا مقام له في المدينة ولا مأمن له في مكة ، فانطلق الى ساحل البحر الى ناحية تدعى (العيص (١)) وشرع يهدد قوافل قريش المارة بطريق الساحل ام طرقتها الى الشام ، وسمع المسلمون بمكة عن مقام أبي بصير وعن كلمة الرسول فيه : « مسعر حرب لو كان معه رجال » .

فتجمعوا حول أبي بصير في مكانه يشدون ازره ، حتى اجتمع اليه قريب من سبعين مسلماً فيهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو .

والتف هؤلاء المعذبون الناقبون المستقلون الذين لا ملجأ لهم الا سيوفهم ، وقد فروا من اهلهم واموالهم بعقيدتهم وإيمانهم ، التفت هؤلاء قوة مغاوير (كومندو) لا تمر قافلة لقريش الا اغتصموا ولا يرون رجلاً من قريش الا قتلوه .

وإذا بقريش ترسل الى الرسول تسترحمه وتناشده الرحم ان يؤوي اليه هؤلاء المسلمين الذين ضيقوا عليها الحناق ، فلا حاجة لها بهم .

وبذلك نزلت قريش عن الشرط الذي اعتبرته نصراً لها واعتبره المسلمون - عدا الرسول - شرطاً لا يناسب كرامتهم على اقل تقدير .

وهكذا حافظ المسلمون على عهودهم كلها ، وانصرفوا الى نشر دعوتهم ، بينما استمر مشردو المسلمين بالتعرض على قريش ، وهكذا بقي المسلمون محايدين وبقي الفارون بدينهم مقاتلين ، وبذلك تم الحصاد المثلح في اقوى مظاهره للاسلام .

٤ - حرب الدعاية

شن المسلمون على قريش بخروجهم لزيارة البيت العتيق ، اضخم حرب

(١) العيص : موضع من ناحية ذي المروة على ساحل البحر الاحمر بطريق قريش التي كانوا يسلكونها من مكة الى الشام في تجارتهم .

للدعاية . لقد اظهروا تعظيمهم للبيت بصورة عملية لا تقبل الشك والمهارة ، فتسامع العرب بذلك ، فلما اصرّت قريش على رجوع المسلمين دون زيارة المسجد الحرام ، اعتبر العرب ان قريشاً ظلمت المسلمين ، فليس لها ان تحرم احداً جاء لتعظيم البيت من زيارته .

وقد رأيت كيف ان قريشاً ارسلت الحليس بن علقمة لمفاوضة الرسول ، فلما رأى الهدى في الوادي ، عاد ادراجه دون ان يقابل محمداً واخبر قريشاً بما رأى وهدّدهم اعنف تهديد .

بل إن هذه الدعاية كادت تثير حرباً اهلية داخل مكة بين قريش نفسها وبين قريش والاحابيش .

اما عثمان فقد استطاع ان يتصل بالمسلمين في مكة حين ارسله الرسول لمفاوضة قريش ويوجههم الى اهداف الإسلام الحيوية .
لقد كانت غزوه الحديبية حرب دعاية من الطراز الممتاز .

نتائج الحديبية

١ - اهم نتائج غزوة الحديبية ما يأتي :

آ - اعتبار المسلمين كطرف مساو لقريش ، وهذا اول اعتراف بالدولة الاسلامية من اشد اعدائها واقوامهم في الحجاز .

ب - اصبح المجال مفتوحاً امام الرسول لمخالفة القبائل التي لم تكن تطمن الى محالفته ، لقوة قريش ولوجود الكعبة في مكة وبذلك قوي جانب المسلمين .

ج - التفريق بين قريش وحلفائها يهود خيبر الذين كانوا لا يفكون مجرّضون القبائل على الرسول .

د - الاستقرار الذي امنّ التفرغ للدعوة وانتشار الاسلام .

٥ : نجاح المسلمين في الحصول على الحياض المسلح : المسلمون محابدون ومشردوم مسلحون يقاتلون .

و - إثارة المسلمين للرأي العام ضد قريش لصددها المسلمين عن البيت الحرام ، مما اكسب المسلمين عطف كثير من القبائل وكثير من قريش نفسها والمنطقة المجاورة لها ، مما سهّل عملية فتح مكة عليهم فيما بعد .

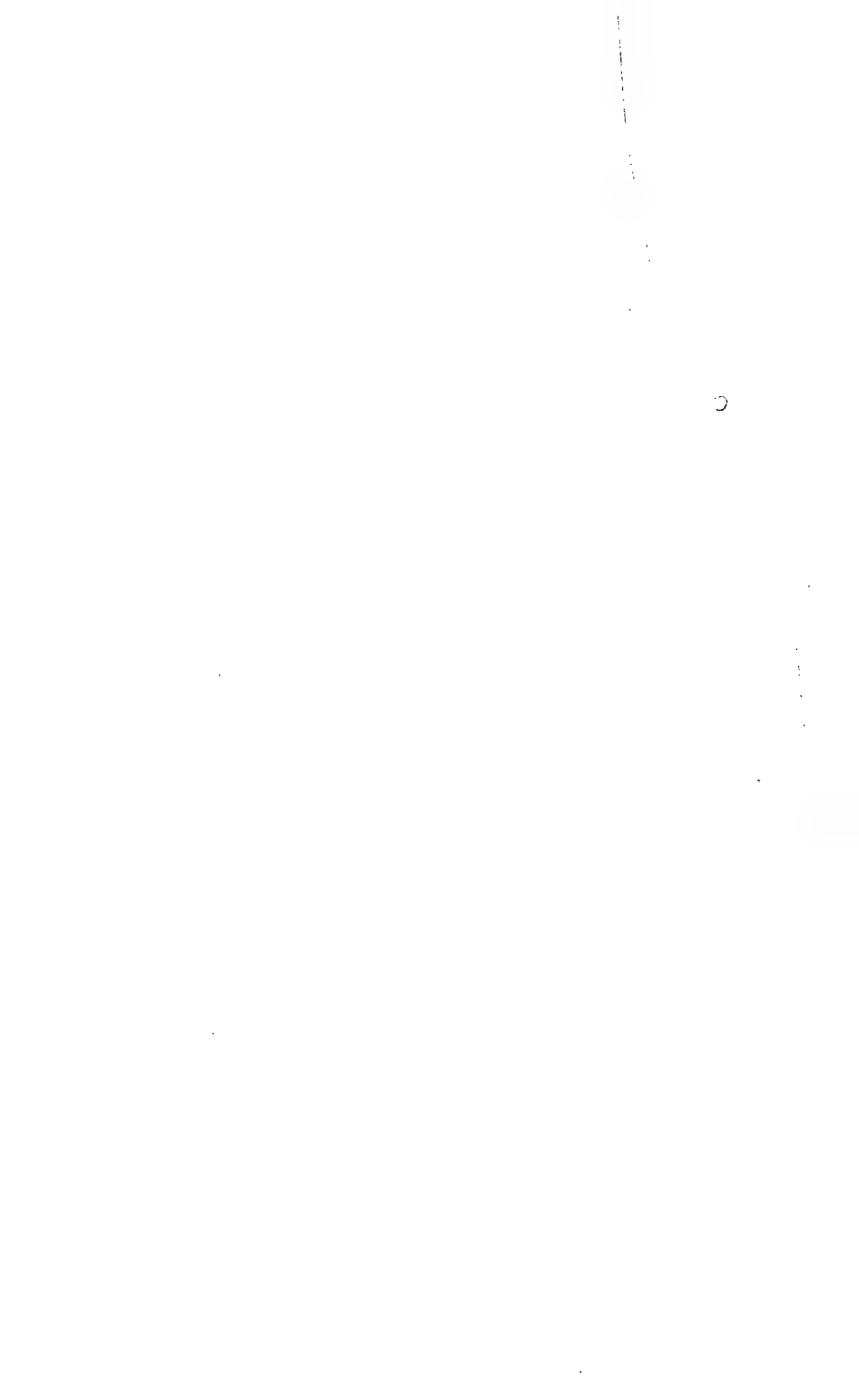
٢ - هذه هي نتائج الحديبية ، وهي بعض اهداف الرسول البعيدة التي لم يستطع المسلمون ادراكها في حينه ، فلما عادوا الى المدينة واستقر بهم المقام هناك ورأوا بعض تباشير هذه النتائج ، قال أبو بكر معبراً عن رأي المسلمين : « لم يجلب نصر للاسلام ما جلب صلح الحديبية » . . . ثم نزل في هذا النصر قول الله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » .

وبدأ المسلمون حينذاك يلمسون بعد نظر الرسول وتباشير ما بشرهم به من فتح قريب .

فترة الهدنة

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله
آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا
تخافون ، فاعلم ما لم تعلموا ، فاجعل
من دون ذلك فتحاً قريباً »

القرآن الكريم



ثمرات الحديبية

الموقف العام

١ - المسلمون

أتاح الاستقرار الذي كان من ثمرات الهدنة للمسلمين ، التفرغ للتبشير بالدعوة الإسلامية داخل الجزيرة العربية كلها وخارجها ، فأوفد الرسول دعائه الى الملوك والأمراء والرؤساء النابيين يدعوهم الى الاسلام .

وقد أصبحت المنطقة الكائنة جنوب المدينة أمينة بالنسبة للمسلمين ، ولم يبق أمام الرسول بعد الحديبية غير خصين : اليهود في منطقة خيبر وما حولها ، والأعراب في شمال المدينة .

وكان الموقف يتطلب القضاء على هذين الخصمين ليتفرغ المسلمون بعد اكال تحشدهم الى خصمهم الأكبر والى هدفهم الرئيسي : قريش ومكة .

٢ - المشركون

لقد كسدت تجارة قريش قبل الهدنة ، فأرادت بعد عقدتها أن تعود الى ارسال قوافلها التجارية على طريق مكة - الشام ، بعد ان حرمت من سلوكها مدة طويلة .

وفعلًا تحررت قوافلها الى الشام ، ولكن أبا بصير وأصحابه الفاويز (الكومندو) الذين ردهم المسلمون تنفيذاً لشروط هدنة الحديبية، حددوا حرية حركة قوافل قريش الى الشام ، فأخذوا يتعرضون بكل قافلة تمر بهم فيقضون على حراسها ويعبثون بأموالها . بعد أن تركوا أهلهم وأموالهم بمكة .

ولم تنعم قريش بنعمة الاستقرار الا بعد ان سألت الرسول بإلحاح أن يؤوي
إليه أبا بصير وأصحابه متنازلة بمحض إرادتها للمسلمين عن شرط الهدنة الذي
يقضي برد المسلمين الذين يقصدون المدينة بدون موافقة أوليائهم الى قريش .

٣ - اليهود

استمر يهود خيبر وما جاورها على تحريض القبائل وجمع الاحلاف ضد
المسلمين وقذف الاسلام بالتهم وإيواء اعداء المسلمين والغدر بالمسلمين كلما رأوا الى
ذلك ميلاً .

لقد كانوا موطن خطر يهدد المسلمين في الشمال ، والهدنة حرمتهم من معاونة
قريش ، فاستمالوا غطفان لمعاونتهم عندما يتهددهم الخطر .
لأنهم ينظرون الى مصلحتهم الخاصة ، ولا يبالون لكي يحصلوا عليها ان
يستخدموا اي وسيلة .

الهدف الجوي

لكمال تحشيد قوى المسلمين استعداداً للمركة الاسلام الحاسمة ضد قريش .

غزوة خيبر

١ - اسباب الغزوة

أ - اسباب مباشرة

القضاء على تحريض اليهود ضد المسلمين .

ب - اسباب غير مباشرة

القضاء على اليهود نهائياً للتخلص من أقوى أعداء المدينة في المنطقة الشمالية ،
ولتكون المنطقة آمنة عندما يحين موعد محاسبة قريش .

٢ - قوات الطرفين

(أ) - المسلمون

اربعمائة وألف رجل بينهم مائتا فارس بقيادة الرسول ، وهي القوات التي حضرت الحديبية .

(ب) - اليهود

يهود خيبر الذين يقدرون بألف واربعماية نسمة بقيادة سلام بن مشكم .

٣ - الهدف

القضاء على اليهود للتخلص من المشاكل الخطيرة التي يعملون لاثارتها ضد المسلمين .

٤ - سير الحوادث

(أ) - الأعمال التمهيدية .

اقام الرسول حوالي الشهر الواحد بالمدينة بعد عودته من الحديبية ، ثم تحرك بأصحابه إلى موضع (الرجيع) ليعول بين تعاون يهود خيبر وغطفان في قتال المسلمين ، فقد استطاع اليهود ان يضمنوا معاونة غطفان لهم اذا دامهم الخطر ، وبهذه الحركة استطاع الرسول إيهام غطفان بأن الهجوم موجه ضدهم وان قوات المسلمين تؤمنك ان تطوقهم .

وعاد الرسول إلى خيبر ، ولكنه ارسل مفرزة من اصحابه لمباغثة ديار غطفان بعد ان تركتها قوات غطفان لمعاونة اليهود . ونجحت هذه المفرزة في إلقاء الرعب في ديار غطفان ، مما اضطر هذه القبيلة الى الاسراع بالعودة إلى ديارها لحمايتها من تهديد المسلمين ، وترك اليهود وحدهم امام المسلمين . وهكذا نجحت خطة الرسول في عزل اليهود عن غطفان حلفائهم .

(ب) - القتال

وصلت قوات المسلمين قرية خيبر ليلاً، فلم يعرف اليهود بأنهم أصبحوا ـ طوقين

بقوات المسلمين الا عند خروج بعض الفلاحين صباحاً لياشروا أعمالهم ، فلما رأوا جيش المسلمين عادوا أدراجهم (١) .

وبدأ قتال المدن والاحراش بين المسلمين واليهود ، ولم يكن هذا القتال سهلاً لأن خير حصنة تكتنفها البساتين ، ولأن يهود خيبر أقوياء مسلحون أغنياء .

أدخل اليهود أموالهم وعيالهم حصني (الوطيع والسلام) ، وأدخلوا ذخائرهم حصن ناعم ، ودخلت قواتهم حصن نطاة .

وابتدأ هجوم المسلمين بشدة من أول يوم للتأثير على معنويات اليهود ، حتى بلغ عدد جرحى المسلمين في هذا اليوم خمسين جريحاً .

وخرجت مفرزة من اليهود لمقاتلة المسلمين بالعراء بقيادة الحارث بن أبي رزيق . بعد ان قتل سلام بن مشكم ، ولكن الخزرج اضطروه بهجوم مقابل الى الالتجاء الى حصنه .

واستات المسلمون في الهجوم ، واستلجبت اليهود في الدفاع فقد كانوا يعلمون تماماً أن اندحارهم معناه القضاء الاخير على بني اسرائيل في الجزيرة العربية .

(١) راجع قانون الحروب والحياة من القانون الدولي الحصار

الاحاطة بقرية او بلد سواء كانت محصنة ام غير محصنة مدافعاً عنها ام غير مدافع ، لمنع الدخول والخروج منها حتى تضطر على التسليم .

ولا يؤثر على هذه القاعدة ، ان من نتائج الحصار تجويع سكان المنطقة غير المقاتلين من النساء والاطفال ، بل ليس من واجب القوات المحاصرة اخطار اهل المنطقة بالحصار المزمع اتمكين المدافعين من اخلائها منهم ولا من واجبها ان تسمح لهؤلاء بالخروج اذا طلب اليها ذلك ، لأن بقاء هذا الفريق الكبير من المدافعين مع المدافعين عن المنطقة المحاصرة يزيد في متاعبها ويسهل في التسليم .

وليس هناك مانع من ان يقوم المحاصرون باجراءات اخرى تسهل في سقوطها ، كقطع موارد المياه ومهاجتها بالسلاح .

ركز المسلمون هجومهم الرئيسي على حصن (ناعم) وبقيت قوتهم الثانوية تشاغل الحصون الاخرى ، كي تمنع قوات اليهود من التعاون فيما بينها ونحرماها من معرفة اتجاه الهجوم الحقيقي .

واستمر الهجوم العنيف على حصن (ناعم) ثلاثة ايام : بقي اليهود داخل الحصن في اليومين الأولين وخرجوا منه في اليوم الثالث للقتال خارجه بعد تشديد الحصار عليهم في اليومين السابقين ، فانتهز المسلمون فرصة خروجهم ودارت حول الحصن معركة في العراء قتل فيها قائد اليهود الحارث بن ابي زينب ، فاستسلم الحصن للمسلمين .

أثر سقوط هذا الحصن على معنويات اليهود ، فاستسلم بعده حصن (القوص) بعد قتال شديد ، ولكن إعاشة المسلمين نفدت ، فوجهوا هجومهم الرئيسي على حصن الصعب بن معاذ الذي كان اليهود قد كدسوا فيه كثيراً من المواد الغذائية ، فاستطاعوا الاستيلاء على هذا الحصن ، واستفادوا من مواد الاعاشة المتيسرة فيه ، بما خفف عنهم وطأة المشكلة الادارية .

واستمرت اليهود بعد ذلك في الدفاع عن حصونهم الأخرى ، والحق أن دفاعهم عن حصونهم كان دفاع ابطال .

وركّز المسلمون هجومهم على حصن (الزبير) ولكنه استعصى عليهم ، فقرروا قطع الماء عنه ، وبذلك اضطروا اليهود المدافعين فيه الى الخروج عنه فقاتلهم المسلمون في العراء وقضوا على اكثرهم ، وأجأوا الباقين من اليهود الى الفرار .

وأخذت الحصون تسقط بالتعاقب بيد المسلمين ، حتى سقطت الحصون كلها إلا حصن الوطيح والسلام ، وكانا آخر حصنين منيعين لليهود .

وتجمعت قوات المسلمين كلها حول هذين الحصنين ، وضيقوا الحصار على اليهود ، وحينذاك طلب اليهود الصلح على أن يحقن المسلمون دماءهم . وقبل محمد بشرطهم ، وأبقاهم على أرضهم على أن يكون لهم نصف ثمرها مقابل

عملهم فيها ، لان موقف المسلمين لم يكن يساعد على الاستغناء عن بعض قواتهم للقيام بزراعة الارض ، ولان اليهود كانوا ماهرين في الزراعة واستثمار الارض .

هـ - خسائر الطرفین

أ - المسلمون

تسعة عشر شهيداً مع كثير من الجرحى .

ب - اليهود

كانت خسائرهم بالأرواح كبيرة جداً ، كما خسروا أموالهم وأملأهم .

نهاية اليهود في الجزيرة

١ - يهود فدك

أرسل الرسول بعد انتهاء معركة خيبر الى أهل فدك من يدعوهم الى الإسلام او الاستسلام للمسلمين ، وكانت معنوياتهم واطئة جداً ، فتصالحوا بنفس شروط خيبر دون قتال .

٢ - يهود وادي القرى

عاد المسلمون الى المدينة عن طريق (وادي القرى) فأنجز اليهود هناك استعصاراتهم للقتال .

ونشبت معركة محدودة استمرت بضع ساعات انتهت باستسلام اليهود ، فصالحهم الرسول على ما صالح عليه يهود خيبر .

٣ - يهود تيماء

استسلم يهود تيماء بدون قتال للمسلمين بنفس شروط يهود خيبر ايضاً .

٤ - النتائج

القضاء على اليهود عسكرياً في الجزيرة العربية

السيطرة على الاعراب

١ - الهدف

توطيد الامن في المنطقة الشمالية بصورة خاصة ، ومنع غارات الاعراب على المدينة ، وحماية الدعاة من غدر القبائل .

٢ - الحوادث

راجع الملحق المرفق (الملحق ٥) .

٣ - النتائج

آ - توطيد هبة المسلمين في المنطقة الشمالية (شمال المدينة) .

ب - حماية الدعاة من غدر القبائل بهم .

ج - إنتشار الاسلام بين القبائل الشمالية .

غزوة مؤتة (١)

أسباب الغزوة

آ - تأديب الاعراب الذين غدروا بدعاة المسلمين (بذات الطلع) على حدود الشام .

ب - تأديب عامل هرقل على بصرى ومن ينصره من القبائل لسكوته عن اغتيال حامل رسالة الرسول اليه .

٢ - قوات الطرفين

آ - المسلمون

ثلاثة آلاف مسلم بقيادة زيد بن حارثة الكلبي فجعفر بن أبي طالب فعبد الله ابن رواحة بالتعاقب .

(١) مؤتة : اسم موضع من تخوم الشام .

ب - المشركون والروم

مائة الف من الروم ومثله من القبائل الموالية بقيادة هرقل ، كما تذكر كثير من المصادر التاريخية ، ولكنني أعتقد ان هذا العدد مبالغ فيه كثيراً وان الجيش لم يكن بقيادة هرقل نفسه ، بل بقيادة أحد قادة جيوشه .

٣ - الهدف

تأديب القبائل لغدرها بالمسلمين ، وإظهار قوة المسلمين للروم والقبائل المتاخمة للشام . ولاستطلاع قوة وكفاءة قبائل الحدود والرومان وطبيعة الارض هناك .

٤ - سير الحوادث

أ - الاعمال التمهيدية

خرج المسلمون في جمادى الاولى من السنة الثامنة للهجرة ، فودّعهم الرسول والمسلمون وأوصاهم محمد ألا يقتلوا النساء والأطفال ولا المكفوفين وألا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الأشجار .

وصلت قوات المسلمين (معان) من ارض الشام ، ولكن انباء حرّكتهم وصلت الى الروم قبل وصول المسلمين اليهم ، فشدوا قواتهم في (مآب) من ارض البلقاء ، فلما علم المسلمون بأمر جموع الروم المتفوقة على قواتهم تفوقاً ساحقاً ، تذاكروا بينهم ، فرأى بعضهم ان يكتبوا الى الرسول يخبرونه بالموقف ويتلقوا أوامره النهائية ، ولكن أكثرهم رأوا ان يمضوا لهدفهم مهما تكن النتائج . قال لهم عبدالله بن رواحة : « يا قوم والله إن التي تكرهون التي خرجتم تطلبون : الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فلنا هي إحدى الحسينين ، إما ظهور وإما شهادة » ...

قال الناس : صدق بن رواحة .

ب - القتال

تحرك المسلمون نحو جيوش الروم وحلفائهم من القبائل فحصلوا على الناس الأول في قرية (مشاف) بتخوم البلقاء .

ولكن المسلمين رأوا ان منطقة قرية (مؤنة) - بين الكرك والطفيلة - انسب لقبول المعركة فيها وذلك لوجود العوارض الطبيعية التي يستطيعون التحصن بها نظراً لقلة قوتهم بالنسبة الى الاعداء .

بدأ القتال بين قوتين غير متكافئتين عدداً وعدداً . وقد لاحظ المسلمون تفوق الروم وحلفائهم عليهم ، ولكنهم لم يكتروا بذلك .

وبدأ الهجوم باندفاع زيد بن حارثة بالراية الى صفوف العدو ، فحارب مستقلاً مستميتاً حتى مزقته رماح العدو .

تناول الراية جعفر بن ابي طالب واندفع بها ، فأصابت يده اليمنى ، فتناول الراية بشماله فقطعت ايضاً ، فاحتضن الراية بعضديه حتى استشهد .

وأخذ عبدالله بن رواحة الراية ، فقاتل بها حتى قتل ايضاً .

وتناول الراية ثابت بن أرقم ، فهتف بالمسلمين : يا قوم اصطلحوا على رجل منكم ...

واصطلح الناس على خالد بن الوليد .

ج (الانسحاب (١))

قرّر خالد الانسحاب من هذه المعركة لتخليص قوات المسلمين من المأزق الحرج الذي وقعوا فيه ، واستفاد من حلول الظلام ، فأعاد تنظيم قواته وألّف مؤخرة قوية لحماية الانسحاب .

(١) الانسحاب : تغيير عسكري يقصد به التماس من القتال بالحركة الى الخلف انتظاراً لظروف مناسبة لاستئناف التعرض .

قامت مؤخرة المسلمين بقتال التعويق لاجباط مطاردة العدو وإنقاذ القسم الاكبر من قوات المسلمين من التطويق الذي يعقبه الفناء، وقد انتشرت مؤخرة المسلمين في جبهة واسعة وحدثت ضجة عالية لإحسام العدو بقدوم امدادات جديدة للمسلمين ولحرمان العدو من معرفة انسحاب قوات المسلمين حتى لا يطاردها العدو فيكبدها خسائر فادحة بقواتها، وبذلك استطاعت هذه المؤخرة النجاح في مهمتها، فلم يتكبد المسلمون في انسحابهم خسائر تذكر على الرغم من أن حركة الانسحاب من أصعب الحركات العسكرية، لاحتال انقلاب الانسحاب الى هزيمة، والهزيمة كارثة تؤدي الى خسائر فادحة بالمنهزمين.

وعاد المسلمون الى المدينة ليستقبلهم اهل المدينة من المسلمين يحثون التراب على وجوههم قائلين لهم : يا فرار ! فررت في سبيل الله ؟
ولكن الرسول أجابهم : إنهم ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله .

هـ - خسائر الطرفين

أ) المسلمون

استشهد من المسلمين اثنا عشر رجلاً .

ب) الروم والمشركون

كانت خسائرهم اضعاف خسائر المسلمين بما أثّر على معنوياتهم ، ولذلك لم يقوموا بمطاردة المسلمين مطاردة حاسمة تقضي على قواتهم كلها .

١ - النتيجة

كانت معركة مؤنة معركة استطلاعية افادت المسلمين كثيراً في معرفة خواص قوات الروم واساليب قتالها ، فأفادوا من هذه المعلومات في قتالهم بعد ذلك للروم .

ولا تعد خسائر المسلمين الطفيفة شيئاً يذكر بجانب الفائدة العسكرية التي

أفادوها من الاطلاع على خواص قوات الروم وتنظيمها وتسليحها واساليب قتالها ، مما سنرى أثره في المعارك التي خاضها المسلمون فيها بعد .

غزوة ذات السلاسل

١ - أسباب الغزوة

أخذ نأر للمسلمين من القبائل التي اشتركت في غزوة مؤتة : وهي من لحم وجذام وبلقين وبهراء وبلي وطيه وعذرة .

٢ - سير الحوادث

قرر الرسول بعد عودة المسلمين من مؤتة أن يسترد هبة المسلمين في المنطقة الشمالية ، فأرسل عمرو بن العاص يستنفر العرب الى الشام ، وذلك لأن أمه من قبائل تلك المنطقة ، فمن السهل عليه ان يستميلهم إلى جانبه .

فلما وصل ماء ذات السلاسل من ارض جذام ، خشي من كثرة عدوه ، فطلب من الرسول أن يمهده بالرجال ، وبقي ينتظر المدد في موضع ذات السلاسل .
بعث الرسول جيشاً من المهاجرين الاولين : فيهم أبو بكر وعمر بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ، ووصاه حين وجهه نجدة لعمرو ألا يختلفا .

لما وصل أبو عبيدة ، قال له عمرو : « إنما جئت مدداً لي » . قال أبو عبيدة : « لا ، ولكنني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه » .

قال عمرو : « أنت مددي » .

قال أبو عبيدة : « يا عمرو ان رسول الله قال لي : لا تختلعا ، وإنك ان عصيتي أعطتك » ..

أخذ عمرو يطارد القبائل الموالية للروم ، فتوغل في ديار بلي وعذرة وبلقين وطيه وكلما انتهى الى موضع فرت القبائل التي كانت فيه ، واستطاع مرة واحدة الاصطدام بجموع من القبائل ، ولكنها فرت لا تآوي على شيء .

وبذلك شنت جموع قبائل الشام ، وأعاد هبة المسلمين إلى نفوس القبائل القاطنين هناك .

دروس من ثمرات الهدنة

١ - الفضايا التعبوية

٢ - المباغنة

حركة الرسول الى اتجاه (الرجيع) وعودته الى خير ، وقيامه بإرسال مفرزة صغيرة الى ديار غطفان ليجبرها على العودة لحماية أموالها وذراريها والذكوص عن معاونة حلفائهم اليهود في محتهم ، مما أدى الى إلهام غطفان بأن الرسول يريدهم بقواته ، وإلهام اليهود بأن الرسول يريد غطفان ولا يريد لها ، كل ذلك كان مباغنة كاملة لليهود وغطفان على حد سواء .

كما يعتبر سير اقتراب (١) قوات المسلمين الى خير ووصولها ليلاً الى منطقة خير دون ان يستطيع اليهود معرفة وصولها - يعتبر ذلك مثلاً ممتازاً لضبط المسير ومباغنة ممتازة لليهود .

هذه المباغنة في المكان والزمان حالت دون تعاون اليهود مع حلفائهم وضمنت النصر للمسلمين عليهم ، بالرغم من استقنالتهم وحصونهم وتيسر قضايهم الإدارية بشكل ممتاز للغاية .

ب - قتال المدن والاحراش

خطة الرسول في الاستيلاء على حصون اليهود المنيعه ، كانت تتلخص بمشاغلة بعضها بقوات صغيرة ، وتركيز الهجوم على حصن واحد بقواته الرئيسية ، حتى يتم له الاستيلاء على الحصن ، ثم ينتقل بهجومه المركز الى حصن آخر .

(١) سير الاقتراب : تمييز عسكري يقصد به تقدم القوة لجبهة عدو احتل موضعاً دفاعياً او في حالة المسير .

كما أنه قسم قواته الى اقسام بالنسبة الى قبائلها وبطونها ، وجعل لكل قسم قائداً ، حتى يشتد التنافس بين القوات ، ولكي يقوم بعضها بالمشاغلة بينما يأخذ الباقي قسطه من الراحة ليستأنف القتال مرتاحاً عند الحاجة .

إن هذه الخطة تتفق مع أحدث الخطط العسكرية الحديثة في قتال المدن والأحراش .

ولو أنه قام بالقتال بأسلوب الكر والفر ، أو بأسلوب الصفوف في مثل هذا الموقف ، لما كتب للمسلمين النصر على اليهود .

٢ - الانسحاب

يعتبر نجاح خالد بن الوليد في انسحابه من مؤتة نجاح قوات متفوقة على قوته قفوقاً ساحقاً ، يعتبر هذا الانسحاب معجزة عسكرية .

كما ان أسلوب اشتغال مؤخره قوات المسلمين كان رائعاً حقاً : احتلت جبهة واسعة لتجبر العدو على الانفتاح على جبهة واسعة أيضاً ، مما يضعف قواته وأثارت تلك المؤخرة ضجة عظيمة ، مما جعل العدو يعتقد بوجود قوات كبيرة للمسلمين .

كل ذلك خلّص قوة القسم الأكبر (١) للمسلمين من التطويق ، وسهل عليها عملية الانسحاب .

٣ - المعنويات

أثرت عمرة القضاء في هذه الفترة على معنويات قريش تأثيراً كبيراً ، وقف كثير من قريش عند دار الندوة بمكة ، كما عسكر آخرون فوق الهضاب المحيطة بها ليشاهدوا دخول الرسول وأصحابه .

(١) القسم الأكبر : تمير عسكري يقصد به القوة الرئيسية التي تعمل مفارز الحماية على حمايته من مباغته العدو .

فلما دخل رسول الله المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده اليسرى ثم قال :
«رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة» ثم استلم الركن وأخذ يهرول ويهرول
أصحابه معه حتى وراه البيت عن قريش .

والتطواف بهذه السرعة إظهار لقوة المسلمين وتكذيب لاشاعات الضعف التي
زعمتها قريش للناس .

ونحر الرسول وأصحابه الهدى عند المروة ، ثم بقي بمكة ثلاثة أيام وعاد
بعدها الى المدينة ، وهو لا يشك بتأثير ما رأته قريش من قوة المسلمين ومن
ضبطهم واطاعتهم للرسول ومن تعظيمهم للبيت على معنويات قريش ، فلم يكذب
يتروك مكة حتى وقف خالد بن الوليد يقول في جمع من قريش : « لقد استبان
لكل ذي عقل أن محمداً ليس بساحر ولا شاعر ، وإن كلامه من كلام رب العالمين ،
فحق على كل ذي لب أن يتبعه » .

ومع أبو سفيان بما كان من قول خالد بن الوليد ، فبعث في طلبه وسأله عن
صحة ما سمع فأكد له خالد صحته ، فاندفع أبو سفيان الى خالد في غضبه ، فحجز
عنه عكرمة وكان حاضراً ! وقال : « مهلاً يا أبا سفيان فوالله خفت للذي خفت
أن أقول مثل ما قال خالد وأكون على دينه ، أنتم تقتلون خالداً على رأي رأي
وهذه قريش كلها تبايعت عليه ، والله لقد خفت ألا يحول الحول حتى يتبعه
أهل مكة كلهم » .

وأسلم من بعد خالد عمرو بن العاص وحارس الكعبة نفسها عثمان بن طلحة .
بل ظهر الاسلام في كل بيت من قريش سرراً وعلانية .

إن عمرة الحديبية فتحت أبواب قلوب أهل مكة قبل أن يفتح المسلمون أبواب
مكة نفسها بعد حين .

٣ - الامانة

آ - حرص المسلمون على الوفاء بعهودهم كل الحرص ، ولم يحاولوا بتاتاً
أن ينتهزوا الفرص السانحة للقضاء على خصومهم حرصاً على الوفاء بتلك العهود .

كان بإمكان المسلمين احتلال مكة في عمرة القضاء والبقاء فيها ، وفعلًا أراد
عبدالله بن رباح أن يقذف في وجه قريش بصيحة الحرب ، فصده عمر
وصده الرسول .

ب - كان المسلمون في غزوة خيبر يعانون أشد العناء من نقص في مواد
إعاشتهم حتى جاءت جماعة من المسلمين الى الرسول يشكون اليه قلة مؤناتهم ،
ويطلبون اليه إعطائهم ما يسدّون به رمقهم ، فلم يجد شيئًا يعطيهم إياه ، وأذن
لهم بأكل لحوم الخيل على ندرتها وقيمتها العسكرية الكبيرة حين ذاك .

في هذا الموقف العصيب أقبل عبد حبشي بغضبه على رسول الله ، فأسلم ، ثم
قال : « يا نبي الله ! إن هذه الغنم عندي أمانة » ، وكانت هذه الغنم تعود الى
يهودي من خيبر . قال له الرسول : « أخرجها من عندك وارمها بالحصاء » فان
الله سيؤدي عنك أمانتك » ...

فعل العبد ما أمره الرسول ، فرجعت الغنم الى صاحبها ، فعلم اليهودي أن
غلامه أسلم .

إن مثل هذه الامانة في مثل هذا الموقف تدعو الى الاعجاب والتقدير .

٤ - اكمال التحشد

آ - الهدف

تحشيد اكبر قوة ممكنة من المسلمين للقيام بالعمل الحاسم : فتح مكة وتوحيد
الجزيرة العربية ، لتكون القاعدة الامينة لحركات المسلمين المقبلة ، لنشر الاسلام
بين الناس كافة ، وتأسيس الامبراطورية الاسلامية .

ب - عودة مهاجري الحبشة

التجأ بعض المسلمين الى الحبشة قبل هجرة الرسول الى المدينة فرارًا من أذى
قريش ، وبقوا هناك بضعة عشر عامًا ، حتى أصبح سلطان المسلمين قويًا ، ولم
يبق هناك مبرر من بقائهم في الحبشة بعيدين عن اخوانهم المسلمين الذين يحتاجون
لمعاونتهم في نشر الدعوة وتوطيد دعائم الاسلام .

وفعلًا أرسل الرسول الى النجاشي يطلب اليه إعادة مهاجري الحبشة ، فعادوا الى المدينة بعد فتح خيبر مباشرة ، وفرح محمد وأصحابه بقدوم هؤلاء المهاجرين ، واندمجوا بقوات المسلمين ليقوموا بواجبهم في الجهاد .

• - نشر الاسلام

دعوة الملوك والامراء والرؤساء للاسلام .

راجع الملحقين المرفقين حول دعوة الملوك والامراء والرؤساء المسيطرين على البلاد العربية حين ذاك ، من النصارى الذين كانوا يدينون بدين الرومان ، ومن الجوس الذين كانوا يدينون بدين الفرس .

لقد أفاضت مكاتبات الرسول هؤلاء الفرصة لانتشار الاسلام خاصة في منطقة البحرين وفي اليمن ، كما أفاضت الفرصة لعدد عظيم من الناس أن يعرفوا أهداف الدين الجديد وغاياته . مما جعل قلوب كثيرين منهم تهوي اليه سواء تظاهروا بذلك أم أبغوه في طي الكتان .

ان انتشار الاسلام في اليمن له أهمية خاصة من الناحية العسكرية ، فقد جعل قريشاً مطوقة بالمسلمين من الشمال والجنوب . وبذلك تقرر مصير مكة وقريش نهائياً .

٦ - القضايا الادارية

آ - الاعاشة

كانت مواد الاعاشة قليلة جداً عند المسلمين في غزوة خيبر ، فبغراع بعضهم ولم يجد الرسول شيئاً عنده ليسد به رمقهم ، ولكن لداعي حصون خيبر التي تكدست فيها الاوزاق واستسلمها للمسلمين ، حسن موقف الاعاشة عند المسلمين . أما اليهود فقد كان موقف إعاشتهم ممتازاً .

ب - الماء

استفاد اليهود من الآبار وبعض العيون في غزوة خيبر لتموينهم بالماء ، وعندما

علم المسلمون بذلك ، سيطروا على المياه خارج الحصون وحرروا الحصون منها ،
بما سهل عليهم استسلام الحصون .

ج - الصحة

كان جو خبير وخمأ وفي المنطقة كثير من المستنقعات ، فادى ذلك الى اصابة
المسلمين بالحميات .

وقد افاد اليهود من النساء في غزوة خبير لتريض الجرحى والمرضى .

د - المجندات

افاد المسلمون من النساء المتطوعات في غزوة خبير لمناولة المقاتلين السهام
وسقي السويق وتضيد الجرحى والمرضى وتمريضهم .

هـ - الغنائم

قسمت الغنائم بالتساوي بين المقاتلين ، وقد كانوا بمن حضر صالح الحديبية
وبيعة الرضوان ، كما اشرك الرسول في الغنائم مهاجري الحبشة العائدين توأ ، لأن
حالتهم الاقتصادية كانت رديئة للغاية ، ولا بد من مكافأتهم لاختلاصهم وعنائهم
بهمجرتهم الى الحبشة وبقائهم هناك بضعة عشر عاماً .

وأسهم للنساء المتطوعات من مواد الاعاشة فقط كما أسهم للرجال .

٧ - النتائج

كانت نتائج فترة هدنة الحديبية ما يلي :

أ - القضاء الاخير على اليهود في شبه الجزيرة العربية .

ب - السيطرة على القبائل العربية .

ج - التأثير على معنويات قريش وحلفائها ما سهل فتح مكة .

د - انتشار الإسلام انتشاراً عظيماً داخل الجزيرة العربية .

كل ذلك جعل المسلمين يبعدون تنظيم صفوفهم على اسس ممكنة ،
وينجزون تحشيد قواتهم بحيث أصبحت اكبر قوة في شبه الجزيرة العربية كلها .

دوريات القتال للسيطرة على الاعراب

التسلسل	اسم السرية	قوتها	الغرض منها	النتائج
١	سرية عمر بن الخطاب	دورية قتال بقوة ثلاثين رجلاً	تأديب بعض هوازن	عادت السرية بدون قتال لنفر المتركين
٢	سرية غالب بن عبد الله الليثي	دورية قتال	لتأديب بنو مرة	عادت السرية بعد فرار بنو مرة
٣	سرية غالب بن عبد الله	دورية قتال بقوة مائة وثلاثين ركباً	تأديب بنو عبد ابن ثعلبة	الاستيلاء على اموال المتركين بعد فورايم
٤	سرية بشير بن سعد	دورية قتال	تأديب فسطان	الاستيلاء على اموال المتركين بعد فورايم

٥	غزوة ابن أبي المرجاء السلمي	دورية قتال	تأديب بني سليم	فرض بني سليم على دورية المسلمين
٦	سرية غالب بن عبد الله السلمي	دورية قتال بقوة حواري خمسة عشر رجلا	تأديب بني الملوخ	الاستيلاء على اموال المتركين ، ولم يستطع المتركون تخليص اموالهم لاسراع المسلمين بالانسحاب
٧	سرية شجاع بن وهب	دورية قتال بقوة اربعة عشر رجلا	تأديب بني عامر	الاستيلاء على اموال المتركين لقرارهم
٨	سرية كعب عمير الغفاري	دورية قتال بقوة خمسة عشر رجلا	دعوة بني قضاة ذات الطلع الى الاسلام	استشهدت الدورية عدا كعب

المحقق (د) مكانبة الرسول للمملوك والروساء والامراء من النصارى

الاسم	اسم صغير المسلمين	اسم الملك او الامير	الرسالة	التسايج
١	دحية بن خليفة الكلبي	القيصر هرقل ملك الروم	بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى واما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام تسلم بوثاك الله اجر ك مرتين ، فان توليت فان عليك لائم الا كدين (أي الفلاحين) وبأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينك ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهد بانا مسلمون .	لم يغضب فيمر ولم يثر ، بسل استدعى دحية وحاول ايهامه بأنه مسلم وأعطاه كمية من الدنانير وصرفه . ولما عاد دحية الى رسول الله بالنبا قال الرسول : كذيب عدو الله ليس يسلم ، وأمر بالدنانير فقسمت على المحتاجين من المسلمين .
٢	شبيب بن وهب الاسدي	اطارث بن أبي شمر الفسافي أمير دمشق	بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى اطارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق ، واني ادعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له فيبقى ملكك .	لما قرأ الكتاب رمى به الارض وقال : من يترع ملكي مني ؟ وأخذ يعد العدة للقتال المسلمين .

مكاتبة الرسول للمملوك والامراء والرؤساء من النصارى

(د) الملحق

الترتيب	اسم سفير المسلمين	اسم الملك او الامير	الرسالة	التساؤل
٣	اطارث بن عمير الاسدي	امير بصري	الرسالة كرسالة امير دمشق في معناها .	لم يصل الرسول الى امير بصري ولا ان شرجيل ابن عمرو الفسافي رآه في الطريق فقتله .
٤	حاطب بن ابي بلنعة	المقوقس عظيم القبط	١ - رسالة الرسول كرسالته الى قيصر . ٢ - جواب المقوقس . لهيذ بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط . سلام عليك . اما بعد . فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وتدعو اليه ، وقد علمت ان نبيا قد بقى و كنت اظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت لك بجارينين لهما مكان عظيم في القبط ، و ثياب ، واهديت لك بغلة تركها .	قبل محمد الحديدي وذكر ان المقوقس لم يسلم خشية ان يسلبه الروم ملك مصر وانه لو لا ذلك لاسلم .
٥	عمرو بن امية النضري	ملك النجاشي ملك الحبشة	رسالة الرسول كرسالته الى قيصر في معناها .	كان رد النجاشي جيلا وقد ورد في بعض الروايات انه اسلم .

الملحق (ز) مكانية الرسول للملوك والامراء والرؤساء الجوس والمشر كين وأتباع كسرى

الملك اسم الامير	اسم سفير المسلمين	١
كسرى ابروين ملك الفرس	عبد الله ابن حذافة	١
الرسالة	بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله . اذهبك بداية الاسلام فاني انا رسول الله الى الناس كافة لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . اسلم تسليم و فانه آيت فليك اثم الجوس . المسلمين في جنوب الجزيرة العربية .	٢
التسليج	استشاط غضباً بعد تلاوة الكتاب وزنه ، وكتب الى بازان عامه على البين يأمره بان يبعث اليه برأس الرسول ، ولا يبلغ الرسول ما قاله كسرى قال : مزيق الله ملكي . واوقف بازان رجلين الى عهد برسالة وعندما وصل الرجلان الى المدينة اخبرهم الرسول بان كسرى قد اغتيل من قبل ابنه شيرويه ، وطلب الى الرسولين ان يكونا رسوله الى بازان يدعوا له للاسلام ، فاسلم بازان واصبحت البين تقطع اركان قريضة المسلمين في جنوب الجزيرة العربية .	٢
اسلم المنذر وعرض الاسلام على قومه فاسلم بعضهم وبقي الآخرون على دينهم او نجروسيهم ففرضت الجزية على اليهود والجوس .	المنذر بن سلي ، والي البحرين	٢

المحقق (د) مكانبة الرسول للملوك والامراء والرؤساء المجوس والمشر كين واتباع كسرى

الترسل	اسم سفير المسلمين	اسم الملك او الامير	الرسالة	التسائج
٣	المهاجر بن أمية الخزرمي	الطارث الجيوري ملك الصين	كرسالة كسرى في معناها .	غضب ورد رداً شديداً .
٤	سليط بن عمرو	هوزة بن علي الحنفي ملك البامنة	كرسالة كسرى في معناها .	اظهر استعداد الاسلام اذا هو نصب حاكماً فلعنه النبي لمطامه .
٥	عمرو بن العاص السلمي	ملك عمان	كرسالة كسرى في معناها .	غضب ورد رداً شديداً .

عَوْدَةُ الْمُسْتَضْعِفِينَ

« وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى
الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي
الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ »
القرآن الكريم

فتح مكة

الموقف العام

١ - المسلمون

أتاحت هدنة الحديبية للمسلمين القضاء على اليهود عسكرياً في المدينة ، كما أتاحت لهم السيطرة على القبائل شمال المدينة حتى حدود العراق والشام وانتشر الاسلام بين القبائل العربية كلها . فأصبح المسلمون قوة لا تدانيها أية قوة في بلاد العرب .

ولم يبق أمام المسلمين الا الاستيلاء على مكة ، تلك المدينة المقدسة التي انتشر الإسلام فيها أيضاً ، وما أسهل احتلالها على المسلمين لولا عهد الحديبية الذي يحرص على الوفاء به الرسول .

٢ - المشركون

أدى انتشار الاسلام بين قسم كبير من القبائل ومن ضمنها قريش وبقاء القسم الآخر على الشرك الى تفرق كلمتها واستحالة جمع هذه الكلمة على حرب المسلمين .

ولم يبق في قريش زعيم مسيطر يستطيع توجيهها الى ما يريد حين يريد : المسلمون فيها لا يخضعون إلا لأوامر الاسلام ، والمشركون فيها بين متطرف يدعو للحرب مهما تكن نتائجها . ومعتدل يعتبر الحرب كارثة تحيق بقريش .

أراد بنو بكر حلفاء قريش ان يأخذوا قريش بثارتهم القديمة من بني خزاعة حلفاء المسلمين ، وحرّضهم على ذلك متطرفو قريش بقيادة عكرمة بن أبي جهل

وبعض سادات قريش ، وأمدوهم سرأ بالرجال والسلاح ، وقامت بنو بeker
ب هجوم مباغت على بني خزاعة ، فوقعوا فيهم بعض الخسائر في الأرواح والأموال
ولما التجأت خزاعة الى البيت الحرام ، طاردتهم بنو بكر مصمة على القضاء
عليهم غير مكتونة بعهد الحديبية .

وانتهت الهدنة بين قريش وحلفائها من جهة ، وبين المسلمين وحلفائهم من جهة
اخرى ، ولكن السبب في انتهاء قريش وبنو بكر .

اعلان الحرب

١ - المسلمون

سارع عمر بن سالم الخزاعي بالتوجه الى المدينة حاملاً أخبار نقض قريش
وبني بكر لعهد الحديبية ، فلما وصلها قصد المسجد وقصّ على الرسول وأصحابه
ما أصاب خزاعة من بني بكر وقريش في مكة وخارجها ، فأجابهم الرسول :
نصرت يا عمرو بن سالم .

وخرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة ، حتى قدموا المدينة ، فأخبروا
النبي بما أصابهم ، فعزم الرسول على فتح مكة .

٢ - قريش

قدّر معتدلو قريش وعقلاؤهم ماذا يعنيه انتهاء الهدنة بينهم وبين المسلمين ،
ففرّوا ايقاد أبي سفيان الى المدينة لانشب بتثبيت العهد وإطالة مدته .

ولما وصل أبو سفيان (عصفان) في طريقه الى المدينة رأى بديل بن ورقاء
وأصحابه عاندين من المدينة ، فخاف أن يكون قد جاء محمداً وأخبره بما حدث
بما يزيد مهمته التي جاء من أجلها تعقيداً ، إلا أن بديلاً نفى مقابله لمحمد ،
ولكن أبا سفيان عرف من فضلات راحلة بديل التي فيها نوى التمرانه كان
في المدينة .

ووصل أبو سفيان الى يثرب ، فقصد دار ابنته أم حبيبة زوج الرسول ، وأراد أن يجلس على الفراش فطوته دونه ، فقال لها : « يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ » قالت . « بل هو فراش رسول الله ، وأنت مشرك نجس » . قال أبو سفيان : « والله ، لقد أصابك بعدي شر » .

واستشفع أبو سفيان بأبي بكر ليكلم الرسول ، فأبى .

واستشفع بعمر بن الخطاب فأغظ له في الرد ، وقال : « أنا أشفع لكم عند رسول الله ؟ والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به » .

ودخل أبو سفيان على علي بن أبي طالب ، وعنده فاطمة ، فردّ عليه علي : « والله يا أبا سفيان ، لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه » .

واستشفع أبو سفيان بفاطمة بنت النبي أن يجير ابنها الحسن بين الناس ، فقالت : « ما يجير أحد على رسول الله » .

فاستنصع أبو سفيان علياً ، بعد أن اشتدت عليه الأمور ، فنصحه أن يعود من حيث جاء ؛ ففعل أبو سفيان عائداً الى قريش ، ليخبرهم بما لقي من صدود .

ولم يبق هناك شك في اعلان الحرب .

الاستحضارات

أمر الرسول اصحابه بانجاز استحضاراتهم للحركة ؛ وأرسل من يخبر قبائل المسلمين خارج المدينة بانجاز استحضاراتهم للحركة ايضاً ، كما أمر أهله أن يجهزوه ، ولكنه لم يخبر أحداً بنواياه الحقيقية ولا باتجاه حركته .

دخل أبو بكر على ابنته عائشة زوج النبي وهي تهيء جهاز الرسول ، فقال لها : « أي بنية . أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز . قال : فأين تريه يريد ؟ قالت والله لا ادري ، ... » .

ولما اقترب موعد الحركة ، صرح الرسول بأنه سائر الى مكة ، وبث عيونه ليحل دون وصول انباء حركته الى قريش . ولكن حاطب بن ابي بلتعة كتب رسالة اعطاها امرأة متوجهة الى مكة ، يخبرهم فيها بنيات المسلمين ، فعلم الرسول بهذه الرسالة ، وبث علياً بن أبي طالب والزبير بن العوام ليدركا المرأة ويأخذوا تلك الرسالة منها . فأدركاها وأخذوا الرسالة التي كانت معها .

ودعا محمد حاطباً يسأله : ما حمله على ذلك ؟ قال حاطب : « يا رسول الله : أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيّرت ولا بدّلت ، ولكنني كنت امرأة أليس له في القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم » . قال عمر : « دهني يا رسول الله فلاضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق » .

قال الرسول : « أما إنه قد صدقكم ، وما يدريك ؟ لعل الله قد اطلع على من شهد بدرأ فقال : اعملوا ما شئتم » ...

شفع حاطب ماضيه الحافل بالجهاد ، ففعا عنه الرسول وأمر المسلمين ان يذكروه بأفضل ما فيه .
وانجز المسلمون استحضاراتهم للحركة .

قوات الطرفين

١ - المسلمون

عشرة آلاف بقيادة الرسول .

٢ - المشركون

قريش وبنو بكر كل جماعة منهم لها قائد خاص .

في الطريق الى مكة

١ - ترك المسلمون المدينة في رمضان من السنة الثامنة للهجرة قاصدين فتح

مكة، وكان جيش المسلمين مؤلفاً من الانصار والمهاجرين وسليم ومزينة وغطفان وكثير من القبائل الأخرى ، في عدد وعدد لم تعرفه الجزيرة العربية من قبل ، وكلما تقدم الجيش باتجاه هدفه ازداد عدده بانضمام مسلمي القبائل التي تسكن على جانبي الطريق اليه . ومع كثافة هذا الجيش وقوته وأهميته ، فقد بقي سر حركته مكتوماً لا تعرف قريش عنه شيئاً ، ومع اعتقاد قريش بأن محمداً في حل من مهاجرتها ، ولكنها لم تكن تعرف متى وأين وكيف سيجري الهجوم المتوقع ، ولشعور قريش بالخطر المحدق بها أسرع كثير من رجالها بالخروج الى المسلمين لآلان إسلامهم ، فصادف بعض هؤلاء ومنهم العباس عم النبي جيش المسلمين في طريقه الى مكة .

وصل الجيش مساء موضع (مر الظهران) على مسافة أربعة فراسخ من مكة ، فمسكرو هناك ، وأمر الرسول أن يوقد كل مسلم ناراً حتى ترى قريش ضخامة الجيش دون أن تعرف هويته ، فيؤثر ذلك على معنوياتها وتستسلم للمسلمين دون قتال ، وبذلك يؤمن الرسول هدفه في دخول مكة دون إراقة للدماء .

وأوقد عشرة آلاف مسلم نيرانهم ، ورأت قريش تلك النيران تملأ الافق البعيد ، فأسرع أبو سفيان بن حرب وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام بالخروج باتجاه النيران حتى يعرفوا مصدرها ونوايا أصحابها وأهدافهم ، فلما اقتربوا من موضع معسكر المسلمين ، قال أبو سفيان لصاحبه : « ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً » فردّ عليه بديل بن ورقاء : « هذه والله خزاعة حمشتها الحرب » ، فلم يقتنع أبو سفيان بهذا الجواب ، فقال : « خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكراها ... »

وكان العباس عم النبي قد خرج من معسكر المسلمين راكباً بغلة الرسول . ليخبر قريشاً بالجيش الضخم الذي جاء لقتالها والذي لا قبل لها به ، حتى يؤثر على معنوياتها ويضطرها الى التسليم دون قتال ، فيحقق بذلك دماءها ويؤمن لها صلحاً شريفاً ويخلصها من معركة فاشلة معروفة النتائج سلفاً لا يمكن أن يثيرها غير العصية الجاهلية ؛ فسمع وهو في طريقه حديث أبي سفيان وبديل بن ورقاء ،

رف العباس صوت ابي سفيان ، فناداه وأخبره بوصول جيش المسلمين بأن يلجأ الى الرسول حتى ينظر في امره قبل ان يدخل الجيش مكة صباح غد فيحقق به ويقومه العقاب .

أردف العباس أبا سفيان على بقعة الرسول ، وتوجه نحو معسكر المسلمين ، فلما وصل العباس المعسكر ودخله واخذ يمر بنيران الجيش في طريقه الى خيمة الرسول رآه المسلمون فلم ينكروا شيئاً لأنهم عرفوا العباس ، فلما مر العباس بنار عمر بن الخطاب عرف أبا سفيان وأدرك ان العباس يريد ان يجيره ، فأمرع عمر الى خيمة النبي وطلب منه أن يأمره بضرب عنق أبي سفيان ، ولكن الرسول طلب من همه ان يأخذ أبا سفيان الى خيمته ويحضره اليه صباح غد ، فلما كان الصباح وجيء بأبي سفيان الى النبي ، اسلم ليحقق دمه ، فقال العباس : « يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً » ..

قال الرسول : « نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

وأراد الرسول ان يستوثق من سير الامور كما يحب بعيداً عن وقوع الحرب افأوصى العباس باحتجاز ابي سفيان في مضيق الوادي ، حتى يستعرض الجيش لراحف كله فلا تبقى في نفسه اية فكرة المقاومة .

قال العباس : « خرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث امرني رسول الله ، ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول سليم ! فيقول مالي وللسليم . ثم تمر به القبيلة ، فيقول : يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة . فيقول : مالي وللمزينة حتى نفذت القبائل ، ما تمر به قبيلة إلا سألني عنها ، فاذا أخبرته قال : مالي ولبني فلان .

« حتى من الرسول في كتيبه الخضراء ، وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فقال : سبحان الله ؟ يا عباس ، من هؤلاء ؟ قلت :

هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة !
والله يا ابا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن اخيك الغداة عظيماً .
« قال العباس : يا ابا سفيان انها النبوة . قال : نعم إذن » ...

قبل دخول مكة

دخل أبو سفيان مكة مبهوراً مذعوراً . وهو يحس أن من وراءه اعصاراً
إذا انطلق اجتاح قريشاً وقضى عليها قضاء لا تقوم لها قائمة بعده ابداً ، ورأى
اهل مكة قوات المسلمين تقترب منهم ، ولم يكونوا حتى ذلك الوقت قد قرروا
قراراً حاسماً ولا اتخذوا تدابير القتال الضرورية ، فاجتمعوا الى ساداتهم
ينتظرون الرأي الأخير ، فاذا بصوت ابي سفيان ينطلق بينهم مجاجلاً جازماً :
« يا معشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار ابي
سفيان فهو آمن ! » .

شدهت امرأة ابي سفيان هند بنت عتبة التي كانت تشايح المتطرفين من
قريش في عداوتهم للمسلمين وهي تسمع من زوجها هذا الكلام ، فوثبت اليه
وأخذت بشاربه تلويه وصاحت : اقتلوا الحميت الدسم الأحمس (١) (اي هذا الزق
المنتفح) فبعت من طليعة قوم (٢) .

ولم يكثرث أبو سفيان لسباب امرأته ، فعاود تحذيره : « ويلكم لا تفرنكم
هذه من انفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به . فمن دخل دار ابي سفيان
فهو آمن .. »

قالت قريش : قاتلك الله وما تغني عنا دارك ؟ قال : « ومن اغلق عليه
بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » ..

(١) الحميت : في الاصل زق السمن ، والدسم ، الكثير الودك ، والاحمى : الشديد الاحم ،
تريد تشبيهه به لمباته وسننه .

(٢) طليعة قوم : الذي يتقدمهم أو يبرهم .

واصبحت مكة تنتظر دخول المسلمين : اختفى الرجال وراء الابواب الموصدة ، واجتمع بعضهم في المسجد الحرام ، وبقي المتطرفون مصرين على القتال .

خطة الفتح

(راجع المخطط المرفق)

١ - كانت مجمل خطة الرسول لدخول مكة ما يلي : -

ا - الميسرة بقيادة الزبير بن العوام واجبها دخول مكة من شمالها .

ب - الميسنة بقيادة خالد بن الوليد واجبها دخول مكة من جنوبها .

ج - قوات الانصار بقيادة سعد بن أبي عباد واجبها دخول مكة من الغرب .

د - قوات المهاجرين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح واجبها دخول مكة من الشمال الغربي من اتجاه جبل هند .

هـ - متابعة اجتماع القوات بعد الفتح في منطقة جبل هند .

٢ - كانت اوامر الرسول لقواده بالالتفاف حول مكة الا اذا اضطروا على القتال ، حتى يتم فتح مكة سلمياً وبدون قتال .

الفتح

١ - قبل شروع القطعات في دخول مكة ، سمع بعض المسلمين سعداً بن عباد يقول : اليوم يوم الملحمة ، تستحل الحرمه ... لذلك رأى الرسول حين بلغه ما قال سعد ان يأخذ الراية منه وان يدفعها الى ابنه قيس ، فقد كان قيس أهداً أعصاباً من ابيه واكثر سيطرة على نفسه ، حتى يحول دون اندفاع سعد لاثارة الحرب .

دخلت قوات المسلمين مكة ، فلم تلق مقاومة ، الا جيش خالد بن الوليد ،

فقد تجتمع مطرفو قريش مع بعض حلفائهم من بني بكر في منطقة (الحندمة)، فلما وصلتها قطعات خالد أمطروها بوابل من نبالهم ، لكن خالد لم يلبث ان فرقهم ولم يقتل من رجاله الا اثنان ضلّا طريقهما وانفصلا عنه ولم يلبث صفوان وسهيل وعكرمة حين رأوا الدائرة تدور عليهم ان تركوا مواضعهم في (الحندمة) وفروا مع قواتهم .

واستسلمت المدينة المقدسة للمسلمين .

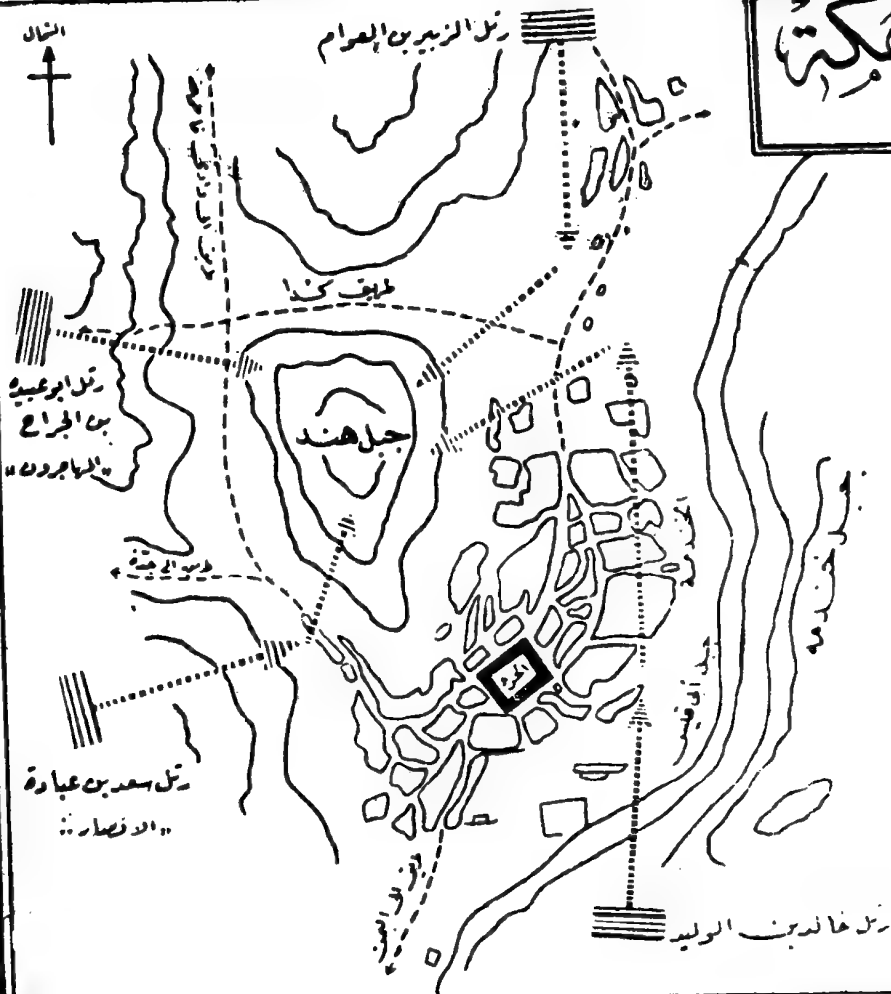
في مكة

عسكر النبي في منطقة جبل هند بعد ان سيطرت قواته على جميع مداخل مكة ، فلما استراح وتجمعت اركتاله ، نهض والمهاجرين والانصار بين يديه وخلفه وحوله ، حتى دخل المسجد . فأقبل الى الحجر الاسود فاستلمه ، ثم طاف بالبيت العتيق وحول البيت . وكان في الكعبة ستون وثلاثمائة صنم ، يطعنها بالقوس وهو يقول : جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدىء الباطل « وما يعيد » .

ثم دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة . فرأى الصور تملؤها ومن بينها صورتان لابراهيم وإسماعيل يستقيمان بالأزلام ، فمحا ما في الكعبة من صور ، ثم صلى ودار في البيت يكبر ، ولما أنهى تطهير البيت من الأصنام والصور ، وقف على باب الكعبة وقريش تنتظر ماذا يصنع ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده الا كل مأثرة او مال فهو تحت قدمي هاتين لإسادة البيت وسقاية الحاج . يامعشر قريش ، ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وقعضها بالآباء : الناس من آدم ، وآدم من تراب ، يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير . يامعشر قريش ما ترون أني فاعل بكم ؟ » .

قالوا : « خير أخ كريم وابن أخ كريم » .

فتح مكة



قال : « فاني اقول كما قال يوسف لاختواته : لا تثريب عليكم اليوم . اذهبوا فانتُم الطلقاء » ..

طهّر المسلمون البيت من الأصنام ، واتمّم محمد بذلك في اول يوم فتح مكة ما دعا اليه منذ عشرين سنة : اتمّم تحطيم الأصنام والقضاء على الوثنية في البيت الحرام بمشهد من قریش ، ترى اصنامها التي كانت تعبد ويعبد آباؤها ، وهي لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا .

واقام محمد بمكة خمسة عشر يوما نظم خلالها شؤون مكة وفقه اهلها في الدين ، وارسل بعض المفارز للدعوة الى الاسلام ولتحطيم الاصنام من غير سفك للدماء . وقد اتمت تلك المفارز واجباتها بدون قتال ، الا المفرزة التي كانت بامرة خالد بن الوليد والتي خرجت الى (نخلة) لتهدم (العزى) . فلما هدمها خالد خرج الى جذيمة فأخذوا سلاحهم . فطلب اليهم خالد ان يضعوا سلاحهم لان الناس اسلموا . عند ذاك تردّد القوم بين محبذ للقتال ومحبذ للسلم ، واخيرا القوا سلاحهم ، فقتل منهم خالد بعض الناس ، فلما انتهى الخبر الى النبي رفع يديه الى السماء : وقال : « اللهم اني ابرأ اليك بما صنع خالد بن الوليد » . ثم بعث عليا بن ابي طالب وقال له : « اخرج الى هؤلاء القوم ، فانظر في امرهم واجعل امر الجاهلية تحت قدميك » .

وخرج علي ومعه مال ، فلما بلغ القوم دفع الدية عن الدماء وعما اصاب من الاموال ، حتى اذا لم يبق شيء من دم او مال الا وداه ، اعطاهم بقية المال الذي بعث به رسول الله احتياطاً لرسول الله بما لا يعلم .

خسائر الطرفين

١ - المسلمون

شهيدان فقط .

٢ - المشركون

ثلاثة عشر قتيلا وبعض الجرحى .

دروس من الفتح

١ - المباغة

حرص محمد أشد الحرص على الا يكشف نيته لاحد عندما اعتزم الحركة الى مكة ، وكان سبيله الى ذلك الكتمان الشديد .

لم يبع بنياته لاقرب اصحابه الى نفسه ابي بكر ، بل لم يبع بنياته الى احب نسائه اليه عائشة بنت ابي بكر . وبقيت نواياه سرّاً مكتوماً حتى انجز هو واصحابه جميع استحضارات الحركة ، وحتى وصل امره الانذاري (١) الى كافة المسلمين خارج المدينة وداخلها لانجاز الاستحضارات. ولكنه اباح بنواياه في الحركة الى مكة قبيل موعد خروجه من المدينة ، حيث لم يبق هناك مبرّر للكتمان ، لان الحركة أصبحت وشيكة الوقوع .

ومع ذلك فانه بثّ عيونه وأرصاده ودورياته لنحول دون تسرب المعلومات عن حركته الى قريش .

بثّ عيونه داخل المدينة ليقتضي على كل خبر من اهلها الى قريش ، وقد رأيت كيف اطلع على إرسال حاطب بن أبي بلتعة برسالة الى مكة ، فاستطاع أن يحجز على تلك الرسالة قبل أن أصل الى ماثبتها .

وبثّ دورياته في المدينة وخارجها ليحرم قريشاً من الحصول على المعلومات عن نوايا المسلمين ، وليحرم المنافقين والموالين لقريش من إرسال المعلومات اليها . وبقي محمداً يقظاً كل اليقظة ، حتى وصل ضواحي مكة ، ونجح بتربياته في حرمان قريش من معرفة تدابير المسلمين .

ولو انكشفت نيات المسلمين لقريش في وقت مبكّر لاستطاعت أن تحشد حلفاءها وتنظّم قواتها وتقرّر خطة مناسبة لمقابلة المسلمين ، ولاستطاعت مقاومة

(١) الامر الانذاري : تعبير عسكري يقصد به الامر التمهيدي الذي يصدر (مبكراً) قبل اصدار الاوامر المصلحة لفرض اعطاء فكرة للأميرين المرؤوسين عن الحركة المقبلة ، ولكي تنجز الاستحضارات اللازمة بكفاءة لهذه الحركة .

محمد وأصحابه أطول مدة ممكنة ، ولأوقعت بقواته خسائر في الأرواح والأموال دون مبرر .

ليس من السهل أبداً ، أن يتعرض جيش كبير تبلغ قوته عشرة آلاف راكب وراجل الى مكة ، دون ان تعرف قريش وقت حركته ونواياه ، حتى يصل ذلك الجيش الى ضواحي مكة ، فيفلت الامر من قريش ، ولا تعرف ما تصنع الا أن تلجأ الى التسليم .

إن ترتيبات الرسول لحرمان قريش من معرفة نواياه ، أمنت له مباغتة بمنازة للغاية ، وأجبرت قريشاً على الاستسلام دون قتال .

١ - المعلومات

يقرر القائد خطته بالنسبة الى المعلومات التي يستطيع الحصول عليها عن :
نوايا العدو ، وعدد قواته ، وتنظيمه وتسليحه ومواقفه وأسلوب قتاله ،
وكلما كانت المعلومات المتيسرة مفصلة وافية . كانت خطة القائد دقيقة
وكان احتمال نجاحها كبيراً .

لقد استطاع المسلمون أن يعرفوا من وفد بني خزاعة أمر نقض الهدنة ،
واستطاعوا معرفة تردد قريش في قراراتها ، كما استطاعوا أن يعرفوا كل خبر
مهم يدخل الى المدينة أو يخرج منها في وقته الجازم .
أما قريش ، فلم تستطع ان تحصل على أي نوع من المعلومات في أي وقت
كان قبل حركة الرسول واثناها حتى وصوله ضواحي مكة .

حاول أبو سفيان أن يعرف نيات المسلمين من ابنته أم عبيبة زوج النبي فلم
يفلح ، وحاول ان يعرف ذلك من المسلمين في المدينة ففشل ، وحاول أن يعرف
شيئاً من وفد خزاعة ، فانكر الوفد ذهابه الى الرسول ؛ وهكذا بقيت قريش
في عماية من أمرها ، حتى وصل جيش المسلمين ضواحي مكة ونزل القضاء
المحتوم .

٣ - 'بعده' النظر

القائد الناجح هو الذي يتسم ببعده النظر بالاضافة الى مزاياه الاخرى ،

ويتخذ لكل احتمال التدابير الضرورية لمعالجته ، دون أن يترك مصائر قواته للأقدار .

إن النصر من عند الله يؤتاه من يشاء ، هذا أمر مفروغ منه ، ولكن الله يكتب النصر لمن أعد له عدته واحتاط لكل احتمال كبير أو صغير قد يصادفه ، ولذلك يشدد العسكريون لادخال أسوأ الاحتمالات في حسابهم عند الأقدام على أي حركة عسكرية .

أمر الرسول أن يحبس أبو سفيان في مدخل الجبل الى مكة ، حتى تمرّ به جنود المسلمين ، فيحدث قومه عما رآه عن بيّنة و يقين ، ولكي لا يكون إسراره في العودة الى قريش قبل أن تتحطم معنوياته تماماً ، سبباً لاحتمال وقوع أي مقاومة من قريش مهما يكن نوعها ودرجة خطورتها .
وفعلاً اقتنع أبو سفيان بعد أن رأى قوات المسلمين كلها ، أن قريشاً لا قبل لها بالمقاومة .

وقد أدخل الرسول في حسابه أسوأ الاحتمالات أيضاً ، عند تنظيم خطته لدخول مكة ، فقد كانت تلك الخطة تؤمّن تطويق البلد من جهاته الأربع بقوات مكثفة بذاتها بإمكانها العمل مستقلة عن القوات الأخرى عند الحاجة ، وبذلك تستطيع القضاء على أي مقاومة في أي جهة من مكة ، كما تؤمّن توزيع قوات قريش الى أقسام لمقاومة كل رتل من ارتال المسلمين على انفراد ، فتكون قوات قريش ضعيفة في كل مكان .

لقد اتخذ محمد هذه التدابير الفعّالة ، على الرغم من اعتقاده بأن احتمال مقاومة قريش للمسلمين ضعيف جداً ، وذلك ليحول دون مباغته قواته وإيقاع الحاسائر بها مهما تكن الظروف والاحوال .
إن هذا العمل من أروع أمثلة بعد النظر الذي يجب أن ينسم به القائد العبقري .

٤ - التنظيم

كان جيش الفتح يتألف من المهاجرين والانصار ومسلمي أكثر القبائل

العربية المعروفة يومذاك : سبعمائة من بني سليم ، والف من مزينة ، وأربعمائة من بني غفار ، وأربعمائة والف من بني جهينة ، وعدد من تميم واسد وقيس وغيرها من القبائل الأخرى

إنّ هذا التنظيم جعل المشركين يترددون في مقاومة جيش المسلمين ، لأن كل قبيلة لها فيه عدد كبير بل إن كثيراً من القبائل تعتبر نجاح هذا الجيش نجاحاً لها على الرغم من اختلاف العقيدتين ، والأكثر من ذلك ، فإن انتصار هذا الجيش لا يعتبر فغراً لقبيلة دون أخرى ، كما إن فشل أي قبيلة في التغلب عليه ، لا يعتبر عاراً عليها ، لأن هذا الجيش لم يكن لقبيلة دون أخرى ، بل لم يكن للعرب دون غيرهم ، بل كان للإسلام ولعنتقي هذا الدين من العرب وغير العرب .

لأنّي أعتقد أنّ تنظيم هذا الجيش بهذا الأسلوب الذي لا يخضع إلا للعقيدة الموحدة فقط دون غيرها من المؤثرات ، جعل القبائل كلها لا تحرص على مقاومته حرصها على مقاومة قبيلة خاصة أو قبائل خاصة ، وجعل أكثر تلك القبائل لا تريد فشله إذا لم تكن تريد النصر له ، وهذا أدّى إلى تردّد القبائل في مقاومته وامتناعها عن نقل المعلومات عنه إلى قريش وغيرها ، كما اعتقد أنّ قوة هذا الجيش وحدها لم تكن المانع الوحيد لتردّد القبائل في قتاله ونقل معلوماته للعدو ، لأن قتاله أو نقل المعلومات عنه لعدوه ، معناه إيقاع الخسائر في المسلمين : تلك الخسائر التي تكون على القبائل كلها لا على قبيلة واحدة ، وبذلك يشمل الضرر القبائل كلها لا المسلمين وحدهم ، ومن يضمن ألا تكون أكثر الخسائر من منتسبي تلك القبيلة التي سبّبت للمسلمين هذه الخسائر .

٥ - المعنويات

لم تكن معنويات المسلمين في وقت من الأوقات أعلى وأقوى مما كانت عليه أيام فتح مكة ، البلد المقدس عند المسلمين الذي يتوجهون إليه في صلاتهم كل يوم ، ويحجّون بيته كل عام .

وقد كانت أهمية مكة للمهاجرين أكثر من أنها بلد مقدس ، فهي بلدهم الذي تركوه فراراً بدينهم وتركوا فيه أموالهم وأقرباءهم وكل عزيز عليهم .

لذلك لم يتخلف أحد من المسلمين عن هذه الغزوة إلا القليل من ذوي الأعذار الصعبة .

أما معنويات قريش فقد كانت متروية للغاية ومن حقها أن تتردى ، فقد أثرت عليها عمرة القضاء كما رأيت ، كما أثر عليها انتشار الإسلام في كل بيت من بيوت مكة تقريباً ، وبذلك فقدت مكة روح المقاومة وروح القتال .

كان حماس بن قيس من بكر يعد سلاحه قبل دخول الرسول . فسألته امرأته المشركة : « لماذا تعدّ ما أرى ؟ » قال : « لحمد وأصحابه » . قالت « والله ما يقوم لحمد شيء » . فإذا كان هذا حال معنويات المشركين في مكة فكيف تستطيع المقاومة وكيف لا تتردد في الإقدام على القتال ؟

إني اعتبر أن فتح مكة قد تمّ للمسلمين من يوم عمرة القضاء ، لأن هذه العمرة أثرت على معنويات قريش أعظم التأثير .

إن عمرة القضاء فتحت قلوب قريش ، وغزوة الفتح فتحت أبوابها .

وبما زلّ في انحطاط معنويات قريش وسلب كل روح المقاومة فيها ، ما اتخذته الرسول من ترتيبات لإيقاد عشرة آلاف نار في ليلة الفتح ، ومرور الجيش كله بأبي سفيان قائد قريش أو أكبر قائدها ؛ ودخول أرتال المسلمين من كل جوانب مكة .

لقد كانت معركة (الفتح) معركة معنويات لا معركة ميدان .

٦ - السلم

حرص الرسول منذ خروجه من المدينة حتى فتح مكة على نياته السلمية ليؤلف بذلك قلوب المشركين ، ويجعلها تقبل على الإسلام .

إيقاد النيران في ليلة الفتح بشكل لم تعرف له العرب مثيلاً من قبل ، يستهدف القضاء على روح المقاومة في قريش ، ويجبرها على التسليم دون قتال .

ومرور الجيش بأبي سفيان ، يستهدف إقناعه بعدم جدوى المقاومة ، ليعمل من جانبه على إقناع قريش بهذا الرأي :

ومن دخل دار أبي سفيان أو أغلق عليه بابه أو التجأ الى البيت الحرام فهو آمن ، معناه منع تجمّع الناس المقاومة .

بل ان دخول أرتال المسلمين من كل جانب من جوانب مكة ، لا يعني إلا اقناع المسلمين باستحالة المقاومة .
كل ذلك كان يستهدف السلم وحقق الدماء .

وبقي الرسول مصراً على نياته السلمية بعد الفتح ايضاً ؛ فقد اصدر العفو العام عن قريش وقال لهم : « إذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وكما حرص الرسول على السلم الإجماعي حرص على السلم للأفراد ، فمنع القتل حتى لفرد من المشركين .

قتلت خزاعة حلفاء المسلمين رجلاً من هذيل غداة يوم الفتح لثأر سابق لها عنده ، فغضب الرسول أشد الغضب ، وقام في الناس خطيباً ، وبما قاله : « يا معشر خزاعة ! ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثرت إن نفع ، لقد قتلتم قتيلاً لأدينته ، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين : إن شأوا قدم قاتله ، وإن شأوا فعقله (اي ديته) » ،

ثم ودى بعد ذلك الرجل الذي قتلت خزاعة .

بل إن الرسول لم يقتل رجلاً من المشركين اراد اغتياله شخصياً وهو يطوف في البيت ، بل تطف معه ، فقد اقترب منه فضالة بن عبيد يريد أن يجذله فرصة ليقتله ، فنظر اليه النبي نظرة عرف به طويته ، فاستدعاه وسأله : « ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ » قال : لا شيء ! كنت اذكر الله . فضحك النبي وتلطف معه ووضع يده على صدره ، فانصرف الرجل وهو يقول : « ما رفع يده عن صدري ، حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه » .

لقد كان الرسول يستهدف من حرصه على السلم تأليف القلوب وتوحيد كلمتها لتقبل على الإسلام ، فلم يكن من السهل على قريش أن تقبل بمصيرها الذي آلت اليه وهي سيدة العرب غير منازع ، لأنها أعظمهم حضارة وأشدهم بأساً وأكثرهم مالاً وفي بلدها البيت الحرام .

ليس من السهل ان ترضى قريش بمصيرها هذا وتقبل على الإسلام طائفة وتحمل رايات الجهاد ، لو لم تعامل هذه المعاملة السامية التي لم تكن تتوقعها ، وبذلك انقلب موقفها من اشد الناس عداوة للإسلام الى احرص الناس على رفع راية الإسلام .

زد على ذلك ان (السلام) في الإسلام دين ، امر الله به في محكم كتابه : وان جنحوا للسلم فاجنح لها ...

٧ - الوفاء

التاريخ العسكري طافح بأعمال الظلم والانتقام التي قام بها المنتصرون ، ويندر أن نجد في التاريخ كله وفاء يشابه وفاء الرسول ، بل لا نجد مثيلاً في التاريخ كله لهذا الوفاء .

رأى الانصار دخول الرسول الى بلده الحبيب بعد فراق طال أمده، وشاهدوا التفاف قوته واهله حوله ، فقال بعضهم لبعض : أترون رسول الله ﷺ اذ فتح الله عليه ارضه وبلده ، يقيم بها ولكن محمداً ما لبث ان سألهم : ما قالوا ؟ فلما أباحوا له بما يخالف نفوسهم بعد تردد ، قال : « معاذ الله . الحياحيكم والمات بماتكم » وقد كان من حقه أن يستقر بمكة وفيها اهله وقومه ، وفيها بيت الله الحرام ، ولكن وفاءه أبى عليه ان ينسى اصدقاء الشدة في وقت الرخاء .

رأى علي بن ابي طالب مفتاح الكعبة بيد الرسول ، فقال له : « يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية . »

قال الرسول : « ابن عثمان بن طلحة ؟ » فلما جاء عثمان قال له : « يا ابن طلحة ، هاك مفتاحك ، اليوم يوم بر ووفاء » ...

اما وفاؤه بعهوده وحرصه الشديد على التمسك بها ، فعديث معاذ .

نلك امثلة من وفاء الرسول ، حتى قال اعداؤه عنه قبل اصدقائه : « انه اوصل الناس واحلهم واكرمهم وأوفاهم » .

٨ - التواضع

السيطرة على الأعصاب في حالي النصر والفشل من أصعب الأمور التي يجب أن تتوفر في القائد الممتاز .

وربما تكون السيطرة على الأعصاب في حالة المزيمة أسهل من السيطرة عليها في حالة النصر ، فكم غير النصر من اخلاق القادة وجعلها تنقلب من حال الى حال .

ولكن نصر المسلمين يوم الفتح جعل الرسول يتواضع لله ، حتى رآه المسلمون يوم ذاك ورأسه قد انحنى على رحله ، وبدأ عليه التواضع الجهم ، حتى كادت لحيته تمس واسطة راحلته خشوعاً . وتوقفت في عينيه الدموع تواضعاً وشكراً لله .

ان قيمة هذا التواضع في موقف يعد أكبر نصر للمسلمين ، تتضاعف قيمته في النفس اذا قارناه بمواقف العظمة والجبروت التي ابداهما مختلف القادة في مختلف الظروف ، عندما حازوا على نصر أقل قيمة من فتح مكة بكثير .

إن تواضع الرسول درس عملي لكل قائد منتصر ، وما اصعب الظهور بهذا المظهر ساعة النصر !

٩ - العقيدة

رأيت كيف طوت أم حبيبة زوج الرسول فراش النبي عن والدها أبي سفيان ، وقد جاءها من سفر قاصد بعد غياب طويل ؛ ذلك لأنها رغبت عن مشرك نجس ولو كان هذا المشرك أباهما الغريب .

وعندما جاء أبو سفيان مع العباس عم النبي ليواجه الرسول ، رآه عمر بن الخطاب ، فترك خيمته واشتد نحو خيمة الرسول ، فلما وصلها قال : « يا رسول الله ، دعني أضرب عنقه » .

قال العباس : « يا رسول الله ، اني قد اجرته » فلما أكثر عمر قال العباس : « مهلاً يا عمر ، ما تصنع هذا إلا أنه من بني عبد مناف ، ولو كان من بني عدي

ما قلت هذه المقالة . قال عمر : « مهلاً يا عباس ، فوالله أسلامك يوم أسلمت كان أحب لي من إسلام الخطاب لو أسلم » .

هذا صحيح ، فقد كان عمر يمثل عقيدة المسلمين الأولين الراسخة : « هذا كذب للعبيس حديث عهد بالاسلام » .

وكيف تبرر إقدام المهاجرين على الاشتراك في غزوة الفتح ، تلك الغزوة التي لم يكن من المستبعد ان تصطرع فيها قوات المسلمين وقوات قريش قوم المهاجرين وأهلهم في بلدهم الحبيب .

ان عقيدة المسلمين لا تخضع للمصلحة الشخصية ، بل هي رهن المصلحة العامة وحدها .

١٠ - تحطيم الأصنام

تحطيم الأصنام في مكة يوم الفتح ، قضى على عقيدة الاشرار في أقوى معقل من معاقلها في البلاد العربية كلها .

ان تحطيم الأصنام ، وهي التي كان يعبدها المشركون ويقرّبون القرابين اليها دون ان تذود عن نفسها أو تصيب من حطّنها بأذى كما كان يعتقد المشركون بها تزع من نفوسهم آخر اعتقاد في قدسية هذه الأصنام وفائدتها .

١١ - القضايا الادارية

كان موقف اعاشة المسلمين في غزوة الفتح جيداً . فلم يشك منهم أحد من نقص الأرزاق قبل الفتح وبعده ، حتى عادوا الى المدينة .

كما كان موقف التقلية جيداً أيضاً ، فقد كان لدى جيش المسلمين عدد كبير من الإبل والحيل ، افادوا منها في تنقلهم للركوب وحمل أمتعتهم .

اما تسليعهم فكان ممتازاً ، ويكفي أن نسمع وصف الصكتية الخضراء التي كان فيها النبي ، فقد كان افرادها لا يرى منهم الا الحدق من كثرة الحديد .
لقد تأمّنت كافة القضايا الادارية للمسلمين في غزوة الفتح بشكل لم يسبق له مثيل في غزوات الرسول السابقة .

استثمار الفوز

« ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ،
ويوم حنين إذ أعجبكم كثرتكم فلم تغن
عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الأرض بما
رحبت ، ثم ولّيتهم مدبرين »

القرآن الكريم

غزوة حنين وحصار الطائف

الموقف العام

١ - المسلمون

كان لفتح مكة اكبر الأثر في توحيد الجزيرة العربية كلها تحت ظل الإسلام ، كما كان له أثر معنوي عميق على المسلمين والمشركون على حد سواء ، فأصبحت الجزيرة العربية قوة ذات عقيدة واحدة وهدف واحد ، ولم يبق على الشرك الا بعض القبائل كقبيلتي هوازن وثقيف ؛ ومن الواضح ان قضية اسلام هذه القبائل اصبحت قضية وقت ليس الا لانهايار اكبر حصن للشرك : مكة ، ولانهايار اكبر عدو للإسلام : قريش !

٢ - المشركون

سمعت هوازن وثقيف وبعض القبائل الأخرى بفتح مكة ، فقررت ان تقوم بغزو المسلمين قبل ان يقوم المسلمون بغزومهم ، وأخذت تتعشّد في منطقة الطائف .

ولكن انتشار الإسلام في تلك القبائل ، جعل الكثيرين من أفرادها وفغوذها يتخلّفون عن هذا التعشّد ، إذ تخلّفت كعب وكلاب أشجع هذه القبائل ، كما تخلّفت قبائل أخرى ، كما تخلّفت رجال من ذوي العقول .
كان التردّد ظاهراً على القبائل المتشكّكة ، وكان الاختلاف واضحاً بينها ، ولم تكن معنوياتها عالية .

قوات الطرفين

١ - المسلمون

إثنا عشر ألفاً بين راكب وراجل بقيادة الرسول : ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من المسلمين الذين حضروا الفتح .

٢ - المشركون

قبيلة هوازن عدا كعب وكلاب ومعظم قبيلة ثقيف بقيادة مالك بن عوف من هوازن .

أهداف الطرفين

١ - المسلمون

ضرب القبائل المحتشدة قبل ان يستفعل أمرها وتهتد مكة نفسها بالسقوط في أيديها .

٢ - المشركون

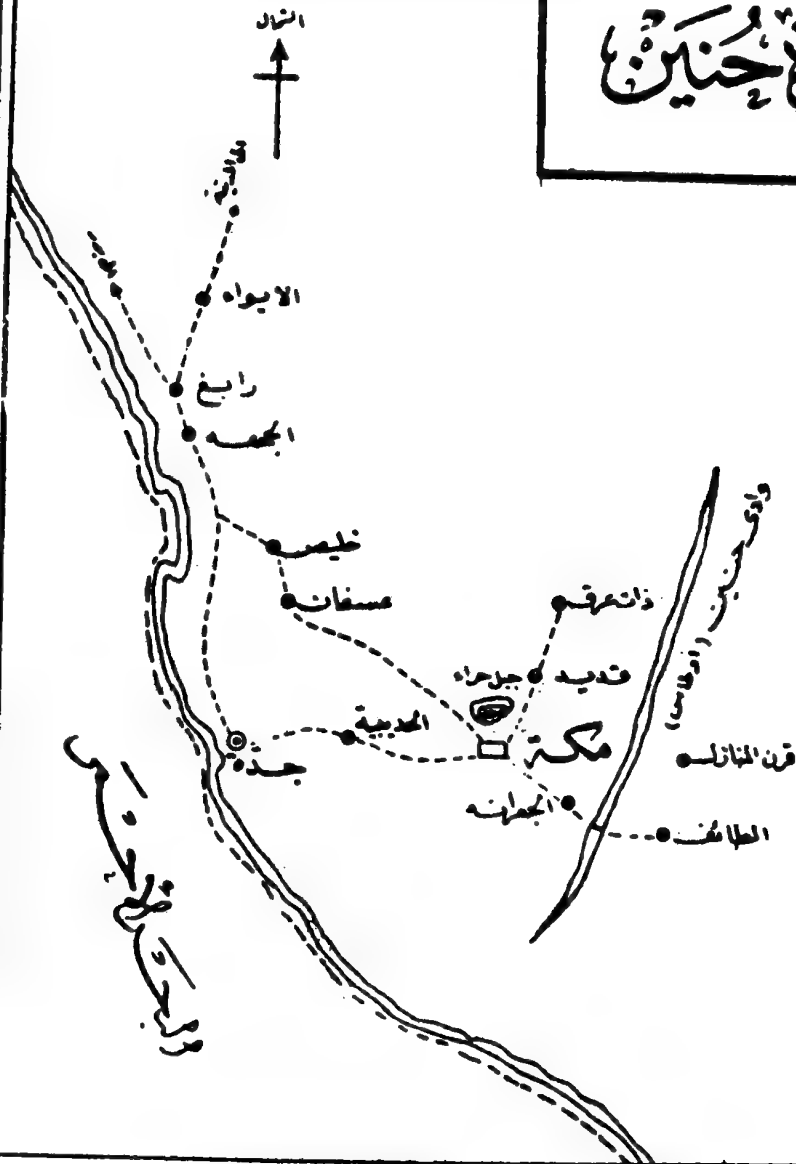
القضاء على قوات المسلمين وأخذ المبادأة منهم .

قبل المعركة

سمع الرسول بأخبار تحشد هوازن وثقيف لمهاجمة المسلمين ، فأرسل عبد الله الأسلمي وأمره أن يذهب الى منطقة تحشد المشركين للتأكد من صحة تلك الأخبار .

وعاد عبدالله الأسلمي من واجبه ليخبر المسلمين بأن قبائل هوازن وثقيف قد أنجزت تحشدتها في منطقة وادي أوطاس وأنها تنوي مهاجمة المسلمين . قرر

غزوة حنين



ميل

١٠٨٨

والرسول مهاجمة هذه القبائل ليحتفظ بالمبادأة بيد المسلمين ، وبدأ بانجاز الاستعدادات الضرورية للحركة .

وبلغ الرسول أن عند صفوان بن أمية دروعاً وسلاحاً فاستعارها من صفوان ليكمل بها تسليح قواته ، وكان عددها مائة درع مع أسلحتها ؛ ولما أنجز المسلمون استعداداتهم تحرّكوا باتجاه حنين ، وكانت المقدمة مؤلفة من سليم بقيادة خالد ابن الوليد وأمامها القطعات الراكبة من الفرسان ، وكان القسم الأكبر مؤلفاً من القبائل الأخرى ، وأمام كل قبيلة رايتها ، وكانت الكتيبة الخضراء المؤلفة من المهاجرين والأنصار في مؤخرة القسم الأكبر ومعها الرسول .
وصل جيش المسلمين فجراً إلى وادي حنين ، ذلك الجيش الذي قال المسلمون عنه : لن تغلب اليوم من قلة .

٢ - المشركون

تحدّثت هوازن وثقيف في وادي حنين ومعهم نساؤهم وأطفالهم وأموالهم ، وقد أراد مالك بن عوف قائدهم أن تكون الدراري والأموال مع المقاتلين ، حتى يشعر كل رجل منهم وهو يقاتل أن حرمة وثروته ورامه فلا يفرّ عنها .

وقد اعترض دريد بن الصمة وهو فارس مجرب قائلاً للمالك : « هل يردّ المنهزم شيء ؟ ان كانت الدائرة لك لم ينفعك إلا رجل يرمحه سيفه ، وإن كانت عليك فُضِحت في أهلك ومالك » . فكان جواب مالك : « والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر علمك ، والله لتطيعني يا معشر هوازن أو لا تكثن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري » ...

اضطرت هوازن إلى الأخذ برأي مالك ، وكان شاباً في الثلاثين من عمره قوي الإرادة ماضي الغزوة شجاعاً ، ولكنه سقيم الرأي متهور سيئ المشورة .
كانت خطة مالك تلخص باحتلال قمم وادي حنين ومضيق الوادي ، فإذا دخلت قوات المسلمين في الوادي ، باغتهم المشركون بالرمي عليهم بالنبال من كل جانب لتحطيم صفوفهم ثم القيام بالهجوم لإجبارهم على الانسحاب .

واكمل المشركون احتلال دضاب الوادي ومضايقه قبل دخول المسلمين اليه ،
وكنوا في مواضعهم المستورة انتظاراً لجيش المسلمين .

القتال

١ - هجوم المشركين

دخلت قوات المسلمين وادي حنين فجراً ، وكان وادياً أجوف منحدرأ ينحط فيه الركبان كلها أوغلوا ، كأنهم يسرون إلى هاوية ، فلما استقرت اكثر قوات المسلمين في الوادي ، رماهم المشركون بوابل من سهامهم ، فلم يعرف المسلمون مصدر ذلك الرمي ، لأن الظلام كان سائداً وقتذاك ، ولأن مواضع المشركين كانت مخفية تماماً ، فانسحبت مقدمة المسلمين وجرفت امامها قوات المسلمين الأخرى « فانقلب انسحاب المسلمين إلى هزيمة . ورأى أبو سفيان مزيمة المسلمين فقال : « لا تنتهي هزيمتهم دون البحر » ، وقال آخرون بمن أسلموا حديثاً مثل قوله ، بل ان شبة بن عثمان بن طلعة الذي قتل أبوه في غزوة أحد ، حاول اغتيال الرسول في هذا الموقف العصيب ، ليدرك ثأر أبيه من محمد . وترك المشركون مواضعهم للقيام بالمطاردة بعد انسحاب المسلمين ، وكان يتقدم هوازن رجل على جمل له احمر ، بيده راية سوداء في رأس رمع طويل ، وهو كلما ادرك المسلمين طعن برمحهم ، وهوازن وثيف منحدرين وراءه يطعنون . وانتشر الفرع بين المسلمين ، وازدحمت المسالك بالسابلة ، وارتبكت الصفوف واختلطت القبائل ببعضها ، وركبت الإبل بعضها بعضاً وهي مولية بأصحابها ، وتعمقت الأمور ...

٢ - هجوم المسلمين المقابل

ثبت الرسول في مكانه ، وثبت معه شجرة من أهل بيته ومن المهاجرين ، بينهم عنه العباس ، وأخذ الرسول ينادي الناس إذ يرون به منهزمين : « أين أيها الناس ؟ أين ... هلموا إلي . أنا رسول الله . أنا محمد بن عبد الله . فلا يردّ عليه أحد ! !

عند ذاك أمر الرسول صه العباس - وكان جهر الصوت - أن ينادي : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب البيعة يوم الحديبية ...

وكرر العباس النداء ، حتى تجاوزت اصداؤه في جنبات الوادي . وسمع النداء المهاجرون والأنصار . فأخذوا يكافحون ليلفوا مصدر الصوت ، فرمى أكثرهم درعه وترك بعيده واستصعب معه سيفه وتوسه فقط ، ليلبغ مصدر الصوت بسرعة .

اجتمع حول الرسول نحو مائة مسلم وهم يصيحون : لييك ، فاستقبل الرسول بهم المشركين ، وحمدوا في مواضعهم حتى فتر هجوم المشركين ، وكان النهار قد طلع والمشركون قد تركوا مواضعهم ، فلا يحتاج المسلمون إلا الى الصمود لإيقاع بعض الخسائر بالمشركين ، لكي تنزعزع مغنوياتهم وينسحبوا من الميدان . ولولا صمود هذا العدد القليل من المسلمين ومشاغلهم المشركين ، لكانت خسائر المسلمين في تلك المعركة كبيرة جداً .

وأخذ عدة المسلمين الصامدين يتزايد ، وهناك بدأوا الهجوم المقابل على المشركين ؛ وعندما رأت هوازن وثقيف أن المقاومة لا تجددهم نفعا ، وأنهم لا يستطيعون صد هجوم المسلمين ، انسحبوا من ميدان المعركة تاركين وراءهم نساءهم وأبنائهم وأموالهم غنية للمسلمين . ولم يكن للمشركين ساقية لحياة الانسحاب ، فانقلب انسحابهم الى هزيمة .

٣ - المطاردة

انسحبت أكثر ثقيف باتجاه الطائف ، وكان معهم مالك بن عوف ، وانسحبت هوازن والقبائل الاخرى باتجاه أوطاس ونخلة .

وقام المسلمون بالمطاردة ، وأعلن النبي ان من قتل مشركاً فله سلبه ، ووصلت مطاردة المسلمين الى أوطاس ، فأوقعوا بهوازن هناك خسائر فادحة بالارواح ، كما وصلوا الى نخلة فأوقعوا بالمنسحبين الى هناك خسائر فادحة أيضاً ، كما استسلم كثير من المشركين اسرى ، وعاد حديثو العهد بالإسلام من هزيمتهم ليروا الكثيرين من المشركين أسرى مصفدين بالأغلال .

حصار الطائف

وصل بعض المسلمين بمطاردتهم الى الطائف ، التي التبعها المنهزمون من المشركين اليها ، وكانت مدينة محصنة ذات أسوار وحصون قوية ولها ابواب تعلق عليها .

وتجمعت اوتال المسلمين التي طاردت المنسحبين الى اوطاس ونخلة - بعد انجاز واجباتها - برتل المسلمين الذي طارد ثقيفاً باتجاه الطائف ، لإجبار ثقيف على الاستسلام .

إلا ان ثقيفاً سددت نبالها على المسلمين الذين كانوا قريبين من الحصون ، فأوقعوا فيهم بعض الخسائر ، فقرر الرسول الانسحاب بعيداً عن مرمى النبل ، واستقر المسلمون هناك وفكر المسلمون في وسيلة يستطيعون بها اجبار الطائف على الاستسلام ، فأشار سلمان الفارسي بقذف حصونها بالمنجنيق وبمهاجمة تلك الحصون بالدبابات ...

رمى المسلمون الطائف بالمنجنيق وتقرب بعضهم بمهاجمة الدبابات الى سور الطائف ليخرقوه ، ولكن أهل الطائف استطاعوا احباط هذا الهجوم ، إذاحموا قطعاً من الحديد بالنار ، حتى اذا انصهرت القواها على الدبابات الحشوية فحرقتها ، فانسحب المسلمون المتمدون بها من تحتها لئلا يحترقوا ، فرمتهم ثقيف بالنبل بعد انكشافهم من حماية الدبابات .

اعلن الرسول انه سيعتق كل عبد يأتيه من الطائف ، ففر اليه حوالي عشرين من اهلها ، فعرف منهم ان المواد الغذائية كثيرة جداً لدى ثقيف ، لذلك أثار ان يرفع الحصار بعد ان استمر حوالي شهر واحد ، تاركاً امر استسلام ثقيف الى الزمن ، خاصة وان الكثيرين من رجالها اعتنقوا الاسلام ...

خسائر الطرفين

١ - المسلمون

كانت خسائرهم كبيرة جداً بالارواح عند انهزامهم .

٢ - المشركون

كانت خسائر المشركين بالارواح كبيرة جداً ، امـ اخسائرهم بالاموال فكانت :

- اربعة وعشرين الف بعير .
- اربعين الف شاة .
- اربعة آلاف اوقية من الفضة .
- سنة آلاف نسة من السبي .

أسباب ترك الحصار

يمكن اجمال اسباب ترك المسلمين حصار الطائف بما يلي :

١ - قوة حصون الطائف وشجاعة بني ثقيف وتكديس المواد الغذائية فيها كل ذلك جعل استسلامها للمسلمين صعباً يحتاج الى مدة طويلة .

٢ - أصبحت الفترة بين ترك المسلمين المدينة في رمضان حتى حصار الطائف والبقاء هناك حوالي شهر واحد ، أصبحت الفترة حوالي شهرين تقريباً ، وهذه المدة ليست قليلة بالنسبة للمسلمين الذين دخلوا الاسلام حديثاً ، مما جعل بعضهم يرغب في سرعة الرجوع ، كما ان الوقت ثمين بالنسبة للرسول لتوطيد دعائهم الاسلام .

٣ - قرب حلول الشهر الحرام (ذي القعدة) .

٤ - انتشار الاسلام في ثقيف مما جعل دخول ثقيف كلها في الاسلام أكيداً لا يحتاج إلا الى الوقت .

وقد تنظمت مقاومة المسلمين ضد ثقيف بعد اسلام مالك بن عوف ، حيث استعمله الرسول على من أسلم من قومه ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه ، حتى ضيق عليهم الخناق ، فالتجأوا الى الرسول وأسلموا ...

الغنائم

١ - التكدسي

بعد انتهاء معركة حنين ، كدّس الرسول كافة الغنائم في موضع الجعرانة ، حتى يتفرغ للمطاردة وحصار الطائف ، ثم يعود بعد ذلك الى توزيعها .

٢ - التوزيع

بقيت الغنائم غير موزعة مدة طويلة ، لأن الرسول كان ينتظر قدوم وفد من هوازن اليه فالبين ، ولكنه اضطر الى تقسيم الغنائم بعد ان بلغ انتظاره لهوازن حرا الى شهر واحد ، دون أن يحضر اليه أحد ، خاصة وأن الاعراب وحديثي الاسلام أخذوا يلحقون على الرسول طالبي تقسيم الغنائم .

وشرع بتقسيم الغنائم ، وبدأ بالمؤلفة قلوبهم ، فأعطاهم أوفى العطاء وأجزله أخذ أبو سفيان مائة من الإبل وأربعين أوقية من الفضة ، فقال : وابن معاوية ؟ فمنع مثلها لمعاوية . فقال : وابن يزيد ؟ فمنع مثلها لابنه يزيد . وأقبل رؤساء القبائل وأصحاب الطمع يتسابقون الى ما يمكن أخذه ، وشاع أن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، وأوجس الناس خيفة إن أفضى محمد هذه الأعطيات لمن يفدون عليه أن تنقص حصتهم من الغنائم ، فآلحوا في أن يأخذ كل فيه ، وأكب عليه الأعراب يقولون : يا رسول الله ، لا قسم علينا فيثنا ، فقام الرسول إلى جنب بعير . فأخذ من سنامه وبرة ، فجعلها بين أصبعيه ، ثم رفعها ، فقال : دأبها الناس . مالي من فيثكم ولا هذه الوبرة . إلا الخمس والخمس مردود عليكم .

وقد كان نصيب المؤلفة قلوبهم من هذه الغنائم أوفى نصيب ، أما المسلمون الأولون من المهاجرين والانصار ، فقد كان نصيبهم لا يذكر ...

٣ - إعادة السبي

بعد توزيع الغنائم أقبل وفد هوازن مسلماً ، وسألوا رسول الله أن يرده

عليهم سبيهم وأموالهم ، فخيرهم الرسول بين أبنائهم ونسائهم وبين أموالهم ، فاختاروا أبناءهم ونسائهم ، فقال الرسول : « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وإذا ما صليت الظهر بالناس ، فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله **ﷺ** ، فمأعطيكم هند ذلك وأسأل لكم » ، نفذت ذلك هوازن ؛ **فأبجهم الرسول** : « **لما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم** » ، قال المهاجرون : وما كان لنا **لرسول الله** ، وكذلك قال الأنصار .

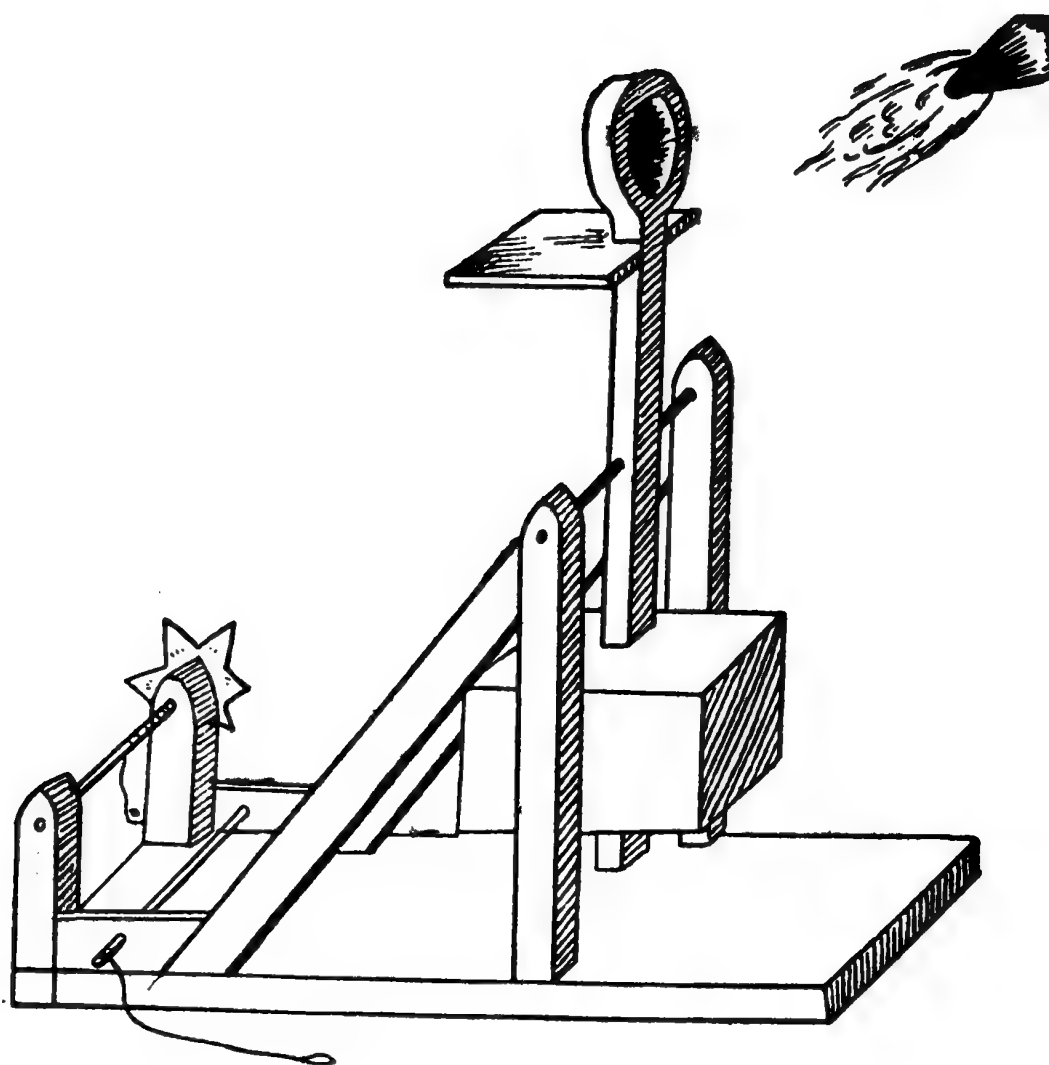
ولكن الأقرع بن أبي حابس عن تميم وعيينة بن حصن عن فزاره ، فقد رفضا ، كما رفض عباس بن مرداس ، هنالك قال النبي : « أما من تمسك منكم بحقه من السبي فله بكل انسان ستة فرائض من أول سبي أصيبه » . وهكذا رد المسلمون كافة السبايا الى هوازن .

دروس من حنين والطائف

١ - المباغة

أ - استخدم الرسول في حصار الطائف المنجنيق والدبابة ، وبذلك استفاد من سلاح جديد في القتال . فما هو المنجنيق ، وما هي الدبابة ؟ يتألف المنجنيق بصورة عامة من عامود طويل قوي موضوع على عربة ذات عجلتين في رأسها حلقة أو بكرة ، يمر بها حبل متين ، في طرفه الاعلى شبكة في هيئة كيس . توضع حجارة او مواد محترقة في الشبكة ، ثم تحرك بواسطة العامود والحبل (راجع شكل المنجنيق) ، فيندفع ما وضع في الشبكة من القذائف ويسقط على الاسوار ، فيقتل أو يحرق ما يسقط عليه . أما الدبابة ، فعباره عن آلة من الحشب الثخين المغلف بالجلود او اللبود ، ترتكب على عجلات مستديرة ، فهي عبارة عن قلعة متحركة يستطيع المشاة الاحتماء بها من نبال الأعداء .

هذان السلاحان الجديدان باغت بهما الرسول أعداءه في الطائف ، ولكن



منجنيق لرمي النفط

اهل الطائف استطاعوا ان يجرموا المسلمين من هذين السلاحين ، وذلك بأسلوب قذف الحديد المصهور على خشب الدبابات ، فاحتوت تلك الأخشاب واضطر المحتمون بها الى الفرار ، فأصبغوا بعد انكشافهم هدفاً مناسباً لرميهم بالسهم ، وبذلك أحبطت ثقيف محاولة المسلمين للإفادة من استعمال المنجنيق والدبابة استعمالاً مفيداً حاسماً .

ب - ان اسلوب احتلال ثقيف وهوازن لوادي حنين بشكل مخفي مستفيدين من الاراضي المستورة ، أدى الى مباغتتهم للمسلمين مباغتة كاملة .
ولولا صمود الرسول مع بعض أصحابه ، لاستطاع المشركون استثمار هذه المباغتة الممتازة الى أقصى الحدود .

٢ - القيادة

أي كارثة كانت تحل بالمسلمين بعد هزيمتهم في اول معركة حنين ، لو لم يكن الرسول قائدهم وقت ذاك ؟

لقد كان موقف المسلمين في هزيمتهم عصيباً للغاية : باغتتهم العدو من مواضع مستورة في عمية الفجر ، وانهالت عليهم النبال من كل جانب ، فلما ارتدوا على ادبارهم طاردهم العدو في ميدان ضيق لا يتسع للتبثر الذي يقلل من الخسائر

في مثل هذا الموقف العصيب ، ثبت الرسول مع عشرة من أصحابه - عشرة فقط ، واستطاع ان يجمع مائة من المسلمين ، ثم يحمي بهم انهزام المسلمين من مطاردة المشركين ، ثم يقوم بالهجوم المقابل بعد فتور زخم هجوم المشركين ، فلم يعد المنهزمون إلا بعد فرار المشركين ، فوجدوا اسرى المشركين بالاغلال .

لم يكن موقف المسلمين حين انهزامهم سهلاً ، خاصة وان حديثي الاسلام كانوا اول المنهزمين ، بل المشجعين على الانهزام .

ولم يكن الرسول ينافع المشركين في موقفه هذا وحسب ، بل كان يكافح كثيراً من أعدائه المتظاهرين بالاسلام ، وقد رأيت كيف حاول أحدهم اغتياله في عنقوان هذا الموقف العصيب .

ان نتيجة معركة حنين ، مثال رائع لاثر القائد الشخصي ، بل نستطيع أن نقول : ان نتيجة معركة حنين قد كسبها الرسول وحده .

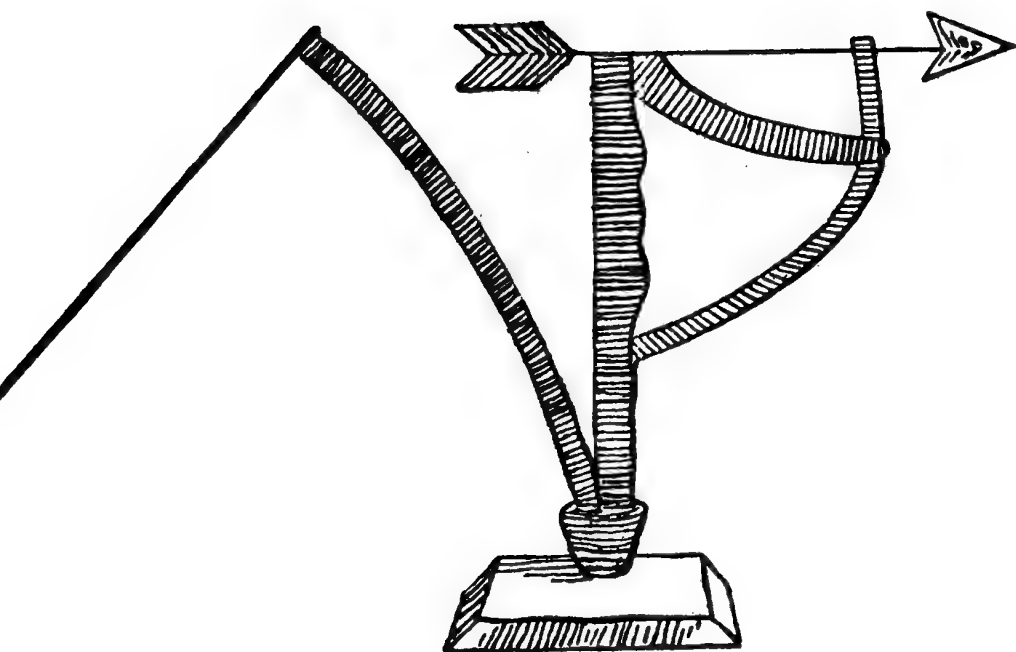
اما قائد المشركين ، فعلى الرغم من شجاعته التي بلغت حد التهور ، الا أنه لم يكن قائداً بالامنى الصحيح ، فلم يكن لاستصحاب الاموال والذراري مع المقاتلين اي معنى ، ولم يفكر بخطة غير خطة احتلال وادي حنين ، اما بعد ذلك فقد ارتبك كل شيء في صفوف المشركين ، لانه لم يكن لديهم اية خطة للدفاع او الانسحاب ، حتى ان قائد المشركين لم يستطع تأمين ساقة لقواته تحمي انسحابها بما اوقع بقواته خسائر فادحة بالارواح .

٣ - المطاردة

آ - قام المشركون بمطـ... ااردة المسلمين بعد انهزامهم في الصفحة الاولى من غزوة حنين ، ولكن الصامدين من المسلمين وعلى رأسهم النبي ، استطاعوا تحديده زخم مطاردة المشركين كما استطاعوا حماية انسحاب المسلمين بدون تدخل المشركين فيه ، فكان اول واجب الذين ثبتوا من المسلمين هو قيامهم بواجب الساقة لحماية الانسحاب ، وقد نجحت تلك الساقة نجاحاً ممتازاً ، اذ لولاها لكانت خسائر المسلمين كثيرة جداً خاصة وان انسحابهم يجري في منطقة ضيقة لا تساعد على التبعثر الذي يقلل من الخسائر .

ب - لم يؤمن المشركون ساقة لحماية قواتهم عندما نجحت بعض قوات المسلمين وقامت عليهم بالهجوم المقابل الذي انهزم على اثره المشركون ، لذلك استطاع المسلمون ايقاع الخسائر الفادحة بالمشركين ، كما استطاعوا جعل انسحابهم ينقلب الى هزيمة .

ج - وقد قام المسلمون بمطاردة مثالية استطاعوا بها القضاء على المشركين المنهزمين الى اوطاس ونخلة ، بينما حمت اسوار وحصون الطائف وقتل المشركين الثالث الذي اتجه الى الطائف ، وعند ذاك بدأ حصار الطائف بعد تجمع أرتال المسلمين هناك ...



منجنيق لرمي السهام الثقيلة

٤ - المعلومات

٢- أرسل المسلمون قبل حركتهم من مكة باتجاه حنين أحد رجالهم ليعرف حقيقة تحشد هوازن وثقيف ومواقع تحشدتها وقوتها ونواياها ، فعاد الرجل بالمعلومات السكاملة .

كما أرسل المشركون دوريات استطلاع لمعرفة اتجاه حركة المسلمين والمواقع التي وصلوها وقوتهم ، وقد كانت فائدة هذه الدوريات للمشركين كبيرة جداً ، لأنهم أنجزوا احتلال وادي حنين بشكل ممتاز قبل وصول المسلمين إليهم ، وباغتوا أرتال المسلمين حين دخولهم فيه ، ولولا دوريات استطلاعهم لما استطاعوا معرفة المواقع التي وصلها المسلمون ، فبنوا خطتهم بالنسبة للمعلومات الصحيحة لكي يباغتوا المسلمين . لقد كان عمل دوريات استطلاع المشركين ممتازاً .

ب - إن واجب المقدمة المهم هو حماية القسم الأكبر والحصول على المعلومات عن العدو حتى لا تباغت قوات القسم الأكبر .

ولم تنجز مقدمة المسلمين هذا الواجب ابداً ، فهي لم تستطع معرفة مواقع المشركين التي احتلوها في وادي حنين ، واندفعت المقدمة الى الأمام بسرعة على غير هدى وبصيرة ، واندفعت قوات المسلمين وراء تلك المقدمة لاعتقادها أن اندفاعها هذا أمين وغير خطير . اذ لو كان هناك خطر لما اندفعت المقدمة أو لاستطاعت القضاء عليه .

ان من أهم اسباب هزيمة المسلمين في الصفحة الاولى من معركة حنين ، هو عدم قيام مقدمتهم بواجبها ، فلم تحصل على المعلومات عن مواقع العدو ، ولم تمنع مباغتة العدو للقسم الأكبر .

وبذلك فشلت مقدمة المسلمين يوم حنين في واجبها فشلاً ذريعاً ، على الرغم من أنها كانت بقيادة خالد بن الوليد .

٥ - المعنويات

٢- كانت معنويات المشركين ضعيفة من أول يوم بدأوا فيه بالتحشد ،

فقد تخلّفت أقوى وأشجع قبائلهم ، كما تخلّفت أكثر رجالهم الممتازين بالعقول والاحلام . وقد اضطر مالك بن عوف قائد المشركين أن يستصعب النساء والاطفال والاموال مع المقاتلين حتى لا يفرّ أحد من القتال ، بل يكافح دفاعاً عن عرضه وأمواله إذا لم يدافع عن غرض آخر .

وظهر التردد في نفوس القبائل المحتشدة للقتال ، فاضطر مالك أن يهدّد قواته بأن ينفذوا أوامره ويطيعوه أو يلجأ الى الانتحار .

ب - أما معنويات المسلمين فقد كانت عالية الى درجة الغرور ، حتى قالوا يوم حركتهم الى حنين : لن تغلب اليوم من قلّة ، لكنهم غلبوا من كثرة مغرورة في الصفحة الاولى من يوم حنين ، ولولا ثبات الرسول لقضي على معظم المسلمين يوم ذاك إن لم يقض عليهم جميعاً .

٦ - العقيدة

آ - العقيدة القويّة لها أكبر الاثر في النصر ، فهي توحد شعور الناس وتجعلهم يتعاطفون ويقاتلون لهدف معيّن معروف ، وقد انتصر المسلمون بعقيدتهم في كل معركة خاضوها ، تلك العقيدة التي جعلتهم يبذلون ارواحهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله ...

بعد فتح مكة أسلم كثير من رجال قريش ، فلما تحرك جيش المسلمين باتجاه حنين ، رافقه حوالي الفين من هؤلاء المسلمين الحديثي الايمان الذين لم يعرفوا من الاسلام الا اسمه ، اذ لم يمض على اسلامهم وقت كاف لتفهّم تعاليم الاسلام .

رأى حديثو الاسلام في طريقهم مع جيش المسلمين نحو حنين شجرة عظيمة خضراء ، فتنادوا من جنبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط .

و ذات أنواط شجرة ضخمة يأتونها في الجاهلية كل سنة للتبرّك بها فيعلّقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً ، ولم يفقه هؤلاء أن جهاد الرسول كلمة لغرض واحد : هو القضاء على الشرك وإعلاء كلمة التوحيد .

بل كان بعض هؤلاء يحملون أزياءهم معهم كما فعل أبو سفيان .

لذلك فقد سرّتهم انهزام المسلمين ، بل أظهروا شجاعتهم وشجعوا عليه .

ب - إن أسباب هزيمة المسلمين في الصفحة الاولى من يوم حنين ، هو وجود هؤلاء المسلمين من قريش الذين لم تطمئن قلوبهم للإسلام بعد ، فانهزموا أول المنهزمين وأشاعوا الذعر في النفوس وأثروا على المعنويات .

وليس هناك في الحرب أصعب من السيطرة على الانسحاب ، فعندما تنسحب قطعة من القطعات وتراها القوات الاخرى ، فان القوات كلها تنسحب معقبة تلك القطعة المنسحبة بدون تفكير ولا شعور . هذا ما حصل أول يوم حنين .

ج - إن انتصار المسلمين لم يكن لكثرتهم في أي معركة خاضوها ، بل كان انتصارهم لعقيدتهم الراسخة ، واكبر درس يمكننا استنتاجه من معركة حنين ، هو فشل المسلمين على كثرتهم في مستهل المعركة لوجود بعض ذوي العقائد الواهنة بين صفوفهم ، بالاضافة الى الاسباب الاخرى اما انتصار المسلمين في حنين بعد ذلك فكان بثبات ذوي العقائد الراسخة وقيامهم بالمهجوم المقابل ، فانتصروا على الرغم من قتلهم ، فقد كانوا مائة رجل كما ذكرت بعض المصادر ولا يتجاوزون المئات كما نصت عليه بعض المصادر الاخرى ..

ان معارك المسلمين مع المشركين كانت معارك عقائد لا معارك عدد وتسليح .

د - ولم يكن المشركين أي عقيدة واضحة يضعون في سبيلها بأرواحهم عن طيبة خاطر ، فاضطروا الى استصعاب أهلهم وأموالهم معهم ، حتى يدافعوا عنها عندما يعجزهم الدفاع عن شيء آخر .

لقد رأيت ثبات الرسول في أخطر موقف عصيب ، ولكن مالك بن عوف قائد المشركين أثر الفرار مع اول المنهزمين . وقصد الطائف وبقي محصوراً هناك ، فلما جاء وفد هوازن الى النبي ، سأله عن مالك ، فلما علم أنه ما زال في

الطائف مع ثقيف طلب اليهم أن يبلغوه : أنه إن اتاه مسلماً ردّ عليه ماله وأهله واعطاء مائة من الإبل .

حينذاك لم يتردد مالك حين علم بهذا الوعد ، أن أسرج فرسه في سر من ثقيف وفر به الى الرسول فأعلن إسلامه وأخذ ماله وأهله ومائة من الإبل . ١٠١

٧ - حوب الغروسية

مرّ الرسول في طريقه بامرأة قتيل ، فقال من قتلها ؟ قالوا : قتلها خالد بن الوليد . فقال لبعض من معه : أدرك خالداً فقل له ، إن رسول الله ينهاك أن تقتل امرأة او وليداً غريباً (العسيف هو الأجير) . لم يكن قتل المرأة الشراكة عمداً ، بل كان خطأ في اثناء انهماك المشركين وقيام المسلمين بمطاردتهم ، وفي مثل هذا الموقف تقع كثير من الاخطاء العسكرية ، لان الحالة النفسية للمنهزمين وللقائمين بالمطاردة تكون غير طبيعية ، لذلك حدث مثل هذا الخطأ ، في قتل امرأة واحدة ، ومع ذلك فقد أراد الرسول ان يؤكد اوامره السابقة في اجتناب قتل الضعفاء .

إن حرب المسلمين حرب فروسية ، تطلب النصر بوسائل شريفة ، وتعف عن الظلم والعدوان .

٨ - القضايا الادارية

أ - توزيع الغنائم

أولاً - سيطر العامل النفسي بالدرجة الاولى على توزيع الغنائم ، فقد اراد الرسول ان يستميل قلوب رجال قريش الذين اسلموا حديثاً ولما يدخل الايمان في قلوبهم ، كما اراد ان يستميل زعماء القبائل الاخرى ، لان كثيراً من الناس يقادون الى الحق من بطونهم لا من عقولهم .

وقد أغدق الرسول العطاء على هؤلاء ، حتى أصبح محمد أحب الناس اليهم واصبح الاسلام دينهم الوحيد . اما المسلمون الاولون ، فقد رأى الرسول ان

يحرّمهم من الغنائم ، لان إيمانهم أقوى من أن تؤثر عليه الماديات ؟ فلما عتب عليه بعض المسلمين الاولين اجابهم : إني اعطي قوماً اخافهم هلهم وجزعهم ، وأكل قوماً الى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى ، منهم عمرو بن ثعلب . قال عمر : ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان الانصار ممن وقعت عليهم مغارم هذه السياسة ، فقد حرموا جميعاً اعطيات حنين ، فلم يبنحوا شيئاً منها قط فقال قائلهم : لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمضى سعد بن عباد الى الرسول فقال : يا رسول الله ان هذا الحبي من الانصار وجدوا عليك في انفسهم !

قال الرسول : فيم ؟ قال سعد : فيما كان من قسمة هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ، ولم يكن فيهم من ذلك شيء .

قال الرسول : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ ... قال : ما انا الا امرؤ من قومي .

قال الرسول : اجمع لي قومك في هذه الحظيرة (١) ، فاذا اجتمعوا فأعلمني . فخرج سعد ، فجمعهم حتى اذا لم يبق من الانصار احد الا اجتمع له ، قال : يا رسول الله . اجتمع لك هذا الحبي من الانصار حيث امرتني ان اجمعهم .

وقف الرسول فيهم خطيباً : يا معشر الانصار ، ألم آتاكم ضلّالاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، فألف الله بين قلوبكم ؟

قالوا : بلى !

قال الرسول : ألا تحبون يا معشر الانصار ! قالوا وما نقول يا رسول الله ، وماذا نبشرك ؟؟ ألمن الله ورسوله .

قال الرسول : والله لو شئتم لقلتم وصدقتم : جئنا طريداً فأويناك ،

(١) الحظيرة : هي في الأصل مكان يتخذ للابل والغنم ينمها الانفلات وينمها هجات الصوس والوحوش .

وعائلًا فآسيناك (١) ، وخائفًا فآمناك ، ومخذولًا فنصرناك ١ ، أوجدتم في نفوسكم يامعشر الأنصار في لعاعة (٢) من الدنيا تألفتُ بها قومًا أسلموا ، ووكلتكم الى ما قسم الله لكم من الاسلام ؟ افلا ترضون يامعشر الأنصار ان يذهب الناس الى رحالهم بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله الى رحالكم ، فوالذي نفسي بيده ، او ان الناس سلكوا شعباً (٣) وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار .

بكى القوم حتى بللوا لحام بالدموع ، وقالوا رضينا الله رباً ، وبرسوله قسماً .

لقد حرصت على ان انقل هذا الحديث كله ، كي ابرز بوضوح الحكمة التي ارادها الرسول من توزيع اكثر الغنائم على المؤلفة قلوبهم ، ولكي يظهر الاسلوب الرائع الذي كان يعالج به الرسول بعض المشاكل التي تعترضه ، وكيف يستطيع بهذه المعالجة الحكيمة التغلّص من تلك المشاكل بأسلوب مقنع حكيم .

لقد كان كلامه خارجاً عن القلب ، لذلك فهو يؤثر في القلب .

ثانياً - وفي اسلوب جمع الغنائم من الناس والسيطرة عليها ووضعها في محل واحد مثال قسيم للسيطرة على الغنائم العسكرية وعدم إفساح المجال لتبعثرها في الايدي دون مبرر .

جمعت الغنائم في موضع (الجعرانه) بين الطائف ومكة بعيداً عن المواضع الخطرة ، وتأمّنت حراستها ، وسلم المسلمون كل غنيمة اصابوها الى المسؤول عن جميع الغنائم ، حتى الإبرة والحيط .

(١) آسيناك : اعطيناك حتى جعلناك كأحدنا .

(٢) لعاعة : بقلة حراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا ولينها .

(٣) شعب : بكسر فسكون ، الطريق بين جبين .

جاء رجل من الانصار بكبة من خيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ، اخذت هذه الكبة اعمل بها برذعة بعير لي دبر . فقال الرسول : اما نصيب منها فلك . فأعادها الانصاري الى مثابة الغنائم . بل اعاد عقيل بن ابي طالب ابرة كانت معه الى مثابة غنائم المسلمين .

ان السيطرة على جمع الغنائم ضرورية جداً . وقد نصت التعاليم العسكرية الحديثة على ضرورة السيطرة على جمع الغنائم لئلا تذهب بدءاً بين الاجناد ، ولكن لم تصل الدقة بتاتاً في اي وقت الى ما وصلت اليه الدقة والامانة التي وصل اليها المسلمون في جمع غنائمهم .

ب - الخسائر

كانت خسائر المسلمين في الارواح كبيرة جداً عند انهزامهم في الصفحة الاولى من معركة حنين ، ولولا ثبات الرسول مع عشرة من اصحابه ، لكانت خسائر المسلمين في الارواح اضعافاً مضاعفة لخسائرهم يومذاك .

وكانت خسائر المشركين بعد هزيمتهم كبيرة جداً ، في الارواح والاموال ، خاصة وانهم لم يؤمنوا ساقا لحماية هزيمتهم .

والدرس المهم من هذا الموقف هو تأمين ساقا قوية للقطعات المنسحبة لحماية الانسحاب ، والا فسينقلب الانسحاب حتماً الى هزيمة ، وما أعظم كارثة الانسحاب الذي ينقلب الى هزيمة .

ج - الاعاشة

كانت تدابير الاعاشة عند المسلمين جيدة ، كما كانت تدابير اعاشة المشركين جيدة ايضاً ، خاصة في حصار الطائف ، فقد كدست ثقيف مواد الاعاشة داخل الطائف ، بحيث تكفيها لحصار طويل ، لذلك كان من عوامل عودة المسلمين قبل استسلام الطائف ، هو اعتقادهم بأن ثقيفاً لن تستسلم لنقص ارزاقها .

د - النقلة

كانت النقلة متيسرة بكميات كافية لدى المسلمين والمشركون على حد سواء وبكفي ان تطلع على عدد القنائم من الابل التي خلفها المشركون وراؤهم لتعرف مقدار النقلة المتيسرة عند المشركون حينذاك .

هـ - التسليح

كان تسليح المسلمين ممتازاً بالدروع والاسلحة الاخرى ، وبرز لنا في هذه الغزوة سلاحان جديداً استخدمهما المسلمون هما : المنجنيق والدبابة . كما برز لنا اسلوب جديد في مكافحة الدبابة استخدمه المشركون ، هو حرق الدبابة بالحديد المنصهر .

مولد إمبراطوريّة

« انّ العزة لله ولرسوله
والمؤمنين » .

القرآن الكريم

غزوة تبوك

الموقف العام

١ - المسلمون

سيطر الاسلام بعد فتح مكة وإخضاع هوازن على جزيرة العرب كلها حتى حدود الشام والعراق ، وأصبح المسلمون مسؤولين عن إدارة هذه البلاد وتنظيم حياتها العسكرية والاجتماعية ، ولم تبق في البلاد العربية كلها قوة تعبرؤ على مناهضة المسلمين وإعلانهم بالعداء ؛ ولكن الاسلام ليس دين العرب وحدهم ، بل هو للناس كافة ، فلا بد من تأمين حرية نشر تعاليمه بين العرب وغيرهم .

وإذا كان الاسلام قد انتشر في شبه الجزيرة العربية ، فقد آن الأوان لنشره خارجها ، بعد أن أصبح المسلمون بدرجة من القوة والتنظيم تساعد على حماية حرية انتشاره بين الناس كافة ...

٢ - المنافقون

لمستمر المنافقون في المدينة على الرغم من قتلهم وتظاهرهم في الإسلام على تلييط الهمم ونشر الروح الانهزامية وخلق الفتن والمشاكل للمسلمين ، ولكنهم لم يكونوا بدرجة من الأهمية والقوة بحيث يحسب لهم المسلمون أي حساب .

وقد أصبحوا على مر الزمن معروفين لاهل المدينة لا تخفى اعمالهم على احد .

وكان باستطاعة الرسول تطهير المدينة منهم ، لولا رغبته في ان يثوبوا الى وشدحم ولو بعد حين ...

٣ - المشركون

لم يبق للمشركين في شبه الجزيرة العربية اي قيمة عسكرية ، بعد إسلام قريش زعيمة القبائل العربية وعميدة المشركين ، فقد انتشر الاسلام في القبائل العربية انتشاراً ساحقاً . واصبح اسلام المتخلفين من المشركين اسراً لا شك فيه .

وفلاً بدأت وفود المشركين تتسابق الى المدينة لإعلان إسلامها ، واخذ العرب يدخلون في دين الله افواجا .

لقد اصبح خطر المشركين لا قيمة له من الناحية العسكرية .

٤ - الرومان

كانت احوال الامباطورية الرومانية مضطربة خاصة في بلاد الشام ، فقد كثر قذم الناس من ظلم حكام الرومان وازهاقهم بالضرائب ، لذلك اقبل كثير من القبائل العربية الخاضعة لحكم الرومان على اعتناق الاسلام .

اسلم فروة بن عمرو الجذامي قائد إحدى الفرق الرومانية التي قاومت المسلمين في غزوة مؤتة ، فقبض عليه بأمر من هرقل بتهمة الخيانة ؛ وكان هرقل على استعداد لافراج عنه اذا هو عاد الى المسيحية ، ولكن فروة اصرّ على اسلامه ، فقتل .

ان انتشار الإسلام بين نصارى العرب اقض مضاجع الرومان . وجعلهم يفكرون بالقضاء على الدين الجديد قبل ان يستفحل امره ، فقاموا بتحشيد قواتهم على حدود الشام الجنوبية استعداداً لمهاجمة المسلمين ، واستخدموا الانباط الذين كانوا يتاجرون مع المدينة لنقل المعلومات اليهم عن المسلمين ، تلك المعلومات التي اكدت لهم تزايد قوة المسلمين مادياً ومعنوياً . بحيث اصبحت تلك القوة خطراً داهماً يهدد الامباطورية الرومانية .

أسباب غزوة تبوك

١ - اسباب مباشرة

تحشد قوات الروم لغزو حدود العرب الشمالية والقضاء على سلطة الإسلام هناك .

٢ - اسباب غير مباشرة

آ - حماية حرية نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية بعد انتشاره داخلها .

ب - تقوية معنويات القبائل العربية الخاضعة لسلطان الروم - تلك القبائل التي اخذت تقبل على اعتناق الإسلام ، على الرغم من مكافحة الرومان لهذا الاتجاه

ج - محو آخر انسحاب المسلمين من مؤته من النفوس .

أهداف الطرفين

١ - المسلمون

- حماية حرية نشر الإسلام في بلاد الشام ، اذ هي المنفذ المهم لنشره خارج شبه الجزيرة العربية ، كما انها المتنفس الحيوي للتجارة العربية ...

٢ - الروم

القضاء على منافسة المسلمين للإمبراطورية الرومانية في السيطرة على العرب الخاضعين للروم ، وتحديد انتشار الدعوة الإسلامية في بلاد الشام .

قوات الطرفين

١ - المسلمون

ثلاثون ألفاً بقيادة الرسول بينهم عشرة آلاف راكب

٢ - الروم

قوات نظامية كبيرة من الروم بساندها العرب من لحم وجذم وعاملة وغسان .

الاستحضارات

١ - المسلمون

امر الرسول بانجاز استحضارات الحركة لقتال الروم، ولم يكتف نواياه في هذه الغزوة كما كان يفعل في الغزوات السابقة كي يباغت بهذا الكتمان عدوة قبل ان يستطیع التهيؤ للقتال .

لم يكتف نواياه في غزوة تبوك ، لان المسافة طويلة يجب قطعها سيقاً ، فلا بد من اكمال المؤونة والنقلية للجهاديين قبل الحركة ، حتى لا يؤدي نقص القضايا الإدارية الى فشل المسلمين في تحقيق هدفهم المنشود .

وليس من السهل تجهيز قوات المسلمين لكبيرة بما تحتاجه من مؤونة ونقلية واسلحة ، ما لم يشارك اغنياء المسلمين في تجهيز هذا الجيش مشاركة فعالة ، فأقبل هؤلاء الاغنياء على بذل اموالهم بسخاء وعن طيبة خاطر ، كما اقبل المسلمون من كل فج تلبية لداعي الجهاد .

وانتهز المنافقون فرصة شدة الحر ونضوج الثمار وطول المسافة وقوة العدو ، فأخذوا يثبطون العزائم وينشرون الروح الانهازية بين المسلمين ، ولكنهم فشلوا في محاولاتهم اذ لم يتخلف من المسلمين احد غير ثلاثة رجال ، ولم يقبل الرسول ان يستعين بالقوات التي جمعها عبدالله بن ابي ، لانه لم يكن يثق بإخلاص تلك القوات ، فبقي ابن ابي واصحابه من المنافقين في المدينة .

وبقي في المدينة بعض المسلمين الذين لم يجدد الرسول ما يحملهم عليه ، فتولتوا واعينهم تقيض من الدمع حزناً الا يبعدوا ما ينفقون .

وانجز جيش العسرة استحضاراته ، وتعشّد خارج المدينة واصبح مستعداً للحركة من كافة الوجوه .

٢ - الروم

وزَّع هرقل رواتب سنة كاملة على قواته النظامية، كما وزَّع كثيراً من المال على القبائل العربية الخاضعة لسيطرته ، تشجيعاً لهم لمعاونة جيشه . وبعد انجاز استحضارات قواته ، ارسل طلائعها الى (البلقاء) لستر التحشيد الذي تمّ بعد ذلك في منطقة تبوك .

الحركة

١ - المسلمون

ترك جيش المسلمين المدينة في رجب من السنة التاسعة للهجرة واخذ يقطع الصحراء القاحلة في موسم الحر الشديد ، فلما وصل منازل ثمود في (الحجر) تلك المنطقة التي نهب فيها العواصف الرملية بين حين وآخر فتطمّر نافلة بكاملها ، اوصى الرسول اصحابه الا يخرج احدهم الا ومعه صاحبه، وهناك عطش المسلمون عطشاً شديداً ، ولولا سقوط المطر عليهم يومذاك ، لهلك كثير من المسلمين عطشاً .

واستمر الجيش على المسير حتى وصل تبوك ، وكانت المراحل تقطع ليلاً للتخلص من الحر الشديد ، حتى وصلوا تبوك ، فلم يجذوا قوات الروم هناك ، فقرر الرسول البقاء في تبوك بقواته الرئيسية بعد ان عام بانسحاب الروم الى الشمال .

٢ - الروم

تمّ تحشيد قوات الروم المؤلفة من جنودها النظاميين ومن القبائل العربية الموالية لها في تبوك قبل وصول المسلمين اليها ، ولكن المعلومات التي وصلتهم عن ضخامة عدد جيش المسلمين وقوة معنوياته اضطرت الروم الى الانسحاب من تبوك شمالاً ...

السيطرة على المنطقة

١ - مصالحة صاحب ايلة

وجه الرسول الى يوحنا بن رؤبة صاحب ايلة ، رسالة يطلب فيها منه ان يذعن للمسلمين او يغزوه ؛ فأقبل يوحنا بنفسه الى الرسول وقدم له الهدايا والطاعة ، وكان نص وثيقة الصلح بين المسلمين ويوحنا ما يلي : (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا بن رؤبة وأهل ايلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه وإنه طيب لمحمد أخذه من الناس . وإنه لا يحل أن يمنعوا ما يريدونه ولا طريقاً يريدونه من بر او بحر) واتفق الطرفان ان تدفع ايلة جزية تدرها ثلاثمائة دينار في كل عام .

٢ - مصالحة اهل الجرباء وأذرح

تم الصلح بين المسلمين وأهل الجرباء وهي قرية في منطقة عمان باللقاء من أرض الشام وبين المسلمين وأهل أذرح وهي بلدة قريبة من الجرباء ، على الجزية ايضاً .

٣ - مصالحة اهل دومة الجندل

بعث النبي خالد بن الوليد في خمسمائة فارس الى دومة الجندل ، فباغت خالد الأكيدر وليكها وأخاه حسان وهما يطاردان بقر الوحش ، فقتل حسان وأسر الأكيدر ، فهدده خالد بالقتل إن لم تفتح دومة الجندل أبوابها للمسلمين . فتحت المدينة أبوابها فداءً لليكها ، فدخلها المسلمون وغنموا منها الفبي بعير وثمناثة شاة وأربعمائة وسق من بر وأربعمائة درع ، وذهب بها خالد ومعه الأكيدر حتى لحق بالنبي في المدينة فحقن الرسول دم الأكيدر وصالحه على الجزية ، وتركه يعود الى قومه في دومة الجندل .

عودة المسلمين

اقام المسلمون حوالي عشرين يوماً في منطقة تبوك ، انتظاراً لعودة جيوش الرومان ، وتأميناً للحدود الشمالية بعقد المعاهدات مع سكانها ، وتدعيماً لهيبة الإسلام في نفوس القبائل ، والعمل لحماية حرية نشر الدعوة في تلك الارحاء ؛ فلما انجزوا كل ذلك تحرّكوا عائدين الى المدينة .

وصل المسلمون الى المدينة ، فجاء المتخلفون عن الخروج يعتذرون ، وكان هؤلاء المتخلفون قسمين : القسم الأول من المنافقين المتظاهرين بالإسلام ، وهؤلاء اعرض عنهم الرسول تاركاً لله حسابهم ؛ والقسم الثاني من المسلمين الذين لا سائبة في إسلامهم ، وهم ثلاثة : كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية . وهؤلاء اعترفوا بذنبهم ، فأمر الرسول المسلمين ان يعرضوا عنهم حتى يأتي أمر الله .

دروس من تبوك

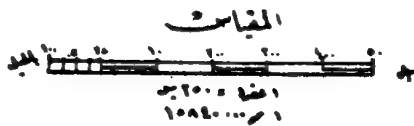
١ - الحرب الاجماعية (١)

الحرب الاجماعية او الحرب الاعتصابية او الحرب المطلقة معناها : تحشيد كافة قوى الأمة - لا الجيش وحده - المادية والمعنوية والعقلية للأغراض الحربية .

نشر لودندروف آراءه عن الحرب الاجماعية في كتابه (الأمة في الحرب) ، ومجمل آراء هذا القائل : ان الحرب الحديثة لم تبق حرب جيوش وقوى عسكرية فقط وإنما هي حرب اجماعية تقوم على حرب الأمم ضد الأمم . ولهذا يجب ان تضع الأمة كل قواها العقلية والادبية والمادية في خدمة الحرب ، وان تكون هذه القوة مخصصة للحرب التالية .

(١) - الحرب الإجماعية : هي حرب الأمم ضد الأمم . وبها تضع الأمة كل قواها العقلية والادبية والمادية في خدمة الحرب .

إنتشار الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم



ويرى لودندروف بالاضافة الى ذلك ، ان الحرب وسيلة لا غاية ، ولهذا يجب ان تُعدّ الامة كلها للحرب، وان تكون دائماً على قدم الاستعداد : واجب النساء ينحصر في انتاج أبناء أقوياء للامة يحملون أعباء الحرب الاجتماعية ، وواجب الرجال ينحصر في تحشيد كل قواهم لهذه الغاية .

هذه مجمل آراء لودندروف في الحرب الاجتماعية التي اعتبرها العسكريون آراء جديدة ، وراحوا يفسرونها وينشرون مبادئها ويحثّون على الاخذ بها .

إن الحرب الاجتماعية التي طبقتها المانيا وايطاليا وروسيا في الحرب العالمية الثانية ، ليست جديدة .. فقد طبقتها المسلمون قبل أربعة عشر قرناً خلت .

ولكن هناك فرقاً واحداً بين حرب الامم الحديثة وحرب المسلمين قديماً ، هذا الفرق هو ان حرب المسلمين حرب دفاعية غايتها نشر السلام وتوطيد أركانها فهي حرب الفروسية بكل ما في الكلمة من معاني .

يقول القرآن الكريم : « انفروا خفافاً وثقلاً ، وجاهدوا باموالكم وأنفسكم في سبيل الله » ، لذلك فقد كان المسلمون كلّهم جنوداً وكانت اموالهم كلّها لادامة هؤلاء الجنود .

كان عدد المسلمين ثلاثين ألفاً في غزوة تبوك بينهم عشرة آلاف فارس ، وقد تعرّكوا صيفاً في موسم قحط شديد لمسافة طويلة في الصحراء ، فليس من السهل إدامة مثل هذا الجيش الكبير في مثل تلك الظروف القاسية بمواد الاعاشة والماء والنقلية والسلاح ، لذلك سمى هذا الجيش بجيش العسرة : اشترك فيه المسلمون كلهم عدا ثلاثة تخلفوا عنه واشترك المسلمون كلهم في تجهيزه .

اتفق أبو بكر جميع ما بقي عنده من مال ، وكان له يوم أسلم اربعون الف دينار أنفقها كلّها في سبيل الله ، حتى تخلل بالعباءة ! وانفق عثمان ثلاثمائة بعير و الف دينار ، واتفق عمر بن الخطاب نصف ماله ، كما انفق العباس وطلحة وعاصم ابن عدي كثيراً من المال ، وبهذا الاتفاق السخي امكن تجهيز هذا العدد العظيم من جيش العسرة .

ان المسلمين عرفوا الحرب الاجماعية قبل ان يعرفها العالم بأربعة عشر قرناً
ولكن شتان بين حرب الفروسية التي عرفها المسلمون ، وحرب العدوان التي
عرفها العصر الحديث .

٢ - عقاب المتخلفين

يتخلف عن الاشتراك بالقتال في كل حرب قديمة او حديثة بعض الجنود
لاسباب شتى ، وفي كل أمة قوانين معينة . يعاقب بموجبها المتخلفون .
ويمهنا ان تعرف ان كثيراً من عوائل المتخلفين أبيدت عن بكرة ابيها في
الدول التي طبقت الحرب الاجماعية خلال الحرب العالمية الثانية في القرن
العشرين .

بمثل هذه القسوة الفظيعة التي أخذها البريء بذنب الجاني ، في حرب حديثة
بأمر راقية ، استطاعت تلك الامم بمثل هذه القوة التقليل من التخلف بين
صفوف جنودها عندما كانت في أوج قوتها ؛ فلما تداعت قواتها تحت مطارق
الحرب ، تكاثرت المتخلفون في صفوفها برغم قوانينها الرادعة .

ويحني بعد ذلك ان تعرف كيف عالج الاسلام قضية التخلف بالعقاب النفسي
الذي أخذ المسيء وحده بذنبه ، دون أن يلحق بغيره من الأبرياء أي عقاب .
إسمع قصة تخلف كعب بن مالك كما يرويها بنفسه ، لتري كيف كان عقاب
المتخلفين في الاسلام !

قال كعب : « جئت فسلمت عليه (يقصد على الرسول) ، فتبسم تبسم
المغضب ، ثم قال : تعال .. فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : ما
خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ »

« قلت : بلى . والله إني لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت أن أخرج
من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، ولكن والله لقد علمت إن حدثتك
حديث كذب ترضى به عليّ ، لبوسكن الله أن يسخطك عليّ ، ولئن حدثتك
حديث صدق تجد علي فيه ، إني لأرجو فيه عفو الله عني .. والله ما كان لي من
عذر ، والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك » .

« فقال الرسول : هذا أما فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك ، فقامت .
 وثار رجال من بني سلمة ، فاتبعوني يؤنبوني ، فقالوا لي : والله ما علمناك
 كنت قد أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى
 رسول الله ﷺ بما اعتذر اليه المخلفون ، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول
 الله ﷺ .

« قال كعب : فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ،
 ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي احد ؟ قالوا : نعم مرارة بن الربيع العامري
 وهلال بن أمية الواقفي ، فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدراً فيها أسوة .
 فضيت حين ذكروهما لي .

« ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف
 عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتى تنكرت لي الارض فما هي بالتي
 أعرف ، فلبئنا على ذلك خمسين ليلة .

« اما صاحباي ، فاستكانا وقعدا في بيوتها يكيان ، واما انا فكنت أشد
 القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج وأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الاسواق
 ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ،
 فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم اصلي قريباً منه ، فأسارقه
 النظر ، فاذا أقبلت على صلاتي أقبل اليّ ، واذا التفت نحوه اعرض عني .

« حتى اذا طال عليّ ذلك من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار
 أبي قتادة ، وهو ابن عمي وأحب الناس الي ، فسلمت عليه ، فوالله ما رد علي
 السلام ! ..

« فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك الله هل تعلمني احب الله ورسوله ؟ فسكت
 فعدت له فنشدته ، فسكت .. فعدت له فنشدته فقال : الله ورسوله اعلم ..
 ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار .

« فبيدا انا امشي بسوق المدينة . واذا نبطي من أثباط السام من قدم بالطعام
 يبيعه في المدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له

حتى اذا جاءني ، دفع الي كتاباً من ملك غسان ، فإذا فيه : أما بعد . فإنه بلغني ان صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضية ، فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأتها : وهذا من البلاء ايضاً . قد بلغ ما وقعت فيه ، أن طمع في رجل من أهل الشرك ، فعدت بها الى تنور ، فسجرت بها .

فأقننا على ذلك حتى اذا مضت أربعون ليلة من الحُسين ، واذا رسول رسول الله يأتيني فقال : ان رسول الله ﷺ يأمرُك أن تعتزل امرأتك ، قلت . اطلقها أم ماذا ؟ قال : لا ، ولكن اعتزلها ولا تقر بها .

» وأرسل الي صاحبي مثل ذلك ، فقلت لامرأتي : إلحقي بأهلك فكوفي عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض . .

» فجاءت امرأة هلال بن أمية ، فقالت . يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ فقال : لا ، ولكن لا يقربك .
» قالت : إنه والله ما به حركة الى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوفت على بصره . . !

» قال كعب : فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله لامرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، فقلت والله لا استأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ اذا استأذنه فيها ، وانا رجل شاب .

» ولبثت بعد ذلك عشرة ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا ، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على سطح بيت من بيوتنا على الحال التي ذكر الله منا : قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت وضاقت علي نفسي ، وكنت قد ابتنيت خيبة في ظهر (سلع) فكنت أكون فيها ، اذ سمعت صوت صارخ اوفى على ظهر سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، ابشر . . فعزرت ساجداً ، وعرفت ان قد جاء الفرج .

» وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى الفجر : وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ،

وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب
الرحيم .

« فلما جلست اليه قلت : يا رسول الله ان من توبتي الى الله عز وجل ان
انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله ، فقال رسول الله ﷺ : امسك عليك
بعض مالك فهو خير لك . قلت : اني بمسك سهمي الذي بخير . وقلت : يا
رسول الله ، ان الله قد نجاني بالصدق ، وان من توبتي الى الله ان لا احدث الا
صدقاً ما حييت ... »

اي عقاب نفسي هذا الذي جعل المتخلف يقدم بين يدي توبته شرطين
ما اصعبها وما اشقها : التنازل عن المال ، والصدق في القول . ليس من السهل
ان يتنازل المرء عن ماله ، واصعب من ذلك الثبات على الصدق في جميع
الأحوال والظروف .

فأي اثر عظيم تركه هذا العقاب النفسي الصارم ، وابن هذا العقاب الذي
طبقه المسلمون على المتخلفين في القرن السابع من هذا العقاب الذي طبقته ارقى
الدول على المتخلفين في القرن العشرين ؟

٣ - التدريب العنيف

تعمل الجيوش الحديثة على تدريب جنودها تدريباً عنيفاً : اجتياز موانع
وعراقيل صعبة جداً ، وقطع مسافات طويلة في ظروف جوية مختلفة ، وحرمان
من الطعام والماء بعض الوقت وذلك لاعداد هؤلاء الجنود لتحمل أصعب
المواقف المحتمل مصادفتها في الحرب ...

لقد تحمل جيش العسرة مشقات لا تقل صعوبة عن مشقات هذا التدريب
العنيف إن لم تكن أصعب منها بكثير : تركوا المدينة في موسم نضج ثمارها ،
وقطعوا مسافات طويلة شاقة في صحراء الجزيرة العربية صيفاً ، وتحملوا الجوع
والعطش مدة طويلة . يقول عمر بن الخطاب : « خرجنا الى تبوك في قسـط
شديد ، فنزلنا منزلاً اصابتنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع حتى ان
الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرثه فيشربه . ثم يجعل ما بقي من الماء على كبده . »

ان غزوة تبوك تدريب عفيف للمسلمين ، كان غرض الرسول منه إعدادهم لتحمل رسالة حماية حريية نشر الاسلام خارج شبه الجزيرة العربية وتكوين الامبراطورية الاسلامية المترامية الاطراف ، فقد كانت هذه الغزوة آخر غزوات الرسول فلا بد من الاطمئنان الى كفاءة جنوده قبل أن يلتحق بالرفيق الاعلى .

٤ - المسير الليلي (السرى)

قطع المسلمون اكثر المراحل بين المدينة وتبوك ليلاً ليتخلصوا من الحر الشديد .

ان الحركة ليلاً في موسم الحر ضرورية جداً خاصة في الصحراء ، وهذا ما تطبقه الجيوش الحديثة في العصر الحاضر .

٥ - المغنويات

يمكن اعتبار غزوة تبوك معركة مغنويات لا معركة ميدان .

لم يستطع المسلمون الاصطدام بالجيش الروماني وحلفائه ، لانسحاب جيوشهم من منطقة تحشدوا في تبوك ، بعد ان وصلتهم معلومات وثيقة عن قوة المسلمين مادياً ومغنوياً ، ومع ذلك فقد انتصر المسلمون في غزوة تبوك على الروم انتصاراً مغنوياً لا يقل أهمية عن الانتصار المادي في القتال .

لقد ادى اندحار الرومان مغنوياً في غزو تبوك ، الى تفكير القبائل العربية الخاضعة لهم بعدم جدوى اعتمادهم عليهم لينالوا حمايتهم ، ولا بد لهم من التحالف مع المسلمين الأقوياء ليضمنوا لهم الحماية والاستقرار ، لذلك اقبلت تلك القبائل على مصالحة المسلمين وموالاتهم ، وازداد انتشار الاسلام فيها عما كان عليه بعد غزوة مؤتة ...

٦ - المعلومات

لقد كانت استخبارات الروم عن حركات المسلمين ونواياهم قوية جداً ،

وكانوا يستخدمون الانباط الذين يتاجرون مع المدينة وبعض افراد القبائل العربية الموالية لهم ، في نقل المعلومات اليهم عن المسلمين .

لقد رأيت كيف عرف ملك غسان الموالي للروم غضب الرسول والمسلمين على كعب بن مالك لتخلفه عنهم يوم تبوك ، وكيف ارسل اليه رسالة يعرض عليه فيها الالتحاق بالقاسية ، فاذا استطاع الروم واحلافهم الاطلاع على مثل هذه القضية التافهة ، فمن المؤكد انهم استطاعوا الاطلاع على القضايا المهمة خاصة القضايا التي لها تأثير على الموقف العسكري حينذاك ...

لقد كانت عيون الروم منتشرة في المدينة لاحصاء حركات المسلمين وسكناتهم وتزويد الرومان بكل ذلك ؛ ولم يكن المسلمون غافلين عن حركات الروم ، فقد استطاعوا معرفة تحركات قطعاتهم ومواقع تلك التحركات ونواياهم مبكراً وبصورة مفصلة ، مما جعلهم يتحركون الى تبوك للقضاء على قوات الروم قبل ان يستفعل أمرها وتعرض بالحدود الاسلامية .

لقد كانت محاولات الحصول على المعلومات من المسلمين والروم بمنازعة جداً .

٧ - الضبط

إن اقبال المسلمين على الانخراط بجيش العسرة وتعلمهم المشقات بنفس رضية قانعة ، يدل على مبلغ الضبط العالي الذي وصلوا اليه .

ان الضبط اساس الجيش ، ولا ينجح الجيش الذي لا يتحلى بالضبط في أية معركة مهما يكن عدده كثيراً وسلاحه مؤثراً ، واذا كان هناك فرق واضح بين العسكريين والمدنيين فهو الضبط الذي يتمسك به العسكريون قبل كل شيء ..

ان اطاعة المسلمين لامر الرسول قائدهم في هجر المتخلفين دليل على ضبطهم المتين ، واي ضبط هذا الذي جعل امر القائد ينفذه اهل المتخلف حتى زوجه واولاده بشكل اذق واعنف مما ينفذه الغرباء عنه ، وهو في محنته القاسية التي تستدر العطف والاشفاق من الناس جميعاً .

ولكن هذه الاوامر كانت للمصلحة العامة ، والمسلمون كلهم جنود مخلصون لهذه المصلحة .

النتائج

يمكن اجمال نتائج غزوة تبوك بما يلي :

١ - رفع معنويات المسلمين تجاه الروم وحلفائهم وعند العرب في شبه الجزيرة العربية كلها . وبذلك استطاع الرسول ان يجعل المسلمين يعتقدون بأن في امكانهم محاربة الروم والتغلب عليهم .

لم يكن العرب (يحملون) قبل الرسول بأنهم يستطيعون صد اعتداء الروم عليهم في عقر بلادهم ، فاصبحوا (يعتقدون) بعد تبوك بأن في مقدورهم محاربة الروم في بلاد الروم نفسها والقضاء على جيوشهم هناك .

٢ - قضى انتصار المسلمين المعنوي على الروم قضاء تاماً على تردد المتخلفين عن الإسلام من العرب ، فإذا كانت قوات المسلمين تهدد الروم في عقر دارهم ، فكيف تستطيع قوات القبائل العربية الصمود تجاه تلك القوات ؟ !

لذلك اقبلت وفود القبائل الى المدينة بعد عودة الرسول من تبوك اليها معلنة اسلامها ، واقبل الناس يدخلون في دين الله افواجا ، ولهذا سمي هذا العام بعام الوفود .

٣ - استطاع الرسول تنظيم نقاط ارتكاز على الحدود الشمالية التي تربط شبه الجزيرة العربية ببلاد الشام الخاضعة للرومان ، وذلك بعقد المحالفات مع سكان تلك المنطقة واقبال بعضهم على الاسلام .

ان نقاط الارتكاز هذه سهلت مهمة الفتح الاسلامي على عهد الخلفاء الراشدين ، فمنها انطلقت قوات المسلمين الى الشمال وعليها ارتكزت لتحقيق هدفها العظيم .

الغزوات التي قادها الرسول بنفسه

التسلسل	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات اعدائهم	المكان	التاريخ	مجموع النتائج
١	غزوة ودان (الابواء)	٢٠٠ راكب وراجل	١٠٠ راكب وراجل من قريش	ودان	صفر من السنة الثانية للهجرة	لم يلاق قريشاً فحالف بني ضبيعة
٢	غزوة بواط	٢٠٠ راكب وراجل	قوة من قريش وبني مدلج وبني ضيرة	بواط ناحية جبل رضوى	ربيع الاول من السنة الثانية للهجرة	لم يدرك قافلة قريش
٣	غزوة المشيرة	٢٠٠ راكب وراجل	قوة من قريش وبني مدلج وبني ضيرة	المشيرة	جهدى الاولى من السنة الثانية للهجرة	وادع بني مدلج وحلفاءهم بني ضيرة
٤	غزوة بدر الاولى	٢٠٠ راكب وراجل	قوة خفيفة بقيادة كرز بن جابر النهري	وادي سفوان بالقرب من بدر	جهدى الآخرة من السنة الثانية للهجرة	فر المشركون يا غنموه من المسلمين ولم يستطع المسلمون ادراكهم
٥	غزوة بدر الكبرى	٣١٥ م م فرسان فقط وسبعون بهيمة	٩٥٠ منهم ٢٠٠ راكب وهم من قريش	بدر	رمضان من السنة الثانية للهجرة	انتصار المسلمين على قريش

٦	غزوة بني قينقاع	مسلمو المدينة	بنو قينقاع من اليهود	المدينة	أوائل شوال من السنة الثانية للهجرة	تطهير داخل المدينة من اليهود
٧	غزوة بني سليم	٢٠٠ راكب ورجال	بنو سليم وخطافان	فرقة الكدور بين المدينة ومكة	أواخر شوال من السنة الثانية للهجرة	فرار بني سليم وخطافان وقد تركوا أمرهم للمسلمين
٨	غزوة السويق	قوة مطاردة خفيفة من المسلمين	٢٠٠ فارس من قريش	فرقة الكدور	ذو الحجة من السنة الثانية للهجرة	فرار قريش من مطاردة المسلمين
٩	غزوة ذي امر	٤٥٠ بين راكب ورجال	بنو نعلبة وحوارب	ذو امر موضع في نجد	حرم من السنة الثالثة للهجرة	فر بنو نعلبة وحوارب وبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر
١٠	غزوة بجران	٣٠٠ راكب ورجال	بنو سليم	بهران على طريق المدينة مكة	ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة	فر بنو سليم فبقي المسلمون في ديارهم حوالي شهر

تابع الملحق (ح) الغزوات التي قادها الرسول بنفسه

تاريخ	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات اعدائهم	المكان	التاريخ	جمل النتائج
١١	غزوة احد	٧٠٠ بينهم خمسون فارسيًا	٢٩٠٠ من قريش واحابيشها ومائة من بني ثقيف بين القوة مائتا فارس	جبل احد في ضواحي المدينة	شوال من السنة الثالثة للهجرة	استطاع المشركون اقتلاع سبعين شهيداً بالمسلمين ولكنهم لم يستطيعوا الانتصار على الرغم من تفوق قوات المشركين وتطويقهم للقوات المسلمين.
١٢	غزوة حمراء الأسد	٦٣٠ بين راكب وراجل	٢٩٧٨ من قريش واحابيشها ومن ثقيف	حمراء الاسد بين المدينة ومكة	شوال من السنة الثالثة لهجرة	طارد المسلمون قريشاً وحلفاءها الى حمراء الاسد بعد انتهاء معركة احد مباثرة ولكن المشركين فقدوا عدم قبول بالمعركة وانسحبوا الى مكة

١٢	قهره بنو النضير	كله مسلي للدينة	اليهود من بني النضير	ضواحي المدينة	ربيع الاول من السنة الرابعة للهجرة	اجسلاه بنو النضير عن ضواحي المدينة
١٣	قهره بنو النضير	١٠٠٠ راكب وراجل	بنو عارب وبنو ثعلبة من غطفان	ذات الرقاع بنجد	مضلب من السنة الرابعة للهجرة	فرار بنو ثعلبة وبني عارب
١٤	قهره بنو النضير	١٠٠٠ راكب وراجل	من قريظ	بدر	من السنة الرابعة للهجرة	عادت قريظ اذ راجها الى مكة ولم تذهب لواء المسلمين في بدر حسب وعدهما
١٥	قهره بنو النضير	١٠٠٠ راكب وراجل	من قريظ	دومة الجندل	ربيع الاول من السنة الخامسة للهجرة	فرت القبائل
١٦	قهره بنو النضير	١٠٠٠ راكب وراجل	من قريظ	الربيع	من السنة الخامسة للهجرة	فر بنو الجعلان بعد معركة قصيرة ضد المسلمين

الغزوات التي قادها الرسول بنفسه

الترسل	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات أعدائهم	المكان	التاريخ	جمل النتائج
١٨	غزوة الخندق	ثلاثة آلاف	عشرة آلاف من قريش وبني سليم وزنارة واشجع وعظمت عددا اليهود من بني قريظة	المدينة	من السنة الخامسة للهجرة	عودة الاحزاب من حصار المدينة خائبين
١٩	غزوة بني قريظة	ثلاثة آلاف ببشرهم ٢٦ فارساً	٧٠٠ الى ٦٠٠ من قريظة	ضواحي المدينة	ذو القعدة من السنة الخامسة للهجرة	القضاء على بني قريظة
٢٠	غزوة بني لحيان	حوالي ثلاثة آلاف	بنو لحيان	غران	جمادى الاولى من السنة السادسة للهجرة	فر بنو لحيان
٢١	غزوة ذي ثرد	—	خطفان	ذو ثرد	جمادى الاولى من السنة السادسة للهجرة	فر بنو خطفان وتركوا الغنائم التي اخذوها من المسلمين

الملحق (٣) الغزوات التي قادها الرسول بنفسه

الترتيب	اسم الغزوة	قوات المسلمين	قوات اعدائهم	المكان	التاريخ	جمل النتائج
٢٢	غزوة احدىية	١٤٠٠ راكب ورجال	قريش	الحدىية	ذو القعدة من السنة السادسة للهجرة	عقد هدنة احدىية بين المسلمين وقريش
٢٣	غزوة خيبر	١٤٠٠ راكب ورجال	يهود خيبر	خيبر	محرم من السنة السابعة للهجرة	سقوط خيبر واستلام يهود فداء وادى القرى ونباه لهم بذلك الفداء عسكريا على يهود الجزيرة العربية
٢٤	غزوة عمرة القضاء	١٤٠٠ راكب ورجال	قريش	مكة	ذو الحجة من السنة السابعة للهجرة	بقي المسلمون ثلاثة ايام في مكة بعد ان خرج عنها النزكون وهذه معركة معوية لا معركة يديان
٢٥	غزوة فتح مكة	عشرة آلاف	قريش وبنو بكر	مكة	رمضان من السنة الثامنة للهجرة	فتح مكة

الرسول بنفسه

اسم	عدد	نوع	المكان	التاريخ	جمل النتائج
٢٦	١٢٠٠٠	موازن وثيق	وادي اوطاس قرب الطائف	من السنة الثامنة للهجرة	انحصار موازن وثيق
٢٧	١٢٠٠٠	وثيق وبعض موازين	الطائف	من السنة الثامنة للهجرة	لم تقسم الطائف فعاد المسلمون ادراجهم الى المدينة
٢٨	١٢٠٠٠	جيش كبير من الروم وحظائهم	تبوك	رجب من السنة الثامنة للهجرة	فصل الروم عدم الاعتناء بالمسلمين فقام المسلمون في قوراك حوالي عشرين يوما وساحلوا الديار وسكان منقعة الحدود بين الجباز والنام مامحة بذلك باعدة امية لم المدينة .

التطبيق العملي

« وما أرسلناك إلا وحدة

للعالمين »

القرآن الكريم

الخاتمة

بحث مقارن

تطرقنا في بحث القتال في الاسلام الى المبادئ المثالية التي جاء بها القرآن الكريم الخاصة بأغراض وأهداف وتنظيم الحرب العادلة في الاسلام .

كما أوردنا بعض المصطلحات العسكرية والقانونية استناداً الى أوثق المصادر العسكرية الحديثة وقوانين الحرب والحياد من القانون الدولي .

وكان الهدف من ذلك ، هو إعطاء فكرة واضحة عن المبادئ النظرية في أحدث الكتب العسكرية وأوثقها وفي أحدث مصادر القانون الدولي ، ومقارنتها بالمبادئ المثالية التي جاء بها الاسلام عن الحرب في الاسلام .

وتطرقنا في الفصول التالية الى أعمال الرسول العسكرية التي طبقها (فعلاً) في القتال ، حتى نفصح المجال لمقارنة هذه المعلومات (العملية) بالمعلومات النظرية التي أوردناها عند بحث موضوع القتال في الاسلام والمصطلحات العسكرية والقانونية سالفة الذكر .

والحق أن أكثر المعلومات العسكرية النظرية وقوانين الحرب والحياد ، هذه المعلومات وهذه القوانين هي خبر على ورق في هذا العصر الذي بلغت فيه المدنية درجة عالية من التقدم والرقى ، ومع ذلك فقد طبقها الاسلام حرفياً او طبق أفضل منها قبل أربعة عشر قرناً بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ .

والذين استطاعوا أن يستوعبوا تلك المعلومات النظرية المثالية ويقارنوا بينها وبين أعمال الرسول العسكرية ، لا بد وأن يخرجوا بالنتيجة المتوقعة ، مهما كن

هو أنهم يؤمنون بما دأبهم ، وهي أن الرسول طبق النظريات المثالية فعلاً في أعماله العسكرية ، ولم يخرج عن تطبيقها أبداً في غزواته ومعاركه .

وفي هذه الخاتمة ، سأطرق إلى التطبيق العملي لنظريات الحرب المثالية بصورة موجزة وبشكل لا يدع مجالاً للشك ، ذلك التطبيق الذي استطاع الرسول أن ينجزه قبل بضعة عشر قرناً بينما عجز عن تطبيقه العسكريون في القرن العشرين .

ومن السهل جداً أن يسمو الانسان بتفكيره إلى درجة مثالية عالية ، ولكنه من الصعب جداً أن يطبق تلك المثاليات (فعلاً) خاصة في الأعمال العسكرية التي تتوقف عليها مصائر الامم والشعوب ، لأن حالة الحرب ليست من الحالات الاعتيادية التي يستطيع فيها الانسان أن يسيطر على أعماله في أغلب الاحيان ، إلا أن يكون ذلك الانسان فوق البشر وتحت الله .

وكم أغنى أن يقرأ هذا البحث غير المسلمين مهما تبلغ درجة عداوتهم للإسلام ليطمئنوا مع المسلمين مهما تبلغ درجة حبهم للإسلام إلى أن أعمال الرسول العسكرية تنطبق على أرقى وأحدث النظريات العسكرية المثالية وقوانين الحرب والحياد الإنسانية ، ولينأكدوا بأنفسهم من الاخطاء الفاحشة التي وقع فيها المتعصبون على الاسلام والمتعصبون للاسلام على حد سواء .

فقد غمز المتعصبون على الاسلام أعمال الرسول العسكرية ، فقالوا : "إن الاسلام دين قتال يعتمد على الحرب في نشر دعواته ، وإن حياة الرسول العسكرية لا تخلو من عدوان ، ولكن هذا الغمز خطأ فاحش لا يدل إلا على جهل مطبق أو تعصب ذميم .

وقد ادعى المتعصبون للاسلام ، أن انتصار الرسول كان بالخيوارق والمعجزات ، ولكن هذا الادعاء خطأ فاحش ايضاً لا يقل خطورة عن غمز المتعصبين على الاسلام ، ولا يدل إلا على جهل بروح الاسلام الصحيح : تلك

الروح العملية الواقعية التي تركز على الحق الواضح والعقل السليم ، لا على الخيالات والالوهام .

إلى هؤلاء وأولئك أسوق هذا البحث عن الأسباب الحقيقية لانتصار الرسول ، وعن المقارنة بين النظريات التي جاء بها الاسلام في القتال والاعمال التي طبقها الرسول فعلاً ، مع مقارنة أعماله بأحدث قوانين الحرب والحياد الإنسانية تلك القوانين التي تطابق مبادئ القتال في الاسلام في بعض تعاليمها وتعجز عن السور إلى مبادئ القتال في الاسلام في تعاليمها الاخرى .

مجمال أسباب النصر

قاد الرسول بنفسه ثمانياً وعشرين غزوة خلال سبع سنين بعد هجرته إلى المدينة (راجع الملحق ح) فقد خرج إلى غزوة (ودان) وهي أول غزوة قادها الرسول بنفسه في صفر من السنة الثانية للهجرة ، وكانت غزوة تبوك آخر غزواته في رجب من السنة الثامنة للهجرة ، وقد نشب القتال بين المسلمين الذين بقيادة ، وبين المشركين أو اليهود بتسع غزوات من تلك الغزوات وهي : بدر ، وأحد ، والخذق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، والطائف ، بينما فرّ المشركون في تسع عشرة غزوة منها بدون قتال .

ومع ذلك لم يفشل الرسول في أي معركة خاضها المسلمون بقيادته ، حتى غزوة أحد لم تكن فشلاً للمسلمين من الناحية العسكرية كما أسلفنا سابقاً .

ولو لم يكن الرسول هو القائد في معركة (أحد) ، فهل كانت تكون نتائجها خلاص المسلمين من الموقف الخطير الذي أحاط بهم من كل مكان ؟

بل لو لم يكن الرسول هو القائد في معركة بدر والخذق وحنين ، فهل كان ينتصر المسلمون في كل هذه الغزوات ؟

إن الذي يدورس غزوات بدر وأحد والخذق وحنين ويطلع على موق

الطرفين : المسلمين والمشركين ، ويدقق في تطور المعركة ، يجد بوضوح الأثر الشخصي الفعال لقيادة محمد للمسلمين ، ذلك الأثر الشخصي الحاسم الذي لو لم يكن المسيطر الاول على سير القتال ، تبدل وجه التاريخ الاسلامي عما هو معروف به الآن .

فما هي أسباب انتصار الرسول في كل معركة خاضها ؟

إن انتصار الرسول يرجع إلى أربعة أسباب هي :

قيادة عبقرية هي قيادة محمد ؛ وجنود ممتازون هم المسلمون الأولون ؛ وحرب عادلة هي حرب المسلمين لاعدائهم ؛ وأخيراً تؤدي الحالة العسكرية لاعداء المسلمين من العرب والروم والفرس .

السبب الاول

قيادة عبقرية

١ - مجمل صفات القائد

مزايا القائد الشخصية المثالية - كما تنص عليها نظمات الخدمة السفريّة وهي من أوثق المصادر العسكريّة الحديثة : « ينحصر أهم واجب للقائد في إصدار القرارات .

« ولكي تكون قراراته صحيحة ، لا تكفيه الشجاعة الشخصية ، ولا الإرادة القوية الثابتة ولا تحمّل المسؤولية بلا تردد ، بل فضلاً عن ذلك عليه أن يكون واقفاً وقوياً تاماً على مبادئ الحرب ، وقادراً على إبداء الحكم السريع الواضح ، وذا نخيلة مقرونة بمزاج لا تأخذه نشوة الفوز ولا تنبسط عزيمته كارتة الحيلة ، وأن يكون سابراً غوراً الطبع البشري .

« ويتمكن القائد من المحافظة على معنويات قوته وتنفيذ أوامره ، بالثقة والولاء اللذين يبعثهما في نفوس رجاله بقدر ما يتمكن من ذلك بوساطة الضبط . « فالشخصية القوية ، ومعرفة الطبع البشري ، وإصالة الرأي الموزون ، والتفاهم مع المرؤوسين ، عوامل أدبية جوهرية في تنشئة الكفاءة العسكريّة ، فعلى القائد أن يغتنم كل فرصة سانحة للاتصال بمرؤوسيه الآمرين وقطعائه ، للوقوف على صفاتهم وما فيهم من جدارة . »

هذه هي الصفات المثالية للقائد التي تنصّ عليها نظمات الخدمة السفريّة ، وتضيف الى كل ذلك بعض المصادر العسكريّة الحديثة ، ضرورة تحلي القائد بالقابلية البدنية ليستطيع مشاركة قواته في تحمل مشاق القتال . وهناك من يضيف الى كل ذلك الماضي الناصع المجيد . والصفات المثالية للقائد

إذن هي : القابلية على إعطاء القرار السريع الصحيح - الشجاعة الشخصية -
الارادة القوية الثابتة - تحمل المسؤولية بلا تردد - معرفة مبادئ الحرب -
نفسية لا تتبدل في حالي النصر والاندحار - سبق النظر - معرفة نفسيات
مرؤوسيه وقابلياتهم - ثقة قطاعاته به وثقته بقطاعاته - المحبة المتبادلة بينه وبين
قواته - شخصية قوية نافذة - قابلية بدنية - ماضٍ ناصع مجيد .

هذه هي الصفات المثالية للقائد الممتاز ، وهي نتيجة لدراسة شخصيات أبرز
القادة في التاريخ ؛ لذلك هي مجموعة من مزايا شخصيات كثيرة لا شخصية واحدة ،
لذا من الممكن أن تتوفر في شخص واحد ، كما هو معروف .

ولكن كل هذه الصفات المثالية قليلة جداً بالنسبة الى صفات الرسول ، فهناك
صفات أخرى يتحلى بها محمد لم تتطرق اليها الكتب العسكرية ، لانها صفات
يصعب على القادة التحلي بها ، بل هي فوق طاقة البشر بصورة عامة وذوي
السلطان منهم بصورة خاصة .

سنطبق كل هذه الصفات على شخصية محمد العسكرية ، امتداداً الى تاريخه
العسكري الذي تحدثنا عنه في الفصول السابقة ، لنرى بصورة جازمة : أن هذه
الصفات كلها بل أكثر من هذه الصفات كلها كانت من مزايا قيادة الرسول .

٢ - تفصيل الصفات

أ - قرار صحيح وسريع

لا بد للقائد أن يصدر قراراً صحيحاً وسريعاً . لبني خطته امتداداً الى
قراره هذا ، ويعمل بموجب تلك الخطة في إدارة رحى القتال .
فكيف يكون القرار صحيحاً وسريعاً ؟

يستند إصدار القرار الصحيح السريع الى عاملين : القابلية العقلية للقائد ،
والحصول على المعلومات .

وليس هناك من ينكر القابلية العقلية التي كان يمتاز بها الرسول ، تلك القابلية
التي لا يختلف فيها المسلمون وغير المسلمين ، فهو الذي بشر وأنذر وكافع

وناقش عقليات كبيرة ووحدة أمة ، فهل يمكن أن يتم ذلك إلا لعقيلة جبارة
نافذة ؟

أما الحصول على المعلومات ، فيكون بوساطة دوريات القتال والاستطلاع
وبالعيون واستنطاق الأسرى والاستطلاع الشخصي وباستشارة ذوي الرأي .
لقد كان هدف الرسول من كافة السرايا والغزوات التي أرسلها قبل غزوة
بدر الكبرى ، هو الحصول على المعلومات عن المنطقة المحيطة بالمدينة والطرق
المؤدية إلى مكة والتعرف على سكانها وعقد الأحلاف معهم .

وفي معركة بدر الكبرى ، أرسل دورية استطلاعية لمراقبة عودة قافلة أبي
سفيان ، وأرسل دوريات استطلاعية أمام قواته المتقدمة باتجاه بدر ، وأرسل
دوريتي استطلاع قبيلي وصوله خولان إلى بدر ، بل قام الرسول بنفسه بالاستطلاع
الشخصي ليتأكد من قوة قريش والمواضع التي وصلت إليها .

كما استفاد الرسول من استنطاق الأسرى الذين استطاعت إحدى دوريات
الاستطلاع القبض عليهم قبيل معركة بدر ، فعلم منهم بأسلوبه الرائع في الاستنطاق
الموضع الذي وصلته قريش وعدد قواتها من الرجال .

واستفاد من معرفة أحد أصحاب خواص مياه آبار بدر وأسلوب السيطرة
على مياهها . فبدل معسكره الأول إلى معسكر مناسب يؤمن له السيطرة
على مياه الآبار .

هذه أمثلة من غزوة بدر وحدها ، وكل غزواته أمثلة على تشبه بالحصول
على المعلومات . لقد عرف محمد كل نوايا أعدائه قبل وقت مبكر ، واستطاع أن
يقضي على تلك النوايا العدوانية قبل أن يستغل أمرها ، فلم يهجم اليهود ولا
القبائل أمراً إلا لا يعرف ما لهم وما غوراً ، فيتغلب عليهم بسهولة .
نواياهم العدوانية في غزو دارهم ، واستطاع في كل مرة أن يترك شل أعدائهم
أن يهيئوا أنفسهم لتعريض أنفسهم .

لقد كان الرسول مثلاً في كل شيء من التخطيط وخارجية ، ولم
يتهاون لحظة من جميع المراحل ، ولا يهبط لأفكاره وسريته ،

ولا عجب إذا كانت خطته التي يرميها استناداً الى تلك القرارات ناجحة الى أبعد حدود النجاح .

ب - شجاعة شخصية

شجاعة الرسول الشخصية بارزة في كل معاركه التي خاضها . وفي كل أعماله العسكرية وغير العسكرية على حد سواء .

قراره قبول معركة بدر الكبرى، وهي أول معركة حاسمة خاضها المسلمون، شجاعة نادرة ، لأن موجود قواته ثلث موجود قوات قريش، ولأن فشل المسلمين في هذه المعركة قد يقضي على مستقبل الاسلام .

وصموده أمام عشرة آلاف من الأحزاب في غزوة الخندق شجاعة نادرة أيضاً خاصة بعد نكث اليهود عهودهم ؛ فأصبح الخطر يهدد قوات المسلمين من خارج المدينة ومن داخلها .

نزل في غزوة بدر الكبرى ليباشر القتال بنفسه ، وفي ذلك يقول علي بن أبي طالب : انّا كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الخدق ، اققينا برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو . ،

وفزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق الناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ رجلاً على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول : لم تراجعوا .

وفي أحد كلف مع جماعة من أصحابه للخروج من الطوق الذي أحاطهم به المشركون ، فاستطاع أن يخلص المسلمين من فناء أكيد ، ولم يكتف بذلك بل قام ببطاردة قريش الى موضع (حمراء الأسد) .

ولو لم يصمد الرسول مع عشرة فقط من أصحابه يوم حنين ، لاستطاعت هوازن وثقيف أن تبيد المسلمين .

تلك مواقف يتصدع منها قلب أشجع الشجعان، ومع ذلك فقد ثبت الرسول فيها غير مكترث بما يحرق به من أخطار .

ولولا شجاعة الرسول الشخصية التي أظهرها في هذه المواقف وفي غيرها لما انتصر المسلمون أبداً (١) .

ج - إرادة قوية ثابتة

صمود الرسول وحده تجاه التيار الجارف من المشركين منذ نزول الوحي عليه حتى التحاقه بالرفيق الأعلى ، دليل على إرادته القوية الثابتة التي لا تتزعزع .

تحمل الاعراض والتكذيب والأذى والأخطار صابراً ، وهاجر من بلده الى بلد آخر ، واستمر يكافح حتى كوّن له قوة تسانده وتؤمن بالاسلام .

ثم كافح بهذه القوة أعداءه في الداخل والخارج : في داخل المدينة ضد اليهود والمنافقين ، وفي خارج المدينة ضد المشركين وعلى رأسهم قريش .

والكنه صمد لكل هذا العناء ، مصراً على مكافحة مَنْ حوله من الناس جميعاً ، حتى يظهر الله دينه ، غير مكترث بتفوق أعدائه على قواته تفوقاً ساحقاً .

ان حياة محمد كلها مثال رائع للإرادة القوية الثابتة .

د - تحمل المسؤولية

لم يكن هناك من يشارك الرسول في تحمل المسؤولية الضخمة في كافة أعماله العسكرية ، وغير العسكرية ، وما أعظمها من أعمال غيرت وجه التاريخ .

رأيي .. مسؤولية أخطر وأعظم من المسؤولية التي كان يتحملها الرسول منذ مبعثه حتى التحاقه بالرفيق الأعلى .

(١) من أمثلة شجاعته النادرة في غير ساحات القتال ، حادثة ذهاب رجاله المشركين الى عمه ابي طالب مهددين متوعدين ، فقال له عمه : « يا ابن اخي . ان قومك قد جاءوني فقالوا : كذا وكذا ، فابق علي وعلى نفسك ولا تحملي من الامر ما لا أطيق » .. فأجاب الرسول : « والله يا عم لو وضوا الشمس في عيني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر ، ما تركته حتى يظهره الله او اهلك » فبالها من شجاعة نادرة لا تفسر عند اشجع الشجعان !

ان أصحابه كانوا يعاونونه في كل شيء، ولكنه وحده كان يعمل مسؤولية كل شيء .

هـ - قضية لا تبدل

لم تبدل قضية محمد في حالي النصر والانهيار . لقد كان مسيطراً على اعصابه سيطرة أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة في أحد المواقف حرجاً وفي أحلك الظروف .

لم يكن سهلاً السيطرة على الاعصاب عند تطبيق المبادئ له وبعض أصحابه في أحد من كل جانب ، ومع ذلك سيطر على أصحابه وعاشه قضية المسلمين التي ساحل الأمان .

ولم يكن سهلاً السيطرة على الاعصاب يوم الأحزاب خاصة بعد غدر اليهود ، ومع ذلك سيطر على أصحابه . فصد الأحزاب وقضى على اليهود .

ولم يكن سهلاً السيطرة على الاعصاب يوم حنين ، لما صد مع عشرة فقط من أصحابه تجاه التيار الجارف من مطاردة المشركين ، ومع ذلك فقد سيطر على أصحابه وحرم أعداءه ، ضاد أصحابه الذين لبروا أموى المشركين مكبلين بالاصطاد .

تلك أمثلة من سيطرته على أصحابه في وقت الشدة ، أما في وقت الرخاء ، فقد كانت سيطرته أروع بكثير مما هي عليه في وقت الشدة .

أكبر مثال على ذلك يوم فتح مكة ، فقد رآه المسلمون يومذاك وقد أخذ رأسه على وجهه وبدأ عليه التواضع الجمل ، حتى كادت عينه تغمى واحطة واحطة ؛ وكلما اقتنصر بأهية نصره ازدهر تولعماً ولزماً على راحته مشرعاً ..

ان قيمة سيطرة الرسول على أصحابه في مثل هذا الموقف التي بعد أصحابه نصر المسلمين تضاعف إذا قارننا مواقف العظماء والجيوش التي تفرق تحت النخلة منه المصطوم ، ونهب يوم الحلي من قبل أعدائهم في ذلك وهو لم يكن الناس والأمر ال ...

لقد استمر بعد وصوله اعلى مراتب السيطرة والسلطان بسيطاً في مأكله ومشربه وملبسه وفي حياته كلها كما كان في اول ايامه يتيماً معدماً : استمر يأكل نفس النوع البسيط من الطعام ويلبس نفس الرداء الساذج ويبذل في كل تفاصيل حياته نفس البساطة التي اعتادها في ايامه الاولى . حقاً إنه كان يمتلك نفسه لا تتبدل !

و - سبق النظر

الحجة التي تحسب حساب كل شيء او سبق النظر او بعد النظر كلها تعني ضرورة تفكير القائد بكافة الاحتمالات القريبة والبعيدة ، وادخال اسوأ الاحتمالات في حسابه ، واعداد الخطط لكل موقف محتمل ، حتى يمكن تطبيق تلك الخطط عند الحاجة دون تردد ولا ارتباك .

لقد كان محمد يتعمق بمزية سبق النظر في كل الحملة العسكرية وغير العسكرية ، والامثلة على ذلك اكثر من ان نحصي .

أصر الرسول على قبول شروط هدنة الحديبية ، لانه سبق النظر ، فعرف بفكره الناقب ، أن قبول هذه الشروط نصر للمسلمين ، فهي تؤمن لهم الاستقرار ، وقد رأينا كيف ان هذا الاستقرار جعل جيش المسلمين يصبح عشرة آلاف مقاتل في فتح مكة ، وكان الفأ واربعماية في غزوة الحديبية قبل سنتين .

وكانت كل الدلائل تبشر باستسلام قريش يوم الفتح ، ومع ذلك اتخذ الرسول التدابير لمواجهة أسوأ الاحتمالات ، فقسم قواته الى أربعة وقال ، ودخل مكة من جهاتها الأربع بتشكيلات القتال ، حتى تستطيع قواته القضاء على كل مقاومة بكل سهولة دون ان تباغت من جهة غير متوقعة ، فتكون العاقبة شراً على المسلمين .

لقد كان محمد يفكر بكل كبيرة وصغيرة . وبعد لكل أمر عدته ، ويتخذ كافة متطلبات الحذر والحيلة ، لذلك لم يستطع اعداؤه مباغتته في اي موقف ، واستطاع ان يباغت اعداءه في اكثر غزواته .

ز - معرفة النفسيات والقابليات

عرف الرسول نفسيات وقابليات اصحابه ، لانه كان يعيش بينهم كفرد منهم يشاركهم في السراء والضراء

عرف مزايا الجميع ، وكلف كل واحد منهم بواجب يتفق مع قابليته البدنية والعقلية ، لذلك استطاع اكثر اصحابه انجاز مهمتهم بكفاءة واتقان .

استمال قلوب المؤلفة فلوهم بالمسال بعد حنين ، لان المادة كانت تطفئ على جوانب تفكيرهم ، اذ لم يستشعروا بعد حلاوة الايمان . قال صفوان بن امية : « ما زال رسول الله يعطيني من غنائم حنين وهو ابغض الخلق الي ، حتى ما خلقت الله شيئاً احب إلي منه !! .. »

ولكنه حرم الانصار من الغنائم ، لانهم كانوا اغنياء بايمانهم العظيم ، وقد بكوا حتى اخضعوا لحام حنن قال لهم الرسول : « افلا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس الى رحالهم بالشاة والبعير ، وتذهبون برسول الله الى رحالكم ؟ » ...

قال الانصار : « رضينا بالله وبرسوله قسماً .. »

وأمسك الرسول يوم احد بسيف ، وقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ » فقام اليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قام ابو دجانة ، فقال : « وما حقه يا رسول الله ؟ » ...

قال الرسول : « ان تضرب به العدو حتى ينحني ، »

قاتل ابو دجانة بهذا السيف قتلاً شديداً ، فلما دارت الدائرة على المسلمين ، قرس بنفسه دون رسول الله ، فحنى ظهره عليه والنبل يقع فيه .

لقد كان الرسول يعرف ان بين اصحابه شجعاناً مغاور ، فكلفهم بواجبات تحتاج الى الشجاعة كأبى دجانة ، وكان يعرف ان بين اصحابه من لا يقوى قلبه على الحرب كحسان بن ثابت ، فتركه مع النساء يوم احد والخندق واستفاد من شعره البليغ للدعاية ، وكان يعرف من بينهم صاحب الرأي والمشورة ومن

بينهم من يستطيع قيادة غيره . ومن بينهم من لا يستطيع ان يكون اكثر من جندي بسيط ، فكلف كل واحد من هؤلاء بواجب يستطيع إنجازه .

انه لم يحمل شخصاً فوق ما يطيق ، وهذا دليل على معرفته نفسيات وخواص وقابليات اصحابه جميعاً .

ولعل اهم ميزة يمتاز بها الرسول على غيره من القادة والرسل ، هي انه كان قديراً على اختيار الرجال لما يناسبهم من اعمال . . انه كان يعرف النفسية البشرية ويقدرها حق قدرها ، ويعرف كيف يوجهها الى ما يناسبها .

ح - الثقة المتبادلة

كانت ثقة اصحاب الرسول به عظيمة جداً ، كما كانت ثقته بأصحابه عظيمة ايضاً ، ويكفي ان تذكر موقف المسلمين من صلح الحديبية ، اذ لولا ثقتهم العظيمة بالرسول ، لرفضوا هذا الصلح .

اما ثقته بأصحابه فيكفي للدلالة عليها انه قبل زج قوائمه في معركة بدر وبينما كانت قوات المشركين ثلاثة امثال قوائمه كما زج بهم في معركة احديبها كانت قوات المشركين خمسة امثال قوائمه . . الخ

ولا يمكن ان يقبل القائد الاشتباك بمعركة لا يعرف مصيرها ضد اعدائه المتفوقين على قوائمه تفوقاً ساحقاً ، الا اذا كان ذلك القائد يثق بقوائمه ثقة عظيمة جداً ...

ط - المحبة المتبادلة

ظهرت محبة الرسول لاصحابه ، ومحبة اصحابه له في كل غزواته ، بل في كل موقف له في السلم والحرب .

حينما ان تذكر موقف اصحابه منه في معركة احد ، لما احدث به المشركون من كل جانب وصوبوا عليه ناهم ، فأخذ المسلمون يصدون عنه النبال المصوبة عليه بأجسادهم ، ولم يقتصر ذلك على الرجال ، بل شمل النساء ايضاً ، فقد ألفت

نسبية سقاهما ، واستلّست سيفاً وأخذت تزدود به عن محمد حتى خلعت الجراح
 إليها ، فأصبحت يومذاك بثلاثة عشر جرحاً ، وأغشى عليها من الزيف ، فلهذا
 افافت لم تسأل عن زوجها ولا عن ولدها اللذين كانا بقاتلان مع الرسول ، بل
 سألت اول ما سألت بعد ان عاد اليها وعيها : « وكيف حال الرسول ؟ » ..

ولما مرض مرضه الذي توفاه الله فيه ، اعتكف في بيت عائشة ، ورفع الرسول
 الست المصروب على منزل عائشة وفتح الباب وبرز للناس ، فكاد المسلمون
 يقتنون في صلاتهم ابتهاجاً بروثيته .

ولما قبض الرسول وتسرب النبأ الفادح ، شعر المسلمون ان آفاق المدينة
 اظلمت عليهم ، فتركهم لوعة الشكلى حيارى لا يدرون ما يفعلون .

اقد كان اصحاب الرسول يحبونه اكثر من حبهم ~~الانفسهم~~ ، لان حبهم له دين ،
 ولو لم يكن ديناً لاحبوه ايضاً ، لانه يستحق الحب والتقدير .

اما حب الرسول لاصحابه ، فيكفي ان نذكر كيف نعى شهداء مؤتة وعيناه
 تذرفان ، وكيف انه رضى ما اقترحه عمر حول قتل حاطب بن ابي بلتعة ، لانه
 ارسل كتاباً الى قريش يخبرهم فيه بمركة المسلمين لفتح مكة ، بل على العكس ،
 امر الرسول ان يذكر المسلمون حاطباً ، بأفضل ما فيه .

اقد كان يحب اصحابه حباً لا مزيد عليه ، فإذا سلم عليهم لا يكون البادى
 ابداً بمسح يده عن السلام ، وكان يلقى الناس ~~حفاً~~ بوجه باسم متهلل ، وكان
 يلبس النخبة وكان البادى دائماً اصحابه بالتهبة .

ما اعظم هذا الحب المتبادل بين القائد وجفوده !

ي - الشخصية

ارسلت قريش عروة بن مسعود الثقفي ~~الملاوغة~~ الرسول في الحديبية ، فعاد
 الى قريش يقول : « يا معشر قريش ، اني كنت كرى في ملكك ، وقصر في
 ملكك ، والنجاشي في ملكك ، واني والله ما وليت ملكاً في قوم قط مثل محمد .

لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ، ولا يسقط من شعره شيء إلا اخذوه ، وانهم
يسلموه لشيء أبداً .

هذا الوصف الرائع يصف مشرك من اعداء الرسول شخصية الرسول
فما هي اسباب هذه الشخصية القوية النافذة التي كان يتجلى بها الرسول ؟

لقد كان الرسول متواضعاً حليماً ، رؤوفاً ، رحيماً ، ومع ذلك لا يستطيع
احد ان يرفع صوته فوق صوت النبي ، ولا يستطيع احد ان يديم النظر الى وجه
الرسول ، ولا يستطيع احد ان يرد له امرأ او يتردد في تنفيذه .

إن أسباب قوة شخصية الرسول ، هي محبته للناس جميعاً ورغبته الشديدة في
خيرهم وهدايتهم ، وخلقه العظيم .

تقول كتب علم النفس الحديث : « إن الذين يعملون على إفادة أكبر جزء
ممكّن من المجتمع الانساني ، يعتبرون أرقى الشخصيات جميعاً ، وهم في الغالب
أقربها الى درجات التكامل .

« إن درجة تكامل الشخصية تناسب تناسباً « طردياً » مع اتساع دائرة
المجتمع الذي يرمي الفرد الى إسعاده ، فأقلها تكالاً التي يسعى صاحبها فقط
لإسعاد ذاته إذ لا بد أن تتعارض نزعاته الذاتية مع نزعاته الاجتماعية في تحقيق
غايته الذاتية .

« ويلبها من يسعى صاحبها لإسعاد أسرته وأولاده ، ثم يلبيها من يعمل صاحبها
على إسعاد أقاربه ، ويلبها من يعمل على إسعاد هؤلاء واصدقائه ، ويلبها من
يعمل لإسعاد أهل بلده أجمعين .

« وهكذا الى ان تصل الى من همّة الاول والاخير لإسعاد المجتمع بأوسع ،
معانيه ، وهنا قد نصل الى مرحلة رُبما تبدو مجردة كالبحث عن الحقيقة ومناصرة
العدل وخدمة المجتمع » .

هذا نص ما تقوله كتب علم النفس الحديث . أرايت كيف أنها تقر واستبعاد
إمكان أن يكون هناك إنسان همه الأول والأخير إسعاد البشر ؟

إن الرسول فعل ذلك ، بل فعل أكثر من ذلك ، ومن حق هؤلاء العلماء
أن يستبعدوا إمكان وجود انسان مثالي ، كان همه إسعاد الناس بل إسعاد
العالمين لأنهم مجهلون سيرة الرسول الذي يقول : لا يؤمن أحدكم حتى يحب
لأخيه ما يحبته لنفسه .

فلا عجب أن تكون له كل هذه الشخصية الفذة بكل هذا النور والجلال .

ك - القابلية البدنية

كانت للرسول قابلية بدنية فائقة ، وقد رأيت كيف يلجأ اليه اصحابه عند
حفر الخندق كلما استعصت عليهم صخرة فيسرع اليها لتحطيمها ، حيث تفتتت
تحت وطأة مطرقة التي يهوي بها ساعده القوي .

شارك أصحابه في حراساتهم وفي استطلاعاتهم وفي مسيراتهم الطويلة الشاقة
في كافة فصول السنة ، وأظهر في كل ذلك تحملاً وجلداً يعجز عنه أقوى أصحابه .

ل - الماضي الناصع المجيد

كانت العرب تعتقد بالنسب ، والرسول من قريش أشرف العرب ومن بني
هاشم أشرف قريش ، ولذلك هو أشرف العرب حسباً وأفضلهم نسباً من قبل
أمه امة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، ومن قبل أبيه عبدالله بن عبدالمطلب
ابن هاشم بن عبد مناف .

أما سيرته الشخصية قبل بعثته صلوات الله عليه ، فلأترك سير وليم ميور
(Sir William Muir) يتحدث عن ذلك ، وقد اوردت هذا الحديث عمداً
- على اعتبار ان كاتبه ليس مسلماً - حتى استبعد اتهام كاتبه بالتعصب والمغالاة ..
يقول ميور : « تجمع كل مراجعنا وأسانيدنا - فيما ينسب الى محمد في شبابه من
سيرة التواضع والاحتشام وطهارة الخلق - على صورة فادرة الوجود بين
المكيين - » . ثم يعود فيقول : « ربما وهب له من عقل راجح وذوق رفيع

وحرص دقيق وعمق في التأمل ، عاش منظوباً على نفسه طويلاً ، متخذاً من تأملاته العقلية - دون ريب شاغلاً لوقت الفراغ الذي كان يقتله غيره - من ذوي الطابع الخسيس - باللهو السمج والفجور الماجن والسلوك الخليع . وقد وقع خلق ذلك الشاب القويم ومسلكه الورع والعفة موقع الحمد والثناء من قلوب قومه جميعاً وباجتماعهم عن طيب خاطر قال لقب (الصادق الأمين) .

ويقول : « لم يولع محمد بالثراء أبداً ولم تبد منه في أية فترة من فترات حياته الرتيبة الهادئة الوداعة على جلبه الرحلة وضوضاء التجارة وهموم السفر ، ولم يكن محمد ليفكر ابداً من تلقاء نفسه في مثل هذه الرحلة ، ولكن ما ان افترح عليه ذلك حتى استشعر نفسه الكريمة على الفور ضرورة البذل لما في وسعه من جهد مساعدة لعمه » .

كانت حياته لا سيما في فجرها المبكر تتميز بالحنو والعطف على اليتيم والفقير والأرمل والبائس والضعيف والرقيق ، ولم يذق الحمر أبداً ولم يلعب الميسر ... يقول ميور : « ان أوثق برهان على صدق محمد وإخلاصه ، ان كان اسبق الداخلين في الاسلام من ذوي الاستقامة في خاصة أصفائه وأهل بيته ، الذين لا يستطيعون - مع معرفتهم الوثيقة بدهائق حياته الخاصة تفصيلاً - أن يفوتهم مجال من الاحوال إدراك ما تنطوي عليه أساليب الأفاكين في نفاقهم . من إسدال السجف والامتناع على ما يأتون من أعمال تتناقض حقائقها في سريرتهم مع ما يدعون اليه جهراً » .

واسمع الى زوجه خديجة تقول له مشجعة عندما جاءه الوحي : « ابشر يا ابن العم واثبت . فوالذي نفس خديجة بيده اني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة . والله لا يخزيك الله أبداً . انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق » .

واسمع قوا ، الله تعالى فيه « وانك اعلى خلق عظيم » .

اقد كان ماضي الرسول مجيداً مشرفاً باجماع اصحابه وأعدائه على حد سواء .

م - معرفة وتطبيق مبادئ الحرب (١)

كان الرسول يعرف مبادئ الحرب بالفطرة السليمة التي تدل على استعداد الفطري الممتاز للقيادة .

وقد طبق الرسول هذه المبادئ في معاركه كلها ، مما كان له أثر حاسم في انتصاراته .

لقد تطرقنا عند بحث أعمال الرسول العسكرية الى أمثلة كثيرة من تطبيقه العملي لمبادئ الحرب العشرة : اختيار المقصد وإدامته ، التعرض ، المباغتة ، تحشيد القوة ، الاقتصاد بالجهود ، الأمن ، المرونة ، التعاون ، إدامة المعنويات ، الأمور الإدارية .

وسند كر بعض هذه الاثلة ، للدلالة على تطبيق هذه المبادئ بكفاءة تدعو الى الإعجاب .

أولاً - اختيار المقصد وإدامته (٢)

كان الرسول يختار مقصده بالضبط ، ويفكر في أقوم طريقة للوصول اليه ، ثم يقرر خطة مناسبة للحصول عليه .

أفد ظهر مبدأ (اختيار المقصد) في اول معاهدة عقدها الرسول بعد هجرته الى المدينة ، تلك المعاهدة المعقودة بين المسلمين من جهة ، والمشركين واليهود من

(١) مبادئ الحرب :

هي الجوهر الذي ينشئ في القائد (الحجة) الصحيحة في تصرفاته في الحرب ، وهي المنصر الذي يتكون منه ملك القائد في عمله بصورة طبيعية وغير متكلفة .

(٢) اختيار المقصد وإدامته :

في كل حركة حربية من اللازم اختيار المقصد وتعريفه بوضوح . ان المقصد النهائي هو تحطيم ارادة العدو على القتال ، يجب ان توجه كل صفحة من الحرب وكل صفحة منفردة نحو هذا المقصد الاعلى ، ولكن لكل منها له مقصد محدود يجب ان يعرف بوضوح .

أهل المدينة من جهة أخرى ، فنصت تلك المعاهدة على انه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن .

إن قريشاً أخرجت الرسول وأصحابه من مكة ظمناً وعدواناً فمن حقه ان تكون قريش (مقصده) الحيوي الذي يختاره .

ولعل من ابرز امثلة (اختيار المقصد ، ما فعله الرسول في غزوة الحديبية . لقد كان (مقصده) من تلك الغزوة التأثير على معنويات قريش من غير قتال . فخرج محرماً واستصحب أسلحة الراكب ؛ فلما علم باقتراب قوات قريش من قواته ، ترك الطريق العام الى طريق فرعية وعرة للتخلص من القتال ، حتى وصل بقواته الى الحديبية ، وبقي هناك مصراً على (مقصده) ، فأفسح المجال للمفاوضات ؛ وعندما هاجم بعض المشركين معسكر قواته وألقى المسلمون القبض على المهاجرين ، أطلق سراحهم دون أن يلحق بهم أذى .

وبقي مصراً على هدفه في عدم مهاجمة قريش ، حتى تم له عقد صلح الحديبية ، على الرغم من تدمير بعض أصحابه من هذا الصلح .

ان الرسول كان (يختار مقصده) غاماً ولا ينسأه أبداً في كافة أعماله العسكرية وغير العسكرية .

ثانياً - التعرض (١)

يمكن اعتبار كافة غزوات الرسول تعرضية ، اعدا غزوتي أحد والخذق ، اذ أن المشركين هم الذين حشدوا قواتهم في منطقة المدينة وتعرضوا على المسلمين .

لقد استطاع الرسول بثتى الأساليب الحصول على المعلومات عن نوايا اعدائه قبل وقت مناسب ، وبذلك استطاع أن يتعرض بأعدائه ويقضي على نواياهم العدوانية .

(١) التعرض

هو الهجوم على العدو لضعفه ، ولا يتم الحول على النصر الا بالتعرض وحده .

ان التعرض ليس معناه التعرض ، بل معناه الروح الهجومية التي يتحلى بها القائد ، لأن الدفاع وحده لا يؤدي الى النصر الحقيقي بل الى نصر موضعي فقط في حالة نجاحه ، أما التعرض فيؤدي في حالة نجاحه الى النصر .

ثالثاً - المباغطة (١)

المباغطة احداث موقف لا يكون العدو مستعداً له ، والكتان من أهم الوسائل المهمة التي تؤدي المباغطة .

إن الكتان يتم إما باخفاء استعداداتنا أو باخفاء نوايانا . أو باستعمال اسلحة جديدة أو استعمال الأسلحة الموجودة بطريقة جديدة .

والمباغطة اما ان تكون في المكان او في الزمان في الأسلوب ، لقد طبق الرسول مبدأ المباغطة بكافة هذه الحالات ، حتى يمكن اعتبار غزواته نماذج رائعة لتطبيق أساليب المباغطة .

كانت المدينة هي القاعدة الأمنة للمسلمين ولكنها كانت تعج (بالرتل الخامس (٢)) الذين لا يريدون خير المسلمين ويعملون على احباط أهدافهم بشتى الطرق والأساليب .

(١) المباغطة :

المباغطة أقوى العوامل وابعدها أثراً في الحرب ، وتأثيرها المعنوي عظيم جداً ، وتأثيرها من الناحية النفسية يكمن فيما تعدنه من شلل متوقع في تفكير القائد الخصم .

وفيما يلي بعض الوسائل التي يمكن الحصول بها على المباغطة :

١ - بكتبان الاستعدادات للتخطيط المربية وبكتبان جسامه القوات الاختياطية .

٢ - بالتقلع السريع للانقطاعات من نقصة الى اخرى تمهيداً لانزال الضربة على موضع لا يتوقه العدو .

٣ - باستخدام الارض الشديدة او بعبور الموانع التي تعتبر غير قابلة العبور .

٤ - باستخدام اسلحة جديدة غير متوقعة او أساليب تعبوية جديدة .

(٢) الرتل الخامس : كناية عن الجواسيس والكلاء والعيون والارصاد .

من هؤلاء الرتل الخامس اليهود والمنافقون وعيون قريش من الاعراب وعيون الروم من الأنباط ، وكان هؤلاء ينقلون اخبار المسلمين الى اعدائهم كلما استطاعوا الى ذلك سبيلاً .

ولكن الرسول حرص على كتمان نواياه حرصاً شديداً ، فكان اذا اراد غزوة ورعى غيرها ، فينقل الرتل الخامس تلك المعلومات الخاطئة ، بما يؤدي الى بلبلة افكار اعداء المسلمين .

ومن أمثلة الكتمان الشديد . تلك (الرسالة المكتومة) التي ارسل بها مع عبدالله بن جحش .

لقد امر الرسول عبدالله بن جحش الا " يفتح هذه الرسالة إلا " بعد يومين من مسيره ، فاذا فتحها وفهم مضمونها مضى في تنفيذها ، وبهذه الطريقة لم يستطع احد من اهل المدينة على اختلاف اهوائهم وميولهم ، ان يعرف نوايا الرسول ولا واجب سرية عبدالله وهدفها .

وقد اخفى نواياه في غزوة الفتح حتى عن اهله وصديقه ابي بكر دخل ابو بكر على ابنته عائشة زوج النبي وهي تهيء جهاز الرسول ، فقال لها : « اي بنيت » . اأمرك رسول الله ﷺ ان تجهزوه ؟ » قالت : « نعم ، فتحجز » . قال ابو بكر : « فأين تربنه يريد ؟ » قالت : « والله لا ادري » . بهذا الكتمان ، استطاع الرسول ان يحرك جيشاً كبيراً من عشرة آلاف مسلم لفتح مكة دون ان تستطيع قريش معرفة وقت حركته ولا نواياه ، حتى وصل الجيش الى ضواحي مكة ، فاضطرت قريش على التسليم .

ومن امثلة المباغتة في المكان غزوة بني الحنظلة ، فقد تحرك الرسول بقواته سراً باتجاه الشام حتى لا تعرف قريش وبني الحنظلة اتجاه حركته الحقيقي ، فلما انتشرت اخبار حركة المسلمين الى الشمال ، عاد الرسول بقواته فجأة باتجاه بني الحنظلة ، وبذلك باغتتهم في المكان .

وفي غزوة خيبر تحرك الرسول الى (الرجيع) قريباً من ديار غطفان (وبعد ان ارسل مفرزة صغيرة من قواته الى معسكر غطفان ، عاد بقواته الرئيسية

الى خير، وبهذه الحركة اودهم غطفان بأنه يريدهم واودهم يود خير بأنه لا يريدهم .
فباغت الطرفين ومنع تعاونها في قتال المسلمين .

ومن امثلة المباغطة في الزمان غزوة بني قريظة اذ تحرّك الرسول اليهم في وقت لا يتوقعونه ، فشلّ معنوياتهم واحتفظ بالمبادأة حتى نهاية المعركة .

كما أن مسير الاقزاب الذي أجراه الرسول في غزوة خير بهدوء وسكينة حتى وصل موضع خير ليلاً وأكمل تطويقها في نفس الليلة دون أن يستطيع اليهود معرفة وقت وصوله وتطويقه لقصبتهم ، وهذا المسير يعتبر مباغطة في الزمان .

ومن أمثلة المباغطة في الأسلوب . قتال الرسول بأسلوب الصف في غزوة (بدر) تجاه قريش التي قاتلته بأسلوب الكر والفر ، ومن الطبيعي أن أسلوب الصف له الأرجحية على أسلوب الكر والفر من الناحية العسكرية .

كما أن حفر الخندق في غزوة الأحزاب كان مباغطة في الأسلوب ايضاً ، لأن العرب لم تكن تعرف إنشاء الخنادق لغرض الحماية في الحصار .

وقد استخدم المنجنيقات والدبابات في غزوة حصار الطائف ، وهذا مباغطة في الأسلوب ايضاً . إن القائد العبقرى هو الذي يطبّق مبدأ المباغطة في معاركه ، والرسول قد طبّق هذا المبدأ بكل معاركه ، مما كان له اعظم الأثر على نتائجها الحاسمة .

رابعاً - تحشيد القوة (١)

منذ نزل الوحي على محمد فأصبح رسول الله ، وهو يعمل جاهداً ، في سبيل نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وانتشار الدعوة معناه ازدياد قوة المسلمين وإكمال تحشدهم .

(١) تحشيد القوة

هو حشد اعظم قوة ادبية وبدنية ومادية واستخدامها في الزمان والمكان الجازمين .

وهجرته الى المدينة من الناحية العسكرية ، معناها تحشد المسلمين في منطقة واحدة ليكونوا تحت قيادة واحدة .

ولم يبدأ الجهاد في الإسلام ، إلا بعد إنجاز التحشد ، إذ أصبح المسلمون بدرجة من القوة يستطيعون معها الدفاع عن الإسلام .

لقد رأينا في بيعة العقبة الثانية كيف انكشف للمشركين أمر هذه البيعة ، وكيف أظهر الأنصار في حينه عدم اكترائهم بخطر انكشاف بيعتهم . قال العباس بن عباد : « يا رسول الله ، والله الذي بعثك بالحق ان شئت ، لنحملن على أهل منى غداً بأسياقتنا » .

والكن الرسول كان أبعد نظراً وأرفع من أن تؤثر عليه الدافقة ، فقال له : « لم تؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا الى رحاكم » ..

فلما أنجز الرسول استحضارات تحشده في المدينة ، وعاهد أهلها من اليهود والمشركين ، بدأ القتال فعلاً ، لأن قوات المسلمين حينذاك أصبحت من الناحيتين المادية والمعنوية قادرة على حماية الدعوة وصيانة حرية الرأي .

إن الرسول طبق مبدأ التحشد في كل غزواته ، ولم يتردد أبداً في تحشيد أكبر قوة مادية ومعنوية في كل معركة خاضها .

خامساً - الاقتصاد بالجهود (١)

راعى الرسول مبدأ الاقتصاد بالجهود في كل غزواته ، ولم يندب قوة لواجب ما إلا وهي كافية لذلك الواجب من كافة الوجوه .

(١) الاقتصاد بالجهود

هو استخدام اصغر القوات للامن أو لتحويل انتباه العدو الى محل اخر او صد قوة معادية اكبر منها مع بلوغ الغاية المتوخاة .

ان الاقتصاد بالجهود يدل على الاستخدام المتوازن للقوى والتصرف الحكيم بجميع المواد تعرض للحصول على التحشد المطلوب في الزمان والمكان الحاسمين .

نظرة بسيطة الى الملحق (ح) ومقارنة قوات المسلمين بقوات اعدائهم ،
تظهر بوضوح مقدار حرص الرسول على تطبيق مبدأ الاقتصاد بالقوة .

سادساً - الامن (١)

لقد أمن الرسول حماية قواته في كافة غزواته ، وبذل جهده لمنع العدو من
الحصول على المعلومات ، وبذلك طبق مبدأ الأمن .

إن دوريات الاستطلاع والطلائع والسافات التي كان يؤمنها الرسول في مسير
الاقتراب وعند العودة من غزواته كان لغرض حماية قواته من مباغطة العدو لها .
كما أن تأمين الحراسات والمسس هو لحماية قواته ايضاً من مباغطة العدو لها .
وكما حرص الرسول على الحصول على المعلومات من اعدائه بشتى الوسائل كما
رأينا سابقاً ، فقد حرص على منع العدو من الحصول على المعلومات عن المسلمين
بشتى الوسائل ايضاً ..

وطبق مبدأ الكتمان في كل أعماله، وحث المسلمين على حفظ الاسرار وعدم
اباحتها ، وأمر ان يسارع المسلمون باخباره عن كل حادث مهم .
والحق ان المتتبع لحياة الرسول يعجب اشد الإعجاب بعرفته فوراً بكل
المعلومات التي تهمة وتؤثر على المصلحة العامة للمسلمين .

كيف عرف برسالة حاطب بن ابي بلنعة التي اخبر بها قريشاً بمحركة المسلمين
لفتح مكة ؟ كيف عرف بلازماع ابي سفيان على القدوم الى المدينة لتمديد فترة
الهدنة ؟ كيف عرف كل حركات المنافقين وكل مؤامرات اليهود وقضى عليها ؟
كيف احبط كل هذه المؤامرات ومنع اقتضاح نوايا المسلمين ؟
كل ذلك يدل على حرصه على كتمان نوايا المسلمين ، وحرمان العدو من
الحصول على المعلومات عن اهداف ومقاصد وحركات المسلمين .

(١) الامن :

هو توفير الحماية للقوة ولمواصلاتها لوقايتها من المباغطة ومنع العدو من الحصول على المعلومات .

سابعاً - المرونة (١)

كانت قوات المسلمين تتحرك الى اهدافها بكفاءة وسرعة .
لقد استطاعت قوات المسلمين ان تصل الى اعدائهم في الوقت المناسب ،
فتقوم باجباط نوايا العدو العدوانية ، قبل ان يكمل استعداداته التي تساعد
على النجاح .

وصلت قوات المسلمين الى درمة الجندل ، والى تبوك ، والى ربوع فلسطين
والى الطائف ، وكل هذه الأماكن بعيدة عن قاعدة المسلمين - المدينة ، وقد
قطعت اكثر هذه المسافات ليلاً ، وفي ظروف قاسية من ناحية المشاكل الإدارية
والطقس ، كما استطاع المسلمون ان يستمروا في الحركة ثلاثين ساعة متتابة عند
عودتهم من غزوة المصطلق .

وقد رأيت كيف كان الرسول مرناً في وضع خطته وفي تنفيذها وكيف انه
يعدل في تلك الخطط ، عند الحاجة حسب الظروف الراهنة .

كل ذلك يدل على تطبيق الرسول مبدأ (المرونة) وتحريك قواته بسرعة لا
تقل سرعة واتقاناً عن اقوى جيش حديث في هذا العصر ، لأن المسيرات الليلية
وقطع المسافات الطويلة والامستمرار في المسير ثلاثين ساعة كاملة ، دون استراحة ،
يدل على تدريب راق وكفاءة ممتازة .

(١) المرونة :

ان المبدأ الذي كان يسمى قبل الحرب العالمية الثانية بمبدأ (قابلية الحركة) اصبح يسمى الآن
مبدأ (المرونة) . ذلك لان (قابلية الحركة) تدل على الحركة المادية وهي صفة نسبية لا يعبر
عنها تعبيراً صحيحاً الا بالمقاومة مع قابلية حركة العدو .

ان (المرونة) تعني اكثر من ذلك ، انها لا تتضمن قوة الحركة فحسب بل قوة العمل السريع
كذلك ، فعلى القائد ان يكون مرناً الفكر وعليه ان يطبق تلك المرونة عند وضع الخطط
لحمته وان تكون خطته بشكل يمكنه من ان يعدل سريعاً حركات قواته حين تضطره الظروف
غير المنظورة .

ثامناً - التعاون (١)

لقد رأينا كيف تعاون الرماة مع السيفاء في غزوة بدر ، فقد نضع الرماة المشركين بنبلهم ووقعوا فيهم خسائر فادحة سهلت مهمة هجوم السيفاء للقضاء نهائياً على مقاومة قريش .

كما رأينا تعاون الفرسان مع المشاة في الغزوات الأخرى .

لقد أمّن الرسول مبدأ التعاون في غزواته كلها ، وذلك بإعطاء كل صنف واجباً يناسبه ، كما أن تعاون الصفوف فيما بينها في الوقت والمكان الجازمين ، وبذلك امن تسهيل مهمة الجميع للوصول الى النجاح المطلوب .

تاسعاً - إدانة المعنويات

يمكن تعريف المعنويات : بأنها الصفات التي تميز الجيش المدرب عن العصابات : بها تظهر الطاعة القائمة على الحب وتبرز الشجاعة في القتال والصبر على تحمل المشاق ، وتبرز كل المزايا التي تجعل الجندي مطيعاً بأسلاً صبوراً .

ولست بحاجة الى التحدث عن طاعة جنود محمد القاطنة على الحب المتبادل والثقة المتبادلة . ولا عن شجاعتهم وجلدهم في القتال وصبرهم على تحمل المشاق بعزم لا يعرف التخاذل والانزهاج .

حسبي ان اذكر فقط بقصة الحذيثين الصغيرين اللذين قتلا ابا جهل في معركة (بدر) الكبرى والتي رواها عبد الرحمن بن عوف ، وحسبي ان اذكر ايضاً بقصة نسبة المازنية (ام عمارة) في معركة (احد) ، وهاتين القصتان معروفتان ورد ذكرهما في محلهما من هذا الكتاب .

فاذا كانت معنويات الفتيحة الاحداث والفساء من المسلمين بهذا المستوى الرفيع ، فكيف تكون معنويات الرجال ؟

(١) - التعاون :

هو توحيد جهود كافة الصنوف والقطاعات لبأوغ الغرض .

وهذه المناسبة فان أوثق المفسرين للقرآن يقولون : بأن الإمداد الملائكي لم يكن امداداً حسيّاً بل امداداً معنوياً .

إن بما يديم المعنويات هو وجود أهداف يؤمن بها الجنود بصورة خاصة والشعب بصورة عامة ، وقد كانت أهداف المسلمين جميعاً حينذاك هي إعلاء كلمة الله والعمل على حرية نشر الدعوة الاسلامية بدون تدخل احد ونشر ربوع السلام بين الناس كافة - تلك الأهداف التي آمن بها المسلمون إيماناً عميقاً وضحتوا في سبيلها بكل ما يمتلكونه من غالٍ ورخيص : « إنفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » .

كما ان صفات الزعامة الحققة هي التي تخلق المعنويات وتديمها ، فاذا كانت الامة محظوظة نهباً لها زعيم عظيم حكيم شجاع يبعث الثقة الحقيقية في الامة . ولست أعرف زعيماً لأمة قديماً أو حديثاً امتلك صفات الزعامة الحققة كما امتلكها الرسول ، إذ كان في صفاته ومزاياه رجلاً يعادل أمة أو له أمة تعادل رجلاً كما يقولون .

فلا عجب ان تحلى المسلمون بالمعنويات العالية عندما كانوا ضعفاء تخطفهم الناس من كل جانب في مكة عقر دارهم ، وعندما أصبحوا اقوياء يسيطرون على الجزيرة العربية كلها دون منازع .

عاشراً - الامور الادارية

مهما تكن خطة الحركات دقيقة مرنة معقولة ، فلا تؤتي ثمراتها المتوقعة إذا تعذر تنفيذها . من الوجهة الإدارية ، بل يمكن أن نذهب الى أبعد من ذلك بالقول : : إن كل خطة مرهونة بإمكانياتها الإدارية .

لقد اهتم الرسول بالامور الإدارية كثيراً في كل معاركه ، فتعاون المسلمون على تزويد المجاهدين بالأرزاق والماء والنقلية والسلاح .

ولقد قرن الاسلام دائماً الجهاد بالأرواح بالجهاد بالمال : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله واولئك هم

الفائزون ، ... » مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم . . . » وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ، والله ميراث السموات والأرض . . . » تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . . . » لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة . .

ال يلاحظ من تلك الآيات الكريمة ، أن المال يقدم على النفس دائماً ، بما يدل على اهتمام الاسلام بالامور الادارية .

ويقول في الخيل : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل . . » ويقول : « والعاديات صبحاً ، فالمرويات قدحاً ، فالمغيرات صبحاً ، فأثرت به نفعاً ، فوسطن به جمعاً . . . »

ويقول في الحديد الذي يعمل منه السلاح : « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، إن الله قوي عزيز . . »

لقد أنفق المسلمون الأولون أموالهم في سبيل الله : مات الرسول ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير ، وأنفق أبو بكر جميع ماله في سبيل الله وكان يوم أسلم من أغنياء قريش المعبودين . وأنفق عمر بن الخطاب نصف ماله ، كما جهّز عثمان بن عفان جيش العسرة في غزوة تبوك بالإضافة الى الاموال الطائلة التي أنفقها على غيرها من الغزوات ، أما آل محمد فقد روى الحسن عنهم قال : خطب رسول الله ﷺ فقال : « والله ما أسى من آل محمد صاع من طعام وانها لتسعة ابيات ، والله ما قالها استقلالاً ولكن أراد أن تتأسي به أمته !

لقد أتعب الرسول وأصحابه من يريد التأسي بهم من المسلمين بعدهم . فأين تضحياتهم حتى بأبسط ضروريات الحياة في سبيل الله والمصلحة العامة قبل أربعة عشر قرناً من زعماء الشرق والغرب في القرن العشرين ، أولئك الذين يتاجرون

بالدفاع عن الفقير والعامل والفلاح بالظاهر بينما يعيشون بالحقيقة مترفين في
رخاء عظيم !!

٣ - مزايا أخرى

أ - المساواة

ساوى الرسول نفسه بأصحابه في كل شيء ، بل استأثر لنفسه دونهم بالخطر
ومضاعفة الجهد وتحمل المسؤولية ، والحرمان الشديد .

حمل الحجارة والتراب والجريد واللبن كأني فرد من المسلمين عند بناء المسجد
في المدينة .

وفي مسير الافتراق الى بدر ، قسم الإبل المتيسرة وعددها سبعون بعيراً
بين أصحابه ، وكان من نصيبه مع علي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي
بعير يعتقونه ، تماماً كما يفعل أي فرد من افراد قواته .

قال شريك الرسول في البعير : « نحن نمشي عنك » قال الرسول : « ما أنما
بأقوى بي ، ولا أنا بأغنى عن الاجر منكما » . . .

وفي غزوة الخندق ، حفر بيده وحمل الاحجار والاثربة على عاتقه . قال
البراء بن عازب : « كان رسول الله ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبرّ بطنه » .
لقد وارى التراب جلدة بطنه وكان كثير الشعر .

وشارك أصحابه في طعامهم وشرابهم واباسهم ، بل آثرهم بالنفيس منها
واستأثر دونهم بالخش .

وتحمل أخطر المواقف بنفسه ، ولم يترك أصحابه يتعرضون للخطر وحدهم .
لقد سخر نفسه لخدمة أصحابه ، بينما سخر القادة قواتهم لخدمتهم ..

ب - الاستشارة

كان الرسول يستشير أصحابه في كل المواقف التي لها أثر على مصالح المسلمين
عسكرية وغير عسكرية .

استشارهم في كافة غزواته عدا غزوة الحديبية ، وأخذ بأرائهم حتى ولو كانت تخالف رأيه ، كما حدث فعلاً في غزوة أحد ، فقد كان يرى البقاء في المدينة ، بينما رأى الكثيرة اصحابه الخروج .

اما اسباب عدم استشارتهم في غزوة الحديبية . فلأنه كان يصّر على نواياه السلبية التي تؤمن له الاستقرار الضروري لانتشار الاسلام ، وكان لبعد نظره المدهش يعرف ان نتائج الصلح ستكون خيراً شاملاً لدعوة ، بينما كان اصحابه يريدون النصر العاجل قبل اوانه .

ج - اساليب جديدة

طبق الرسول اساليب جديدة في القتال .

طبّق أسلوب القتال بالصفوف في بدر ، فتغلب بهذا الأسلوب على قوات قريش التي بلغت ثلاثة امثال قواته ، لانهم قاتلوا بأسلوب الكرّ والعرّ . وحفر الخندق في غزوة الاحزاب ، ولم تكن العرب تعرف هذا الأسلوب .

وطبّق أسلوب قتال المدن والاحراش في غزوة بني النضير وبني قريظة وخيبر ، ومن المدهش ان يطبّق الرسول نفس الأسلوب الذي يطبق في الحرب الحديثة في مثل هذا القتال .

واستخدم المنجنيقات والدبابات في غزوة حصار الطائف ، وكان استعمال هذين السلاحين نادراً عند العرب حينذاك . وانتخب مقرأ له في غزوة بدر ، مراعيّاً شروط انتخاب المقر ، وأمن حراسته كما يجري في الحرب الحديثة .

وقسم الاعمال وأمن السيطرة على إنجازها ، كما حدث في حفر الخندق . وقام بالمجموع فجراً ، ذلك المجموع الذي يحتاج إلى كفاءة وتدريب ممتازين كما حدث في غزوة بني المصطلق . وابتكر أسلوب الرسائل المكتومة ، على حين يفاخر الالمان في العصر الحاضر بأنهم اول من ابتكروا هذا الأسلوب .

بل انه طبق الحرب الاجماعية بمخاطبتها ، فحشد كل القوى المادية والمعنوية للأغراض العسكرية ، وذلك ليؤمن حماية الدعوة من اعدائها الكثيرين ، بينما لم تعرف هذه الحرب الا في الحرب العالمية الثانية فقط ، واستأثر الألمان بالمفاخرة في ابتكارها .

٤ - قيادة مثالية

رأينا كيف كان الرسول يتعلى بكافة صفات القائد المثالي ، كما تنص عليها اوثق المصادر العسكرية الحديثة .
ورأينا كيف طبق كل مبادئ الحرب بكل كفاءة ، ورأينا كيف انه تحلى بمزايا أخرى لم تنص عليها المصادر العسكرية لاستبعاد المفكرين العسكريين امكان توفرها في القادة .

ورأينا كيف طبق اساليب جديدة مبتكرة واستخدم أسلحة جديدة في القتال ، فأي قائد تحلى بكل هذه المزايا وطبق كل مبادئ الحرب وابتكر كل هذه الاساليب ؟

ذلك هو السبب الأول لانتصار المسلمين على أعدائهم ، وقديماً قالوا : لم يغلب الرومان الغال ولكن قيصر .

جنود ممتازون

١ - مزايا الجندي الممتاز

تلخص مزايا الجندي الممتاز بما يلي :
عقيدة راسخة ، ومعنويات عالية ، وضبط قوي ، وتدريب جيد ، وتنظيم صحيح ، وتسليح ممتاز .

تلك هي مزايا الجندي الممتاز في كل زمان ومكان ، فهل كان جنود محمد يتحلّون بهذه المزايا العالية التي تجعلهم جيشاً كفواً من كافة الوجوه ، أم انهم لا يختلفون بشيء في ذلك عن الأعراب الذين كانوا ينتمون اليهم ؟

والحق ان الرسول هو الذي جعل جيش المسلمين يتحلّى بكل هذه المزايا الرفيعة ، فقد بذل غاية الجهد ليغرس كل هذه المزايا في نفوس المسلمين ، وبذلك كوّن منهم قوة لا تغلب ، وكانوا قبل حين كغيرهم من القبائل الأخرى ؛ تطفئ عليهم الانانية الفردية ، ولا يعرفون معنى الضبط والنظام ، وليست لديهم عقيدة بالمعنى الصحيح .

ليس من السهل أبداً ، نجاح الرسول في تبديل نفسيّة رجاله من حال الى حال ، ونجاحه هذا هو معجزة واقعية اكبر وأعظم من معجزات الخيال .

٢ - تفصيل المزايا

١ - عقيدة راسخة

آمن المسلمون برسالة محمد ، فهم يقاتلون لحماية ما آمنوا به من العدوان ، حتى تكون كلمة الله هي العليا ، وفي سبيل الدفاع عن عقيدتهم التي آمنوا بها

كل الايمان ، تركوا اوطانهم وأموالهم وعرضوا أنفسهم للخطر ، وقالوا : حتى اولادهم واهليهم وعشيرتهم . لقد بذلوا كل شيء رخيصاً في سبيل المبدأ الذي اعتنقوه .

التقى الآباء بالابناء والاخوة بالاخوة والاهل بالأهل : خالفت بينهم المبادئ ففصلت بينهم السيوف .

كان أبو بكر مع المسلمين ، وكان ابنه عبد الرحمن مع المشركين ؛ وكان عتبة ابن ربيعة مع قريش ، وكان ابنه أبو حذيفة مع محمد ، وعندما استشار محمد عمر بن الخطاب في مصير أسرى بدر ، قال عمر : « أرى ان نمكّن من فلان - قريب عمر فأضرب عنقه ، ونمكّن علباً من أخيه عقيل ابن أبي طالب فيضرب عنقه ، ونمكّن الحزرة من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله انه ليست في قلوبنا هودة للمشركين » .

ولما سجدوا جثة عتبة بن ربيعة الذي قتل يوم بدر لتدفن في القليب ، نظر الرسول الى ابنه حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير لونه . فقال له : « يا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء ؟ » . قال أبو حذيفة : « لا والله يا رسول الله فما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكنني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ، احزنني ذلك » .

وفي غزوة بني المصطلق ، حاول عبدالله بن أبي ، رأس المنافقين ان يثير الفتنة بين المهاجرين والانصار ، فأصدر الرسول أمر الحركة فوراً حتى لا يستفحل أمر الفتنة ، وعند وصول المسلمين الى المدينة ، تقدم عبدالله بن عبد الله بن أبي يطلب من الرسول ان يأمره بقتل ابيه لأنه حاول اشعال نار الفتنة ، ولكن الرسول عفا عنه قائلاً لولده المؤمن : « إننا لا نقتله ، بل نتوفى به ونحسن صحبته ما بقي معنا » .

وفي غزوة بني قريظة طلب اليهود حضور أبي لبابة لاستشارته ، فسمح

له بالذهاب اليهم . سأله اليهود : هل ينزلون على حكم محمد ؟ قال لهم : نعم ، وأشار الى حلقة كأنه ينتبههم الى ان مصيرهم الذبح . لم يعرف أحد من المسلمين بإشارة أبي لبابة هذه الى حلقة حين استشاره اليهود ، ولكنه أدرك لفوره بأنه خان الله ورسوله بإشارته تلك فمضى هائماً على وجهه حتى ربط نفسه الى سارية في مسجد الرسول ، وبقي على حاله هذا حتى تاب الله عليه .

وفيل غزوة الفتح جاء أبو سفيان إلى المدينة ، فقص دار أم حبيبة ابنته وزوج الرسول ، لكنها طوت الفراش عن والدها ، لأنها رغب بالفراش عن مشرك نجس وار كان هذا المشرك أباهما الغريب .
لقد أنفق المسلمون أموالهم في سبيل الله ، حتى تخلل أبو بكر بالعبادة وكان يملك اربعين الف دينار قبل الاسلام .

فما الذي يدفع لمثل هذه الاعمال الرائعة غير العقيدة الراسخة والايمان العظيم ؟

وهل يقاتل أصحاب مثل هذه العقائد كما يقاتل الذين لا عقيدة لهم الا اهواء الحاهلية وعصبية الانانية وحب الفخر والظهور ؟
ان عقيدة المسلمين بسمو اهدافهم جعلتهم يستمتون بالقتال .

ب - معنويات عالية

لا قيمة لأي جيش مهما يكن ضخماً في عدده ، دقيقاً في تنظيمه . ممتازاً في تسليحه ما لم تكن معنوياته عالية .

كان الجيش الايطالي في الحرب العالمية الثانية مجهزاً بأحدث الأسلحة وأشدّها فتكاً ، وكان تنظيمه دقيقاً ، وعدده كبيراً ، ولكن معنوياته كانت منحلّة ، فأصبح عبثاً ثقيلاً على الالمان . وكان الحلفاء يطلقون على المواضيع التي يحتلها الايطاليون تعبير الفراغ العسكري ، لأنهم كانوا يستسلمون دون قتال كلما حاق بهم الخطر الحقيقي او الوهمي .

شجع الرسول اصحابه قبل معركة بدر واثناها وقوّى معنوياتهم ، حتى

لا يكتفون بتفوق قريش عليهم بالعدد ، فكانت معنويات المسلمين عـ الية في تلك المعركة .

حتى معنويات الاحداث الصغار منهم كانت عالية للغاية كما رأيت في تسابق ابني عفراء لقتل أبي جهل .

هل كان بإمكان المسلمين الانتصار بغزوة بدر ، والقيام بمعاربة المشركين بعد يوم من غزوة أحد، والصمود في غزوة الاحزاب والاقدام على غزوة تبوك ، لو لم تكن معنوياتهم عالية جداً ؟

وكما عمل الرسول على رفع معنويات اصحابه بشتى الطرق والمناسبات ، عمل على تحطيم معنويات أعدائه بشتى الطرق والمناسبات ايضاً ، وبـ كانت غزوة الحديبية وعمرة القضاء وغزوة تبوك إلا معارك معنويات لا . معارك ميدان .
ان عمرة القضاء فتحت قلوب اهل مكة لأنها حطمت معنوياتهم ، وغزوة الفتح فتحت ابواب مكة .

كما ان نتيجة غزوة تبوك اندحار معنوي للروم ، وبذلك اطمان العرب الى ان بإمكانهم مقاومة الروم ، وكانوا سابقاً يظنون ان ذلك من المستحيلات .

لقد استهدف الرسول في كل غزواته تحطيم معنويات أعدائه ، بل انه كان يستهدف تحطيم المعنويات اكثر مما يستهدف تحطيم القوى المادية ، لأنه كان يطمح دائماً في عودة أعدائه الى الصراط المستقيم والهداية ، فيحرص على بقائهم أحياء .
ان اكثر غزوات الرسول كانت معارك معنويات تؤثر على النفوس والقلوب لا معارك خسائر تؤثر على الارواح والممتلكات .

ويجب ألا ننسى هنا اثر اعتقاد المسلمين بالقضاء والقدر على رفع معنوياتهم لاقتحام الاخطار بشجاعة خارقة . لأن المقدّر سيكون حتماً والشهد في الجنة كما وانما شي احدى الحسين كما يقولون !

جـ - ضبط قوي

كان المسلمون يطيعون محمداً إطاعة لا حدود لها ، وينفذون أوامره حرفياً

بدون تردد وبكل حرص وامانة مها تكن ظروفهم صعبة وواجباتهم شاقة .
وليس هناك ما يبرر ذكر أمثلة على قوة ضبط المسلمين . لأن الأمثلة على
ذلك اكثر من أن تحصى ، ولأن الاطاعة في الاسلام دين : « يا أيها الذين آمنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم » .

د - تدريب جيد

اهتم الرسول بتدريب أصحابه على الرمي وركوب الخيل : « من ترك الرمي
بعد ما علمه ، فإنا همى نعمة كفرها » .

ولم يقتصر الرسول على حث أصحابه للتدريب المستمر على الرمي وركوب
الخيل وهو ما نسميه في الوقت الحاضر : بالتدريب الفردي ... بل درّبهم على
تشكيلات مسير الاقتراب واساليب القتال وواجبات الحراسات والحفر ، وهو
ما نسميه في الوقت الحاضر بالتدريب الاجمالي .

اتخذ التشكيلات المناسبة في مسير الاقتراب في كافة غزواته ، فأمن بذلك
الحماية اللازمة لقواته وحرّم العدو من مباغتتها .

وقاقل بأسلوب الصفوف في معركة بدر ومعركة أحد ، وفي اكثر غزواته
الآخرى ، ونظم المراضع الدفاعية وراء الخندق في غزوة الأحزاب وأمن حراسة
النقاط الخطيرة .

وقام بقتال المدن والاحراش في قتاله ضد اليهود ، كما قامت سرية ابي سلمة
بالمهجوم فجراً على بني أسد ، والنجاح في هذين القتالين يدل على تدريب راقٍ .
كما قام بمسيرات طويلة شاقة في مختلف الظروف والاحوال ، ليلاً ونهاراً ، بما
يمكن اعتباره تدريباً عنيفاً .

كل هذا التدريب الفردي والاجمالي والعنيف جعل تدريب المسلمين جيداً ،
وجعلهم قادرين على القتال بكفاءة في مختلف الظروف والاحوال .

هـ - تنظيم صحيح

كان جيش المسلمين مؤلفاً من المهاجرين والانصار ومسلمي اكثر القبائل

المعروفة حينذاك ، ومعنى ذلك ان جيش المسلمين كان مؤلفاً من كافة القبائل العربية لا من قبيلة واحدة . لهذا فإن انتصاره لا يعتبر فغراً لقبيلة دون أخرى ، كما ان فشل أي قبيلة في التغلب عليه لا يعتبر عاراً عليها ، لان هذا الجيش لم يكن لقبيلة دون أخرى ، بل لم يكن للعرب دون غيرهم ، انما كان للإسلام وللمعتنقي هذا الدين من العرب وغيرهم .

انني اعتقد ان هذا التنظيم الذي لا يخضع الا للحقيدة الموحدة فقط دون غيرها من المؤثرات ، جعل القبائل كلها لا تحرص على مقاومة جيش المسلمين حرصها على مقاومة قبيلة خاصة ، وهذا سهّل مهمة المسلمين في القتال .

و - تسليح ممتاز

أصبح تسليح المسلمين بالتدريج ممتازاً ، بعد ان كان المشركون متفوقين على المسلمين بالتسليح حتى انتهاء غزوة الخندق .

يكفي ان نسمع وصف الكتيبة الخضراء التي كان معها النبي في غزوة الفتح ، فقد كان افرادها لا يرى منهم الا الحدق من الحديد .

وقد شجع الرسول على صناعة السلاح : « ان الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب في عمله الخير ، والرامي به ، والمعد له ، فارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا » .

حرب عادلة

١ - معنى الحرب العادلة

هي حرب توجه ضد شعب ارتكب ظلماً نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه .
ويشترط فيها ان تكون مطابقة للقواعد الانسانية وتكون لغرض تحقيق سلم دائم ، ووجوب احترام حياة واملاك الأبرياء وحسن معاملة الاسرى والرهائن .
هذا هو معنى الحرب العادلة كما تنص عليها مصادر قوانين الحرب والجياد في القانون الدولي .

الحرب العادلة اذاً ، حرب دفاعية لا عدوانية ، تستهدف تحقيق سلم دائم ، اغراضها انسانية ، تحترم حياة واملاك الابرياء ، وتعامل الاسرى والرهائن بالحسنى ...

ان حقيقة الحرب في الاسلام قبل اربعة عشر قرناً اكثر مما تنص عليه مصادر القانون الدولي في القرن العشرين ، فهي بالاضافة الى ذلك لا تنيرها العنصريات وليست لاغراض مادية او استعمارية ، وتدافع عن حرية الرأي والعقيدة .

وسترى التطبيق العملي لكل هذه الشروط في أعمال الرسول العسكرية

٢ - تفصيل معنى الحرب العادلة

١ - حرب دفاعية

ارتكبت قريش كل أنواع الظلم والعدوان ضد المسلمين عندما كانوا في مكة ، فلم يبق هناك مجال للمسلمين غير ترك أموالهم وأهلهم والمهجرة من مكة إلى المدينة تخلصاً من هذا الظلم والعدوان .

هاجر اكثر المسلمين من مكة فراراً بعقيدتهم فقط ، تاركين فيها كل ما يملكونه من أهل ومال . وكان اكثر هؤلاء المهاجرين من الذين حمتهم عصبتهم من أن يصيبهم ما أصاب المستضعفين الذين عذبتهم قريش ولقوا مصارعهم من جراء هذا التعذيب .

حتى الرسول نفسه ، لاقى التكذيب والاهانة ، واستمع بصبر عجيب إلى دعايات قريش الكاذبة ضده ومكافحتها العنيفة للدين الجديد .

وقد نجا الرسول من مؤامرة قريش المحكمة التي دبّرتها لاغتياله ، كما نجا من مطاردة قريش له في هجرته إلى المدينة متحملاً المشاق والأهوال .

فأي ظلم وعدوان اكبر من هذا الظلم والعدوان الذي أصاب المسلمين؟ ولكن الرسول عندما فتح مكة قال لقريش : اذهبوا فأنتم الطلقاء ! !

لم يقاتل الرسول عدواً إلا مضطراً لقتاله ، وكل غزواته كانت لردّ اعتداء أو لإحباط نية اعتداء ، ولم يجد من عدو ميلاً للسلام الا بادر إلى تشجيع هذا الميل ، والارتباط بهذا العدو بالمخالفات .

إن دراسة أسباب غزوات الرسول بروح علمية بعيدة عن الهوى ، تثبت أن المسلمين لم يعتدوا على أحد ، لأن الله لا يحب المعتدين .

كما أن تلك الدراسة تثبت أن المسلمين لم يريدوا بقتالهم اكراه الناس على الدخول في الاسلام ، فقد بقي كثير من رجالات قريش على الشرك بعد الفتح واشتركوا مع الرسول في غزوة حنين ، وكان المسلمون يعرفون أن هؤلاء لا يزالون على عقيدتهم الاولى ، ومع ذلك لم يجبرهم احد على تبديل دينهم : « لا اكراه في الدين » .

من هؤلاء صفوان بن أمية وأبو سفيان وكلاهما بن الجنيد .

ألم يكن بإمكان المسلمين أن يجبروا هؤلاء على اعتناق الإسلام ، بعد أن استسلمت قريش وفتحت مكة أبوابها ؟

ان القول بأن غـاية القتال في الاسلام هي نشر الدعوة هراء لا يستند إلى الواقع ، ولكن غاية القتال هي حماية حرية الدعوة ، وشتان بين الغايتين .
ومع ان الحرب الاسلامية دفاعية لأنها بعيدة عن الظلم والعدوان ، الا ان هذا الدفاع غير مستكن ، بل هو دفاع تعرضي كما يسمى في المصطلحات العسكرية الحديثة ، ومعناه ان المسلمين لا يبدأون بالاعتداء ، ولكنهم يدافعون عن أنفسهم ضد كل اعتداء بالهجوم لسحق قوات المعتدين .

ب - حرب لتوطيد السلام

أظهر مشركو المدينة ويهودها بعيد هجرة الرسول ميلاً إلى السلم ، فشجع الرسول هذا الميل وعقد معهم معاهدة أمنت للجميع حرية الرأي والأمن .
وقد حالف الرسول كل قبيلة أظهرت رغبتها في السلام كما فعل مع بني ضمرة في غزوة (ودان) وبني مدلج في غزوة العشيرة ومع قريش في غزوة الحديبية .
بل كان الرسول يبذل كل جهده لتحقيق اغراضه السلمية حتى ولو أدى ذلك إلى تدمير بعض اصحابه ، كما حدث في غزوة الحديبية .
ان السلام يؤمن الاستقرار ، وقد انتشر الاسلام في فترة صلح الحديبية انتشاراً عظيماً بين الناس .
ومع ذلك فالجنوح إلى السلم دين : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » . فلا عجب إذا رأينا الرسول يقبل بل يشجع كافة العروض السلمية التي تقدم بها اعداؤه في كل مكان وزمان .

إن السلام في الاسلام هو القاعدة الثابتة ، والحرب هي الاستثناء .
ولكن " الاسلام يدعو للسلام لا للاستسلام .

ج - حرب انسانية

اولاً احترام الابرياء
لم يتعرض الرسول لغير المقاتلين في غزواته ، وحرص على صيانة واحترام

أرواح وأموال الأبرياء . لما استسلم بنو قريظة ، قتل المسلمون الرجال قاتلوهم فعلاً لأنهم خانوا عهودهم وعرضوا المسلمين للفناء ، أما الاطفال والنساء من بني قريظة فلم يصابوا بأذى ، كما ان الذين ثبتوا على عهودهم من اليهود لم يصابوا بسوء أيضاً .

والمرأة الوحيدة التي قُتلت من بني قريظة ، هي التي قتلت مسلماً بقذفه بالرحى من فوق سطحها ، وإنما كان قتلها عقاباً لها على جنايتها هذه ، كما هو واضح .

ولما خرج المسلمون لغزوة مؤتة اوصاهم الرسول ألا يقتلوا النساء والاطفال والمكفوفين ولا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الاشجار .

ان البريء لا يؤخذ بجريمة المذنب « ولا ترز وازرة وزر أخرى » ، هذا هو مبدأ الاسلام الذي لن يجبد عنه .

ثانياً الأسرى والرهائن

أمر المسلمون سبعة أسيراً من قريش في غزوة بدر ، فوزع ثمانية وستين من هؤلاء على اصحابه قائلاً : « استوصوا بالاسارى خيراً » .

ثم فادى اغنياء الأسرى بالمال ، أما الفقراء فأطلق سراح بعضهم دون مقابل ، وكلفت المتعلمين منهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة ، ثم أطلق سراحهم بعد تعليمهم هؤلاء الاطفال .

ولكن الرسول أمر بقتل أسيرين من السبعين أسيراً ، لأنها أجرم ما بحق المسلمين وعدتها المستضعفين منهم وشتمت على الاسلام ، فكان قتلها لجرمها لا لأنها أسيران كما يدعي بعض المفرضين .

ان هذين الأسيرين كانا (مجرمي حرب) كما يطلق عليها في التعايير العسكرية الحديثة ، وعقابها جزاء لما جنت أيديها من ذنوب وآثام .

كما فادى الرسول الأسيرين اللذين وقعا بأيدي سرية عبدالله بن جحش ، فأسلم أحدهما وعاد الثاني اذواجه إلى مكة .

ذلك ما طبقه المسلمون بحق الأسرى ، وهو ما ينطبق على أحدث قوانين معاملة الأسرى في العصر الحاضر . أما الرهائن ، فلم يور التاريخ ان المسلمين اعتدوا عليهم لأن الرهائن امانة والقرآن يقول : « ولا تخونوا أماناتكم » .

ثالثاً - الجرحى والقتلى

كان بعض أسرى المشركين في غزوة بدر جرحى ، وقد اعتنى المسلمون بتمريرهم عنايتهم يجرحاهم سواء بسواء .

ولم يهمل المسلمون أمر الاعتناء بجرحى أعدائهم في كل غزواتهم ، لان هذا الاعتناء قضية انسانية والاسلام دين الانسانية جمداً .

وقد دفن المسلمون قتلى المشركين في بدر كما دفنوا شهداءهم ولم يتركهم في العراء . أما المشركون فقد مثلوا بشهداء المسلمين في أحد افطع تمثيل ، ولم يحدث ان مثل المسلمون بالقتلى في أي وقت من الاوقات .

٣ - حرب عقيدة

١ - لا أغراض شخصية

لم تثر الحرب في الاسلام اغراض شخصية ، لان الاسلام في حقيقته دعوة للمصلحة العامة وتقديم للصالح العام ، ولو أدى ذلك الى تناسي مصالح الاشخاص .

ولم تثر الحرب المطامع الشخصية وحسب الاجساد ، فقد أرسلت قريش عتبة بن ربيعة وهو رجل رزين هادئ ، فذهب الى رسول الله يقول له : « يا ابن أخي ، انك مناحيت علمت من المكان والنسب وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، فاسمع دني أعرض عليك اوراً لعلك تقبل بعضها . ان كنت انما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اكثرنا مالا . وان كنت تريد شرفاً سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك ، وان كنت تريد ملكاً ملكناك علينا » . ولكن الرسول لم يكثرث بكل هذا الاغراء .

واشتدت دداوة قريش ، وعظم على ابي طالب فراق قومه وعداوتهم له فقال لمحمد : « ابنى على نفسك وعلى ، ولا تحملى من الامر ما لا أطيق » . قال الرسول : « يا عماء . والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الأمر حتى يظهره الله او اهلك فيه ، ما تركته » .

لقد كان الرسول يردد دائماً : انا انا بشر مثلكم ، ولم يترفع ابداً عن الفقراء والضعفاء والمساكين والخدم ، وسيرته في كل ذلك مضرب الامثال .

ان حماية حرية نشر العقيدة هي التي اثارت الحرب في الاسلام ، ولم يكن من اسباب اثارها الاغراض الشخصية من بعيد او قريب .

ب - حرب لا عنصرية

ليس الاسلام ديناً لقبيلة دون قبيلة ، ولا لأمة دون امة ، ولا للعرب دون العجم . ولكنه للناس جميعاً للعالمين ! ... « قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً » ، فلاسلام يعمل لفكرة جليلة - فكرة وحدة الانسانية .

انه دين يقاوم العصبية والتعصب ، ويكافح العناصر والاجناس ، لانه يريد ان يجمع العالم كله على صعيد واحد : لتوحيد كلمتهم وتوحيد الله .

« اما المؤمنون اخوة » ، وليس لعربي فضل على اعجمي الا بالتقوى «
« وسلمان منا آل البيت » ، « كلها معناها ان الاسلام قومية ودين تنصهر فيه كل قوميه وكل دين » .

اقد رأينا ان الحرب الاجماعية التي دعا اليها الألمان تركز على العنصرية الجرمانية ، ورأينا سيطرة التفريق العنصري البغيض بين البيض والسود في اميركا وفي جنوب افريقيا وغيرها من البلاد ، كل هذا في القرن العشرين عصر النور والمدنية !

اما الاسلام قبل اربعة عشر قرناً ، فقد قاوم العنصريات والاجناس ، ودعا الى توحيد الاهداف ، فمن آمن بالاسلام كان دمه وعرضه وماله حراماً على المسلمين : « المسلم اخو المسلم » .

كان الرسول من قريش ، ولكنه قاتل قريشاً حين اعتدت على المسلمين ، وكان عربياً ولكنه قاتل قومه العرب دفاعاً عن الاسلام .

ولما تصدى الروم لعرقلة دعوته ، قاتلهم . وعندما التحق بالرفيق الاعلى ، قاتل حلفاؤه الفرس وغيرهم من الاقوام والاجناس .

ان اعداء المسلمين على اختلاف قومياتهم واجناسهم ، انصهروا بعد اسلامهم بالمسلمين ، فأصبح عليهم ما على المسلمين ولهم ما للمسلمين .

إن الاسلام ساوى بين الناس في الدنيا وفي الآخرة ... إمام الناس وإمام الله ، الا وان اكرمكم عند الله اتقاكم .

ج - حرب لا مادية

لم يكن من اغراض القتال في الاسلام الحصول على المادة والبحث عن الاسواق والحامات واسترقاق المرافق وفرض الاستعمار .

خرج المسلمون للتصدي بقافلة ابي سفيان العائدة من الشام في غزوة بدر ، لانهم ارادوا ان يجرموا قريشاً من طريق مكة - الشام التجارية فيؤثرون بذلك على حالتها الاقتصادية حتى يخففوا من غزواء عدوانهم على المسلمين .

ولكن القافلة افلتت من ايديهم ، ومع ذلك اصطدمت قواهم بالمشرकिन .

ولو كانت القضايا المادية هي التي دعتهم للخروج الى بدر ، لعادوا ادراجهم عندما علموا بوصول قافلة قريش سالمة الى مكة ... وقد كان تخلصهم من القتال سهلاً للغاية .

وبعد غزوة حنين ، انتظر الرسول حوالي شهر قدوم وفد هوازن اليه ليعيد اليهم ما غنمه المسلمون من اموالهم ، ولكنهم لم يحضروا ، فاضطر الى توزيع الغنائم ، واعاد السبي الى وفد هوازن الذي وصل بعد توزيع الغنائم على الناس .

ولكن ما هو نصيب الرسول من الغنائم ؟ انه الخمس ، وهذا الخمس مردود عليهم . لانه يصرف في مصالحهم العسكرية وغير العسكرية ، فهل ابقى الرسول نفسه شيئاً من المال ؟

قالت عائشة : « لم يمتليء جوف النبي (ص) شبعاً قط ، وانه كان في اهله لا يسألهم طعاماً ولا يشتهي ، ان اطعموه أكل ، وما اطعموه قبل ، وما سقوه شرب » .

وقالت : « ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين ، حتى قبض رسول الله (ص) » .

وقالت : « كنا آل محمد نمكث شهراً ما نستوقد بنار ، ان هو الا التمر والماء »
وقالت : « توفي رسول الله (ص) وليس عندي شيء يأكله ذو دكبد ، إلا شطر شعير في رف لي . وتوفي ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير » .

ذلك ما ابقاه الرسول لنفسه ، ولو كانت له رغبة في المادة ، لابقى لنفسه مال زوجه خديجة ، وهو مال كثير !!

واذا كانت الاهداف رفيعة ، تعبت في الحصول عليها الاجساد ، وقد أتعب الرسول نفسه واهله واصحابه في سبيل اهداف الاسلام ، ليكونوا اسوة حسنة للمسلمين في كل زمان ومكان .

٤ - حوب مثالية

إن تعريف الحرب العادلة كما تنص عليه مصادر القانون الدولي ، بالرغم من انه حبر على ورق بالنسبة لكافة الحروب قديماً وحديثاً ، الا انه قاصر عن الوفاء بحق تعريف القتال في الاسلام .

إن اصح تعبير يمكن اطلاقه على تلك الحرب هو : الحرب المثالية .

مثالية لان اهدافها الدفاع عن حرية الرأي وتوطيد اركان السلام : تصون ارواح واموال الابرياء والضعفاء ، وتعطف على الاسرى والرهائن وتواسي المرضى والجرحى ، ولا تمثل بالقتل بل تدفنه كقتلاها ، ولا تثيرها الاغراض الشخصية ولا العصبية ولا المنافع المادية ولا الاستغلال والاستعمار .

فاذا لم تكن هذه الحرب مثالية ، فأي حرب في التاريخ كله يمكن ان يطلق عليها هذا التعبير ؟

عجب ، اذن اذا استطاعت هذه الحرب ان تسيطر على العقول بالمثل العليا قبل ان تسيطر على الحصون والقلاع بالسلاح والرجال .

ان هذه الحرب المثالية ، جعلت جراح المغلوبين تلتئم بسرعة ، فينضمون طائعين الى الغالبين ليكونوا جميعاً تحت راية واحدة ، هي راية الاسلام .

ولو كانت حرباً ظالمة لما دام الظلم ، لان الظلم لا يدوم وان دام دمر الغالب والمغلوب فهل يفقه الظالمون ذلك ، ام على قلوبهم أقفالها ؟ !

ولكنها كانت حرباً عادلة الى حدود المثالية ، فاستجاب العرب لأهدافها العالية ، ثم حملوا رسالة تلك الاهداف الى العالم ، واستجاب لها الفرس وأهل الشام وكثير من الامم والقوميات الاخرى ، ثم حملوا بدورهم مشعل هدايتها شرقاً وغرباً ، فاستنار الشرق بنور الاسلام على حين كان الغرب في دياجير الجهل والظلام .

السبب الرابع

ضعف الاعداء

كان اعداء المسلمين ضعفاء على الرغم من كثرتهم ، لان العدد الضخم من الجنود لا قيمة له اذا لم يتحصن اولئك الجنود بالمعنويات العالية .
لقد رأينا في بحث الموقف العسكري العام للطرفين ، ان العرب كانوا متفرقين لا يخضعون إلا لسيطرة رؤسائهم الذين تسيطر عليهم الاهواء والمصبات .
كما كان النظام العسكري عند الروم والفرس فاسداً ، ولم يكن لكل هؤلاء الاعداء اهداف معينة يؤمنون بها ويضحون بأرواحهم واموالهم في سبيلها ، كما كان يفعل المسلمون .

ولم تكن قيادة اعداء المسلمين كفؤة ، لان قيادة القبائل العربية كانت بيد رؤسائها ، وقيادة الفرس والروم بيد نبلائها الاقطاعيين ، حتى ولو كان اولئك الرؤساء وهؤلاء النبلاء لا كفؤة لهم ولا عقلية ولا مؤهلات .
إن اسباب ضعف اعداء المسلمين إذن هي : ضعف القيادة التي كانت وراثية على الأغلب ونظام عسكري فاسد لا يقبل الجنود فيه على القتال إلا بدافع الارتزاق او بدافع خوف الرؤساء والنبلاء البعيدين عن مشاركة جنودهم في شعورهم واحساسهم ، وعدم وجود اهداف مثالية تؤمن بها قوات العرب والفرس والروم على حد سواء .

ولن ينتصر جيش مهما يكن ضعيفاً ، اذا كانت كل اسباب الضعف هذه تنخر في قيادته ونظامه ومعنوياته .

الارض للصالحين

ان النتائج العسكرية لكفاح المسلمين بقيادة محمد ، كانت متوقعة منذ بدأ

هذا الكفاح ، لان الرسول اعدّ كافة وسائل النصر على اعدائه الكثيرين ، ولهذا كان واثقاً من النصر ، فبشر به أصحابه في كل مناسبة .

إصطدمت قوتان غير متكافئتين : كان للمسلمين قيادة موحدة مثالية هي قيادة الرسول ، رشحته لها كفاءة بمتازة وعبقريّة فذة ؛ وكان لاعداء المسلمين قواد غير أكفاء رشحتهم لها ورائة الآباء والأجداد وكان قتال المسلمين دفاعاً عن عقيدتهم ولتوطيد اركان السلام ، فحربهم عادلة مثالية ، بينما كانت قتال أعدائهم لتوطيد اركان الظلم والعدوان ، فحربهم غير عادلة .
وكان للمسلمين عقيدة راسخة وأهداف معلومة ، ولم يكن لأعدائهم عقيدة ولا اهداف .

تلك هي اسباب انتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة ، وتلك هي أسباب انتصار كل قوة في كل زمان ومكان .

انّ الارض يرثها العباد الصالحون ، وقد كان المسلمون حينذاك هم العباد الصالحين فورثوا الارض ومن عليها وبقوا يحكمونها حتى غيروا ما بأنفسهم ، فتبدّل الحال غير الحال ...

وسيعيدون سيرتهم الاولى بعد ان شبل الوعي الجديد بلاد العرب ، لان العرب مادة الاسلام .

لقد قمنا بدراسة حياة محمد العسكرية من الناحية العسكرية البحتة ، فلإن اصبنا في بعض نواحيها فتوفيق من الله، وان اخطأنا في بعض نواحيها فإن الكمال لله وحده . وحسبنا ان تكون هذه الدراسة اول دراسة فنية لحياة الرسول العسكرية ، هذه الحياة التي تستحق دراسة أوسع وادق ، وفيها كل ما يستحق الاكبار والاعجاب .

وأحمد الله على توفيقه ، وأشكره على تسديده وصلى الله على محمد القائد الرسول .

عمود شيت خطاب

الزعيم الركن

المراجع العربية

اسم المؤلف	اسم المصدر	الترتيب
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري	تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)	١
الزخشري	تفسير الكشاف	٢
محمد رشيد رضا	تفسير النار	٣
للإمام البخاري	كتاب البخاري (الجامع الصحيح)	٤
ابن قسيمة	المنتقى من أخبار المصطفى	٥
ابن ربيع الشيباني	تيسير الوصول في جامع الاصول	٦
ابن القيم الجوزي	زاد المعاد في هدى خير العباد	٧
محمد أبو زيد	هدى الرسول (مختصر زاد المعاد)	٨
ابن حزم	المحلى (الجزء السابع) عن الجهاد	٩
القاضي أبو يوسف	الحراج	١٠
أبو محمد عبد الملك بن هشام	سيرة النبي ﷺ	١١
محمد حسين هيكل	حياة محمد	١٢
محمد رشيد رضا	الوحي الحمدي	١٣
محمد احمد جاد المولى	محمد المثل الكامل	١٤
محمد اسعد طلس	عصر الانطلاق	١٥
محمد علي	الفكر الحوالم للنبي محمد ﷺ	١٦
خ. كمال	المثل الأعلى في الانبياء	١٧
محمد خالد	خاتم النبيين	١٨
محمد عزة دروزة	سيرة الرسول	١٩
ابن حزم	جوامع السيرة	٢٠
محمد الغزالي	فقه السيرة	٢١
عباس محمود العقاد	عبقرية محمد	٢٢

تابع للمراجع العربية

اسم المؤلف	اسم المصدر	٢٣
لييب الرياشي	نفسية الرسول العربي	٢٣
فتحي رضوان	محمد النائر الأعظم	٢٤
توماس كارليل	الأبطال	٢٥
محمد حسين هيكل	في منزل الوحي	٢٦
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري	تاريخ الرسل والملوك	٢٧
ابن الاثير	تاريخ الكامل	٢٨
علي بن الحسين المسعودي	مروج الذهب	٢٩
أحمد امين	فجر الاسلام	٣٠
أبو الفدا	المختصر من تاريخ البشر	٣١
حسن ابراهيم حسن	تاريخ الاسلام السياسي	٣٢
ابن الاثير	أسد الغابة	٣٣
جرجي زيدان	تاريخ التمدن الاسلامي	٣٤
علي سامي النشار	شهداء الاسلام في عهد النبوة	٣٥
أبو زيد شلبي	سيف الله خالد بن الوليد	٣٦
عبد الوهاب النجار	قصص الانبياء	٣٧
محمد اسعاف النشاشيبي	الاسلام الصحيح	٣٨
محمد عبده	الاسلام والنصرانية	٣٩
عبد العزيز جاويز	الاسلام دين الفطرة	٤٠
محمود الألوسي	سفرة الزاد لسفرة الجهاد	٤١
محمود شلتوت	القرآن والقتال	٤٢
ابن تيمية	السياسة الشرعية	٤٣
جمال الدين عباد	نظم الحرب في الاسلام	٤٤
حسن وعلي ابراهيم حسن	النظم الاسلامية	٤٥

تابع للمراجع العربية

اسم المؤلف	اسم المصدر	الترتيب
محمد اسعد	منهاج الاسلام في الحكم	٤٦
نجيب الارمنازي	الشرع الدولي في الاسلام	٤٧
محمد المعراوي	شريعة الحرب في الاسلام	٤٨
سليمان التدوي	الرسالة المحمدية	٤٩
الرئيس الركن نعمان ثابت	الجندية في الدولة العباسية	٥٠
كارل بو كلمن	العرب والامبراطورية العربية	٥١
محمد فريد وجدي	دائرة معارف القرن العشرين	٥٢
صاغ محمد فرج	العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول	٥٣
الصاغ جمال الدين حماد	معارك الاسلام الكبرى	٥٤
بكباشي محمد جمال الدين محفوظ	معارك الاسلام الأولى	٥٥
ي. هل	الحضارة العربية	٥٦
جوستاف جرونيباوم	حضارة الاسلام	٥٧
مصطفى صادق الرافعي	وحي القلم	٥٨
سامي جنيته	قانون الحرب والحياد	٥٩
عبد العزيز القوصي	أسس الصحة النفسية	٦٠
العبيد الركن طه الهاشمي	الجغرافية العسكرية الجزء الاول (الاسس)	٦١
كتاب رسمي	نظامات الخدمة السفيرية	٦٢
كتاب رسمي	ادارة العرب	٦٣
كتاب رسمي	الفرقة في المعركة	٦٤
كتاب رسمي	فوج مشاة في المعركة	٦٥
الأعداد ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٧	مجموع المجلة العسكرية العراقية	٦٦
المجلد الرابع والمجلد الخامس	مجلة الجمع العلمي العراقي	٦٧
الدكتور مصطفى السباعي	نظام السلم والحرب في الاسلام	٦٨

المراجع الأجنبية

- 1 . The spirit of Islam by Sayed Amir Ali
- 2 . Life of Mahomet by Sir William Muir
- 3 . Mohammad by Margallouth
- 4 . Quran and war by Maulvi Sadr - ud Din
- 5 . War and religion by Muhammad Marmaduke pickthall
- 6 . The Battelfields of The Prophet Muhammad
by Muhammad Hamidullah
- 7 . Ghambers' Encyclopedia
- 8 . Encyclopedia Britannica

محتويات الكتاب

الصفحة	تفاصيل البحث	تسلسل
٥	مقدمة	١
١٣	مقدمة الطبعة الثانية	
١٧	الحروب العادلة	٢
١٩	القتال في الاسلام	
١٩	معنى القتال في الاسلام	
١٩	متى شرع القتال في الاسلام	
١٩	اهداف القتال في الاسلام : ١ - حماية حرية نشر	
٢٠	الدعوة . ٢ - توطيد اركان السلام	
٢١	انواع القتال في الاسلام : ١ - قتال المسلمين	
٢٢	للمسلمين . ٢ - قتال المسلمين لغير المسلمين	
٢١	تنظيم القتال في الاسلام : ١ - تقوية المعنويات .	
٢٥ - ٢٦	٢ - إعداد القوة المادية . ٣ - التنظيم العملي للقتال .	
٣٠	شروط القبول للاجندية : ١ - البلوغ .	
٣١	٢ - الاسلام . ٣ - السلامة : ٤ - الاقدام .	
٣١	التفكير : ١ - في حالة الدفاع . ٢ - في حالة التعرض	
٣٣	الخلاصة	
٣٥	قبل نشوب القتال	٣
٣٧	الموقف العسكري العام	
٣٧	المسلمون : ١ - الدعوة سرّاً ٢ - الدعوة علناً	
٣٨ - ٣٩	٣ - بيعة العقبة الاولى ٤ - بيعة العقبة الثانية	
٤٠ - ٤٤	٥ - التحشد في المدينة ٦ - انجاز التحشد ٧ - النتائج	
٤٥ - ٤٧	العرب والروم والفرس : ١ - العرب .	
	٢ - الروم ٣٠ - الفرس ٤ - النتائج .	

تابع محتويات الكتاب

الصفحة	تفاصيل البحث	٢
٤٨	مناقشة الموقف العسكري للطرفين	
٥١	الدفاع عن العقيدة	٤
٥٣	دوريات القتال والاستطلاع الاولى	
٥٣	الموقف العام : ١ - المسلمون ٢ - المشركون واليهود	
٥٥	المهدف الحيوي من الدوريات	
٥٩ - ٥٥	سير الحوادث : ١ - سرية حمزة ٢ - سرية عبيدة	
	ابن الحارث ٣ - سرية سعد ٤ - غزوة ودان	
	٥ - غزوة بواط ٦ - غزوة العشيرة ٧ - غزوة بدر	
	الاولى ٨ - سرية عبدالله بن جحش .	
٦١ - ٦٠	دروس من الدوريات : ١ - الاستطلاع ٢ - القتال	
	٣ - الكتمان ٤ - الحصار الاقتصادي	
٦٣ - ٦٢	الملحق (أ) مجمل بيان دوريات القتال والاستطلاع	
	الاولى	
٦٥	الصراع الحاسم بين عقيدتين	٥
٦٧	غزوة بدر الكبرى المعركة الحاسمة الاولى للاسلام	
٦٧	الموقف العام : ١ - المسلمون ٢ - المشركون واليهود	
٦٩	قوات الطرفين ١ - المسلمون ٢ - المشركون	
٦٩	أهداف الطرفين ١ - المسلمون ٢ - المشركون	
٧٤	قبل المعركة ١ - المسلمون ٢ - المشركون	
٧٦	سير القتال	
٧٨	خسائر الطرفين ١ - المسلمون ٢ - المشركون	
٧٨	أسباب انتصار المسلمين : ١ - قيادة موحدة	
٨٣	٢ - تعبئة جديدة ٣ - عقيدة راسخة ٤ - مغنويات عالية	

تابع محتويات الكتاب

الترتيب	تفاصيل البحث	الصفحة
	دروس من بدر : ١ - الاستطلاع ٢ - القيادة ٣ - الضبط والمعنويات والعقيدة ٤ - القضايا التعبوية ٥ - القضايا الادارية	٨٤ - ٨٦
٦	القاعدة الامينة تطهير المدينة وفرض الحصار على قريش الموقف العام : ١ - المسلمون ٢ - المشركون واليهود الهدف الجيوي. حصار بني قينقاع : ١ - أسباب الحصار ٢ - قوات الطرفين ٣ - الهدف ٤ - الحوادث فرض الحصار الاقتصادي على قريش : ١ - غزوة بني سليم ٢ - غزوة السويق ٣ - غزوة ذي أمر ٤ - غزوة بحران ٥ - سرية زيد بن حارثة دروس من حركات التطهير : ١ - القاعدة الامينة ٢ - الحصار الاقتصادي الملحق (ب) الغزوات والسرايا بين بدر وأحد	٨٩ ٩١ ٩١ ٩٢ ٩٢ - ٩٣ ٩٤ - ٩٨ ٩٩ - ١٠٠ ١٠٢ - ١٠٣
٧	النصر للفلوب غزوة أحد الموقف العام ١ - المسلمون ٢ - المشركون واليهود قوات الطرفين ١ - المسلمون ٢ - المشركون أهداف الطرفين ١ - المشركون ٢ - المسلمون قبل المعركة ١ - المشركون ٢ - المسلمون سير القتال ١ - بدء المناوشات ٢ - اشتداد القتال ٣ - هجوم المشركين المقابل	١٠٥ ١٠٧ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٨ - ١٠٩ ١٠٩ ١١٢ - ١١٥

تابع محتويات الكتاب

الترتيب	تفاصيل البحث	صفحة
	عودة الطرفين : ١ - المشركون ٢ - المسلمون	١١٨
	خسائر الطرفين : ١ - المشركون ٢ - المسلمون	١١٩
	اسباب النكبة : ١ - أنصرام اندحار ٢ - اسباب خسائر المسلمين	١١٩
	دروس من احد ١ - الحصول على المعلومات ٢ - القيادة	١٢١ - ١٢٤
	٣ - القضايا التعبوية ٤ - القضايا الإدارية	
	أحد في التاريخ	١٢٤
٨	إعادة النظام	١٢٧
	بعد أحد	١٢٩
	الموقف العام ١ - المسلمون ٢ - المشركون ٣ - اليهود	١٢٩ - ١٣٠
	أهداف الطرفين ١ - المسلمون والمشركون واليهود	١٣٠
	سير الحوادث : ١ - سرية ابن سلمة ٢ - دورية	١٣٠ - ١٣٨
	عبدالله بن أنيس ٣ - غزوة بني النضير ٤ - غزوة ذات الرقاع ٥ - غزوة بدر الآخرة ٦ - غزوة دومة الجندل ٧ - غزوة بني المصطلق .	
	دروس من غزوات التطهير : ١ - المسير الليلي	١٣٩ - ١٣١
	٢ - الهجوم فجراً ٣ - قتال المدن والشوارع	
	٤ - الإبداع ٥ - المعنويات	
	الملحق (ج) غزوات التطهير	١٤٢ - ١٤٣
٩	هازم الأحزاب	١٤٥
	غزوة الخندق	١٤٧
	الموقف العام ١ - المسلمون ٢ - المشركون واليهود	١٤٧
	قوات الطرفين ١ - المسلمون ٢ - المشركون واليهود	١٤٨
	أهداف الطرفين ١ - المسلمون ٢ - المشركون واليهود	١٤٨

تابع محتويات الكتاب

الترتيب	تفاصيل البحث	الصفحة
	التوقيت	١٤٨
	قبل المعركة ١ - المسلمون ٢ - المشركون واليهود	١٥٠
	سير القتال	١٥١
	خسائر الطرفين ١ المسلمون ٢ - المشركون	١٥٤
	أسباب فشل الأحزاب : ١ - قيادة غير موحدة	١٥٤ - ١٥٦
	٢ - المباغثة بالخنق ٣ - الطقس ٤ - انعدام الثقة	
	٥ - الصبر على الحصار	
	دروس من غزوة الخندق : ١ - القيادة ٢ - تعبئة	١٥٦ - ١٥٨
	جديدة ٣ - الحرب خدعة ٤ - المبادأة .	
١٠	القصاص العادل	١٥٩
	محاسبة الغادرين	١٦١
	الموقف العام ١ - المسلمون ٢ - المشركون ٣ - اليهود	١٦١
	الهدف الحيوي	١٦٢
	غزوة بني قريظة ١ - أسباب الغزوة ٢ - قوات	١٦٢ - ١٦٣
	الطرفين ٣ - الهدف ١ - الحوادث	
	سرية عبدالله بن عتيك ١ - الهدف ٢ - الحوادث	١٦٤
	غزوة بني لحيان ١ - الهدف ٢ - الحوادث	١٦٥
	غزوة ذي قرد ١ - الهدف	١٦١
	دروس من غزوات محاسبة الغادرين : ١ - الوقت	١٦٧ - ١٧٢
	٢ - المباغثة ٣ - القصاص ٤ - العقيدة ٥ - القضايا	
	الادارية	
	الملحق (د) غزوات عقاب الغادرين	١٧٣

تابع محتويات الكتاب

الصفحة	تفاصيل البحث	التسلسل
١٧٥	الفتح القريب	١١
١٧٨ - ١٧٧	غزوة الحديبية	
١٧٨	الموقف العام ١ - المسلمون ٢ - المشركون واليهود	
١٧٩	قوات الطرفين ١ - المسلمون ٢ - المشركون	
١٨٣ - ١٧٩	أهداف الطرفين ١ - المسلمون : - قريش	
	الاعمال التمهيديّة : - الحصول على المعلومات	
	٢ - المناوشات ٣ - المفاوضات الابتدائية	
	٤ - المفاوضات النهائية	
١٨٥ - ١٨٤	الهدنة : ١ - نص وثيقة الهدنة ٢ - أهم بنود الهدنة	
١٨٥ - ١٩١	دروس من الحديبية ١ - توخي الهدف ٢ - الضبط	
	٣ - الحياذ المسلح ٤ - حرب الدعاية	
١٩٢	نتائج الحديبية	
١٩٥	فترة الهدنة	١٢
١٩٧	غمرات الحديبية	
١٩٨ - ١٩٧	الموقف العام ١ - المسلمون ٢ - المشركون ٣ - اليهود	
١٩٨	الهدف الحيوي	
	غزوة خيبر : ١ - اسباب الغزوة ٢ - قوات	
	الطرفين ٣ - الهدف ٤ - سير الحوادث ٥ - خسائر	
	الطرفين	
٢٠	نهاية اليهود في الجزيرة : ١ - يهود فذك ٢ - يهود	
	وادي القرى ٣ - يهود تيماء ٤ - النتائج	
٢٠٣	السيطرة على الاعراب : ١ الهدف ٢ - الحوادث	
	٣ النتائج	

تابع محتويات الكتاب

الصفحة	تفاصيل البحث	التسلسل
٢٠٦-٢٠٣	غزوة مؤتة : ١ - اسباب الغزوة ٢ - قوات الطرفين ٣ - الهدف ٤ - سير الحوادث ٥ - خسائر الطرفين ٦ - النتيجة	
٢٠٧	غزوة ذات السلاسل : ١ - اسباب الغزوة ٢ - سير الحوادث	
٢١٣-٢٠٨	دروس من ثمرات الهدنة : ١ - القضايا التعبوية ٢ - المعنويات ٣ - الامانة ٤ - اكمال التجشد ٥ - نشر الاسلام ٦ - القضايا الادارية ٧ - النتائج	
٢١٥-٢١٤	الملحق (هـ) دوريات القتال للسيطرة على الاعراب	
٢١٧-٢١٦	الملحق (و) مكاتبة الرسول للملوك والرؤساء والامراء من النصارى	
٢١٩-٢١٨	الملحق (ز) مكاتبة الرسول للملوك والامراء والرؤساء المجوس والمشركون واتباع كسرى	
٢٢١	عودة المستضعفين	١
٢٢٣	فتح مكة	
٢٢٣	الموقف العام ١ - المسلمون ٢ - المشركون	
٢٢٤	إعلان الحرب ١ - المسلمون ٢ - قريش	
٢٢٥	الاستعدادات	
٢٢٦	قوات الطرفين ١ - المسلمون ٢ - المشركون	
٢٢٦	في الطريق إلى مكة	
٢٢٩	قبل دخول مكة	
٢٣٠	خطة الفتح	

تابع محتويات الكتاب

الترتيب	تفاصيل البحث	الصفحة
	الفتح	٢٣٠
	في مكة	٢٣١
	خسائر الطرفين ١ - المسلمون ٢ - المشركون	٢٣٣
	دروس من الفتح : ١٠ - المباحة ٢ - المعلومات	٢٣٤ - ٢٤٢
	٣ - بعد النظر ٤ - التنظيم ٥ - المعنويات ٦ - السلم	
	٧ - الوفاء ٨ - التواضع ٩ - العقيدة ١٠ - تخطيط	
	الاصنام ١١ - القضايا الادارية	
١٤	استثمار الفوز	٢٤٣
	غزوة حنين وحصار الطائف	٢٤٥
	الموقف العام ١ - المسلمون ٢ - المشركون	٢٤٥
	قوات الطرفين ١ - المسلمون ٢ - المشركون	٢٤٦
	أهداف الطرفين ١ - المسلمون ٢ - المشركون	٢٤٦
	قبل المعركة ١ - المسلمون ٢ - المشركون	٢٤٨
	القتال : ١ - هجوم المشركين ٢ - هجوم المسلمين	٢٤٩ - ٢٥٠
	المقابل ٣ - المطاردة	
	حصار الطائف	٢٥١
	خسائر الطرفين ١ - المسلمون ٢ - المشركون	٢٥٢
	اسباب ترك الحصار	٢٥٢
	الغنائم : ١ - التكريس ٢ - التوزيع ٣ - إعادة السبي	٢٥٣
	دروس من حنين والطائف ١ - المباحة ٢ - القيادة	٢٥٤ - ٢٦٢
	٣ - المطاردة ٤ - المعلومات ٥ - المعنويات ٦ - العقيدة	
	٧ - حرب الفروسية ٨ - القضايا الادارية	

تابع محتويات الكتاب

الترتيب	تفاصيل البحث	الصفحة
١٥	مولد امبراطورية غزوة تبوك الموقف العام ١ - المسلمون ٢ - المنافقون ٣ - المنافقون ٤ - الرومان اسباب غزوة تبوك : ١ - اسباب مباشرة ٢ - اسباب غير مباشرة اهداف الطرفين ١ - المسلمون ٢ - الروم قوات الطرفين ١ - المسلمون ٢ - الروم الاستعدادات ١ - المسلمون ٢ - الروم الحركة ١ - المسلمون ٢ - الروم السيطرة على المنطقة : ١ - مصالحة صاحب ايلة ٢ - مصالحة هل الجرباء واذرح ٣ - مصالحة اهل دومة الجندل عودة المسلمين دروس من تبوك ١ - الحرب الاجماعية ٢ - عقاب المتخلفين ٣ - التدريب العنيف ٤ - المسير الليلي ٥ - المعنويات ٦ - المعلومات ٧ - الضبط النتائج الملحق (ح) الغزوات التي قادها الرسول بنفسه	٢٦٧ ٢٦٩ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٢ - ٢٧٣ ٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٨٣ - ٢٧٥ ٢٨٤ ٢٨٦ - ٢٩٢
١٦	التطبيق العملي الخاتمة بحث مقارنة	٢٩٣ ٢٩٥ ٢٩٥

تابع محتويات الكتاب

الصفحة	تفاصيل البحث	التسلسل
٢٩٧	مجل اسباب النصر	
٢٩٩	قيادة عبقرية (السبب الاول) : ١ - مجمل صفات القائده ٢ - تفصيل الصفات ١ - قرار صحيح ب - شعاعة شخصية ج - ارادة قوية ثابتة د - تحمل المسؤولية هـ - نفسية لا تتبدل و - سبق النظر ز - معرفة النفسيات والقابليات ح - الثقة المتبادلة ط - المحبة المتبادلة ي - الشخصية ك - القابلية البدنية ل - الماضي الناصع المجيد م - معرفة وتطبيق مبادئ الحرب ٣ - مزايا اخرى ١ - المساواة ب - الاستشارة ج - أساليب جديدة د - قيادة مثالية جنود ممتازون (السبب الثاني) : ١ - مزايا الجندي الممتاز ٢ - تفصيل المزايا ١ - عقيدة راسخة ب - معنويات ع - الية ج - ضبط قوي د - تدريب جيد هـ - تنظيم صحيح و - تسليح ممتاز .	
٣٣٩ - ٣٣٢	حرب عادلة (السبب الثالث : ١ - معنى الحرب العادلة ٢ - تفصيل معنى الحرب العادلة أ - حرب دفاعية ب - حرب لتوطيد السلام ج - احترام الابرياء د - الاسرى والرهائن هـ - الجرحى والقتلى ٣ - حرب عقيدة : أ - لا أغراض شخصية ب - حرب لا عنصرية ج - حرب لا مادية د - حرب مثالية	
٣٤١	ضعف الأعداء (السبب الرابع)	
٣٤١	الارض للصالحين	
٣٤٧ = ٣٤٥	المراجع العربية	
٣٤٨	المراجع الاجنبية	

محتويات الكتاب من الخرائط والمخططات

الترتيب	الخريطة او المخطط	الصفحة
١	خريطة الممالك العربية عند ظهور الاسلام	٣٢
٢	خريطة الطرق بين مكة والمدينة	٥٤
٣	خريطة مواقع بعض الغزوات	٦٨
٤	خريطة ميدان أحد	١١٣
٥	خريطة ميدان الخندق	١٤٩
٦	خريطة فتح مكة	٢٣٢
٧	خريطة غزوة حنين	٢٤٧
٨	مخطط منجنيق لرمي النفط	٢٥٥
٩	مخطط منجنيق لرمي السهام	٢٥٨
١٠	انتشار الاسلام في عهد النبي	٢٧٦